



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ و علم الآثار

المغاربة في البلاد المصرية
(ق4-9هـ/10-15م)

دراسة سوسولوجية وثقافية لعناصر وافدة
بحث لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي

إشراف الأستاذ الدكتور

إعداد الطالب:

علاوة عمارة

عاشور منصورية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية
علي أجقو	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1
علاوة عمارة	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	الأمير عبد القادر قسنطينة
باقة رشيد	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1
كمال بن مارس	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1954 م قالمة
علي عثي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة باتنة 1
ابراهيم بن مهية	عضوا	أستاذ محاضر	الأمير عبد القادر قسنطينة

السنة الجامعية: 2018-2019م

الله أكبر

كتاب
١٩٣٥
٥٣

شكر وتقدير

فائق التقدير وواجب الشكر و دوام الاحترام، أسديهِ،
للأستاذ المشرف

علاوة عمارة

لكمال أخلاقه وسعة علمه وواسع تواضعه، كللني بتاج
نصائحه وطوقني بجيد كرمه، ناصحا موجها مكوّنا، متعاوننا،
أوجد حضنا لطلبته في حضن جامعة الأمير عبد القادر تحلّقت
به، وهاهي الثلة في المسير، يشرفني أن أكون عنصرا منها ولو
بقليل زاد.

كما أعترف بواجب التقدير الممزوج بوافر الاحترام للسادة
الأساتذة أعضاء اللجنة الذين قبلوا قراءة "العمل"، وما وفروه
من وقتهم، مصوبين، مقومين ناصحين، على ما عزّ الناصحون في
واقع حياتنا،

دعوتي للجميع بوافر العافية وشمول الأمن في السّرب
الجميل.

إهداء....

.....شملي دعاؤها لما اشتملتُ ببرد الداء، وعز علي فراقها،
لما غزاها المرض المميت، لروح الأستاذة المؤرخة صغيرة العائلة
الدكتورة نجات منصورية

ها أنا ذا أخاطب روحك، وأهديك ما كنت ترغبين تحقيقه

لوالدي تمام الشكروخالص الدعاء، "وقل ربي ارحمهما
كما ربياني صغيرا"

لأبي المعلم الإمام، صاحب القلب الذاكر واللسان الشاكر
دعائي بدوام العافية، تتعهدنا وأنت تطرق باب التسعين رحم الله
شيبتك

وللوالدة عزيزة الذكر والمنقبة، لا زال قلبك ينبض
بفيض الحنان ودعائك يحفظ خطانا في ظلمة الطرقات

للزوجة أم المحمدين جميل الوفاء وخالص الشكر
صبرت في زحمة الكلمات، وتذوقت شفاف الأنس في حضرة
الغفوات،صدقا وحقا نعم المعين، وفيض السرور أنت....

للعناقيد المحمدين، المحسن والمنصف والفاضل،
خالص المحبة ولفاطمة الزهراء ربيع بلا غيوم ولزینب الصغرى
نشوة البراءة أهديكم ريق محبتي وتمام وفائي جميع

مقدمة

مقدمة.....

اهتمت الدراسات التاريخية الحديثة اهتماما بالغاً بالحركة الجغرافية للعناصر البشرية وانتقالها خارج مجالها الجغرافي الأصيل لأسباب قد تتعلق بذاتها حيناً، أو بعوامل خارجية أحياناً أخرى، ولا تلبث هذه المجموعات البشرية على قلتها المعروفة بـ "الجاليات" سواء "الفاعلة" النخبوية منها أو العامة، أن تخلق لنفسها فضاءاً سوسيوولوجياً وثقافياً؛ تراوح بين الاستقرار الذي ضمن لها حضورها ومسار حياتها في تشكيل أسروبيوتات عطرت صفحات الكتب بذكرها، وبين عناصر أخرى عائدة "الهجرة العكسية" بعد أن ضمنت لنفسها ولو مؤقتاً زادا معرفياً أو كسباً مادياً، أو عبادة روحية.

وكان ذلك على مسار التاريخ خاصة الإسلامي منه، لم شهد الشام والعراق وحتى السودان من فيض هذه الحركة البشرية؛ ومن ثم مصر التي نراها المجال الجغرافي التي نزع طامحين أن تكون ميدان بحثنا لما شهدته من جذب للعناصر المغربية، ليس في الإطار الزمني لبحثنا فحسب، بل امتد لفتترات تاريخية مغلقة في القدم.

وعليه فإن البحث في موضوع المغاربة بمصريكتسي أهمية كبيرة، لم لهذه الجالية من حضور يتعدى المرحلة الفاطمية، وما قدمته من واجب الوفاء وحسن الخدمة، إذ فتحت مصر أبوابها للوفادة المغربية، بإشراكهم كعناصر في الجيش، كما أنهم مارسوا التجارة على نطاق واسع، باعتبار مصر المعبر نحو الشرق، وتعد أيضاً ملجأً للمغاربة الذين تعرضوا لأضرار الهجومات التي شنتها الممالك النصرانية الإسبانية، فكانت مصر كغيرها حاضنة لهم.

ولا تقتصر أهمية الموضوع على بيان فضل مصر في احتضان هؤلاء فقط، بل تتعداه لكون المغربي المرتحل يحمل مشروعاً، ربما لم ينجزه هناك ليتحقق له هنا، وهي من قبيل نوعية النخبة المغربية في مصر، وقد تمكنوا من صنع فضاء علمي وثقافي، في النطاق المصري، فمنهم من وصل إلى أعلى منصب

في القضاء، كما تولى منهم منصب الداودار، أو حاكم الإقليم، كما كان منهم القاضي، والفقيه والإمام وغيرهم، فبات من الواجب التعرف على سيرة المغربي ومساره في المحل الجديد.

الدراسات السابقة :

من الطبيعي أن يكون لهذا الموضوع حضوره في الكتابات التاريخية من طرفي المنطقتين الجغرافيتين المغربية والمشرقية، لتبيان الدور المغربي من خلال الكتابات التي أرخت لمصر الفاطمية، كما حفلت المصادر في ذكر ذلك، غير أنه لم تنفرد حسب معرفتي؛ دراسة بالدور المغربي تحديدا ماعدا ما كتبه المرحوم موسى لقبال⁽¹⁾ عن "دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى غاية منتصف القرن 5 الهجري 11م"، وهي باكورة الدراسات الإثنية المتعلقة بالحاليات المغربية بمصر في التأريخ لقبيلة كتامة في حضرة الفاطميين، وإذ تعد من أهم المراجع موسوعية وتوثيقا بكثرة ما حشد من نصوص ووثائق تعزز رؤيته في إثبات الدور الكتامي عصر الخلافة الفاطمية وتبعتها وهي تتسلل لمصر، ومن استفادته بما توفر له من مقام بمصر، واستخدامه للمصادر الأصيلة التي تؤرخ للخلافة الفاطمية، ككتابات القاضي أبي حنيفة النعمان (ت346هـ/957م)⁽²⁾، حيث وجهنا إلى استعمال التحليل لغرض الوصول إلى تحقيق صدق الفرضية، بحيث كان العمل الموسوم، ممهّدات البحث الذي زعمنا الخوض فيه لتتبع الأثر

¹ - دور قبيلة كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ (11م)، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1979م وهي رسالة دكتوراه، نوقشت بالقاهرة في 1975م.

² - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق، السيد محمد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، 2010م، المجالس والمسائرات، تحقيق الحبيب الفقي، وإبراهيم شوبح، ومحمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية تونس 1978م، وكتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

مقدمة.....

المغربي بمصر خلال العصور الوسطى الإسلامية، بحكم توقفه منتصف (ق5هـ/11م)، إذ الخلافة الفاطمية بمصر لا تزال قوية، ومن ثم أردنا أن نعرف مصير من خدمهم من المغاربة، وحتى من ناوؤوهم منهم، زاعمين أن حركة العلماء والتجار ستزداد بحكم ضغط الجماعات الهلالية السلمية بالمغرب، وانقطاع الطرق البرية، فضلا عن اختلاف التوجه الأيديولوجي المرابطي، ومن بعده الموحيدي، مع ما تعرض له الأندلس من هجمات الإسبان، ومن ثم عزمنا على العمل في الفترة اللاحقة.

أما أحمد عبد اللطيف حنفي في، المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي 21-567هـ/642-1171م⁽¹⁾، وهي على أهميتها تسلط الضوء على الدور المغربي المبكر في مصر الإسلامية وعلى مدار خمسة قرون من الزمن؛ بمنهج سردي لأحداث ترتبط أكثرها بالحياة السياسية والحضارية وبيئت عمق وفعالية التواجد المغربي الأندلسي وبمصر، واندماجه في المجتمع المصري، فهي أيضا من الدراسات المرتبطة بالموضوع، وكانت مصادر دراسته والتي غدت موضوع بحثنا، بما تحقق من تقاطع في الفترة الفاطمية، من حيث نصوص كتابات القاضي النعمان، والصيرفي، وابن ميسرفي أخبار مصر كذلك، كما اعتمد على مصادر تتعلق بالتاريخ العام ككتابات المتأخرين المشاركة والمصريين، كحال ابن الأثير في تاريخ الكامل، وأيضا ما ألفه لاحقا، المقريزي، والسخاوي، وغيرهما، كانت نتائج بحثه، ممجدة للدور المغربي ومظهرة له، خاصة في مرحلته الأولى، بل يصل في بعض الأحيان إلى تخريجات الثراء المغربي في الثقافة والفكر المصري في المرحلة الفاطمية.

¹ - وهي في الأصل رسالة ماجستير بعنوان الدور السياسي والحضاري للجاليات المغربية في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى العصر الفاطمي، القاهرة، 1987م، وطبعت في جزأين بعنوان الأندلسيون والمغاربة في مصر من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي 21-567هـ/642-1171م، الدراسة السياسية، والحضارية الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة: تاريخ المصريين، 2006م.

كما كانت دراسة علي أحمد الموسومة ب: "الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري⁽¹⁾، إضافة علمية لحرص وربط أواصر العلاقات بين الأندلس والشام، من خلال المعطى السياسي والثقافي في تلك المرحلة، والدراسة لم تغط الفضاء الشامي، فحسب بل أضافت إليه مصر، باعتبار الوحدة السياسية والثقافية والفكرية بين الطرفين أي المشرق في عمومها، عهد الدولتين النورية والصلاحية وبعدهما المماليك، وكانت مكامن الفائدة، التحليق في فضاء العوامل المفضية لحركة الهجرة، أكانت عوامل طاردة تتعلق بالجانب المغربي في عموم مجالاته السياسية والفكرية خاصة، وحاجة المغاربة للعلوم والفنون وأداء مناسك الحج، وهي عوامل جذب ماهرة، ارتبطت بالشام كما ارتبطت بمصر أيضا، فضلا عن الاهتمام الأكبر بالمغاربة والأندلسيين الذين وفدوا على المشرق الإسلامي، وأهم إسهاماتهم في الفضاء الحضاري الإسلامي، من خلال قراءاته الواعية لمصادر الفترة التاريخية التي حاولت جاهدة، تطويع موئلها حسب مقتضيات الموضوع، وكان الباحث يزعم أن الوصول إلى تحقيق الوحدة بين مشرق الإسلام ومغربه، كانت تجربة تاريخية مفعلة وهي اليوم قابلة للتطبيق والتحقيق.

كما كانت دراسة حاج عيفة في مساهمته الموسومة ب: "إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر والشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري 12-15م⁽²⁾، وهي تشكل محورا مهما يؤرخ للمغاربة والأندلسيين في المشرق الإسلامي، من وجهة نظر بحثية تتعقب الإسهامات المغربية والأندلسية في مختلف نواحي الحياة بالمشرق الإسلامي، لكنها تبقى قريبة من طرح ، أحمد علي السابقة الذكر، والأستاذ العيفة يقربأنه استفاد أكثر من دراسة أستاذه الذي زاره بدمشق لمرات عديدة في مقدمة رسالته، وهو تأثر محمود للطالب بأستاذه ، ويذهب

¹ - الصادر عن اتحاد الكتاب العرب دمشق، 2008م.

² - أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر 2009-2010م.

مقدمة.....

في التأثير المغربي في كلا القطرين، وقد أفادتني الدراسة من خلال تقاطع الفترات التاريخية، وسهل علي تناول المصادر الأولية، التي أعدت قراءتها، والوقوف على التحليل الذي يلزم المغاربة، بما تحقق لهم من مقام محمود في مصر، في تشكيل جالية فعالة بمصر خلال القرون 6-9هـ/12-15م، والذي حاولت تداركه والوقوف على بعض ملامحه من خلال رسم فضاء سوسولوجي مغربي من حيث الهوية حضورا وهيكلية.

في حين كانت دراسة عبد الرحمن بالأعرج، الموسومة بـ "العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية (ق7-9هـ/13-15م)⁽¹⁾، مهمة وقد أفادتني خاصة في بابها الثاني بمحور الرحالات العلمية والتواصل بين القطرين، اعتبارا من الفترة المدروسة، من حيث استواء المغاربة على سوق العلم، معتمدا على مصادر مغربية ومشرقية في تاريخها العام، وقد عبّرت الرسالة في نتائجها عن ارتباط القطرين ثقافيا على الأقل، وازدهار المغرب والمشرق ثقافيا كان متوازيا خلال ق7هـ/14م، في حين كان المغرب سياسيا أقل ضلا من المشرق، رغم الخطر الخارجي المحقق بهما، واستقطاب القاهرة للفعل الثقافي بقطبية الجامع الأزهر وما وفره للطلبة المغاربة وغيرهم للتفرغ لطلب العلم، غير أنه لم يعط للمغاربة حقهم في المشاركة تأليفا وتدريسا، وسط استعراض للحركة العلمية وأعلامها من غير المغاربة.

في حين غاب على الرسالة سبب علو ذكر المغاربة، ودورهم من خلال حضورهم الثقافي والفكري والخُلقي لغرض تحقيق محو آثار التشيع، ومواجهة الخطر الخارجي من صليبيين وتتار، كانت نتيجتها انتشار المدارس والخانقاه والزوايا لخلق جو الوحدة المذهبية والفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي.

¹ - وهي في الأصل رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، دار النشر الجديد الجامعي، تلمسان، الجزائر، 2016م.

فضلا عن دراسة لطفي بن ميلاد في افريقية والمشرق المتوسطي، من أواسط ق5ه/11م إلى مطلع ق10ه/16م، وقائع الانفصال وتحديات الاتصال⁽¹⁾، حيث رصد فيه الباحث على مدار أكثر من 500 صفحة، تفاعلات الكيانات السياسية في الغرب الإسلامي، من حيث الهوية الجغرافية في "إفريقية" تونس الحالية، وحملته من سلطة سياسية "حفصية" كان لها حضورها في المجالين المتوسطي والمشرقي، وهي دراسة مستفيضة، من حيث ربط افريقية بباقي المشرق وتفاعلاته الحضارية سياسيا وعقديا ومذهبيا، وحضور الموجات "الإفريقية" المشاركة والفاعلة والصانعة لأحداث المشرق.

والكتاب في مجمله يحيل للقارئ التعمق في واقع الثقافة الإسلامية من علوم وإنتاج المعرفة من علوم النقل، أو العقل، والتصوف، خلال الفترة، وأساس ذلك كله مفضي للانصهار، أو التوحد علما بأنه دلنا على مصادر غاية في الأهمية، ومراجع مليئة بالتفسيرات التي زادت من ثراء موضوعنا، ليخرج بنتائج مركزة في انعكاس الواقع السياسي الإيديولوجي، غزو صليبي، تتهياً، مصر والشام كأرضية الجهاد ضد الحملات الصليبية مشرقا، في حين كان بالمغرب المرابطي ومن بعده الموحيدي، تأثيرات سلبية بسبب الاختلاف الأيديولوجي، مع الهجرة الهلالية، التي خلقت جوا بدويا؛ عجل بخلق موجات الراحلين من افريقية للمشرق، أسهمت في تشكيل مذهبية مالكية بالمشرق، ومدارس صوفية لرواد "إفريقيين"، كان علينا أن نوسع البحث في غير الإفريقيين التونسيين، انطلاقا من الجزء إلى الكل في هذه الرسالة، لنسجل التالي:

يحيلنا في كثير من الأحيان لقراءة المشهد الثقافي من حيث المنتوج العلمي المغربي في آفاق مصر، من خلال استعراض مصادر مغربية ومشرقية، وأكثر تفعيله لقراءة "ابستومولوجية" للمراجع أجنبية، من فهم الظروف العامة لفترة

¹ - صادرة عن المغاربية لطباعة وإشهار الكتب، تونس 2011.

الرسالة، وهو إذ يبرز شخصية "إفريقية"، تونس الحفصية، حينها كان جل المشهد المغربي نفسه ثقافة وفكراً، بمعنى أنها ليست خاصة إفريقية لوحدها أو وقته على الأقل في التعميم، كما أبرز الباحث الشخصية التونسية في المعتزك الوسطي، بشيء من "الاعتزاز" و"الحسرة"، وفي تناوله لنموذج "إفريقي" ابن خلدون تجاوزاً، في مصر استبعاد لأفكار عبد الله عنان⁽¹⁾، وكذا جغلول عبد القادر⁽²⁾، وهذا يعني أن ما كتبه الباحث "بن ميلاد" عن النموذج الخلدوني من حيث المصادر الأولية، من حيث قراء بن خلدون هي في الأصل محل مطارحات ثلاثينيات القرن الماضي بعد اكتشاف بن خلدون ومقدمته للغرب بعد الغزو الفرنسي للجزائر، وهو ما أشار إليه مصطفى الأشرف في تقديمه لكتاب عبد القادر جغلول السابق، الذي لا يشير إليه ابن الميلاد، ومن ثم كان من الواجب علينا توسيع دائرة الاهتمام البحثي للرسالة، وتوسيع العمل في مضان أخرى لا ترتبط بالجزئية "الإفريقية التونسية" فحسب، ولكن تتعدها لتشمل الغرب الإسلامي برمته، من نشأة العلاقات وظهور الجاليات في التاريخ الإسلامي الوسيط التي عملنا على تأسيسها على الأقل منذ بداية القرن 4هـ-9م، وإن الجزم على أنها سابقة لهذا التاريخ.

وجاءت دراسة فاتن محمد البنداري الشيخ الموسومة "الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية للمغاربة في القاهرة في العصر الفاطمي 357-567هـ / 969-1171م"⁽³⁾، وهي دراسة متممة لما بدأه لقبال في الكتامين،

¹ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته وتراثه الفكري ص وما بعدها، والمؤلف محمد عبد الله عنان، أحد أشهر المؤرخين المعاصرين، من مواليد 1896م، بمصر حفظ القرآن الكريم مبكراً، وحصل على شهادة الحقوق سنة 1914م، عمل محامياً وانخرط في الحياة الوطنية السياسية والحزبية، وكان أحد أشهر الكتاب المرموقين. رحل في يناير 1986م،
² - عبد القادر جغلول، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، ترجمة فيصل عباس، ومراجعة خليل احمد خليل، ط4، دار الحدائق، لبنان، 1987م.
³ - فاتن محمد البنداري الشيخ: الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية للمغاربة في القاهرة في العصر الفاطمي، 357-567هـ / 969-1171م، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2008م.

ولكن اختصرت مجال بحثها في "تاريخ المدن"، أي مدينة القاهرة في الفترة الفاطمية، وهي نافذة تعبر فيها عن دراسة الجالية المغربية المستقرة في العاصمة الفاطمية من حيث إبراز نشاطها في محور القاهرة، وما كان لهذه الجالية من مرتكزات حيوية فعالة، دونما التطرق لباقي النقاط من مصر مدنا وحوضر، محققة مسحا عموديا، لا يعبر عن صدق عن هذه الجالية وسعة انتشارها، والتي نعول أن تسد ثغرها، ونوسع البحث عنهم حتى خارج مجال المدن، تَعَيَّنَ لنا ذلك في الحضور الصوفي في أرياف مصر حيث الفصل الخامس، مع ما للدراسات الدقيقة من أهمية كبرى في تعميق نطاق البحث في كل مدينة على الأقل.

كما كانت دراسة لويس بوزي⁽¹⁾، ذات رافد مهم، عندما أرخ للمغاربة ببلاد الشام، وهي دراسة اهتمت بهم من حيث تفعيل المعطى التاريخي، تبعا للظروف المساعدة على التواجد والمتعلقة بالجالية المغربية، أو ما تعلق بالأوضاع العامة لبلاد الشام، ودمشق تحديدا، كما أولى عناية كبرى بتحليل الظروف التي أهلتهم بتولي مناصب ومسؤوليات مختلفة، وقد حاولنا الاستفادة منها بالقدر الذي يوفر لنا المقارنة بين وضع الجالية المغربية في المنطقتين.

نشير في الأخير إلى الدراسة الهامة حول قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط⁽²⁾، و هو تاريخ القبيلة، يخص تاريخ المغرب الأوسط، والحضور الثقافي والتاريخي لرجال القبيلة، في المغرب والأندلس، وحتى في مصر والشام، وهي دراسة مؤصلة، أفادت بحثنا في الشأن الثقافي لأفراد القبيلة بمصر، علما بأن أفراد قبيلة زواوة، كان لهم حضور أكثر في غير المجال الثقافي، وأصبحوا أرباب صناعة بالقاهرة، وهو ما سنشير إليه في حينه.

¹ - Louis Pouzet : *Les Maghrébiens à Damas Au 7me 8me siècle ; Bultin des études -10- Orientalas 1975.*

² - مفتاح خلفات، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط، ما بين القرنين 6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية البحث في محاولة تسليط الضوء على المغاربة وتوزعهم في بلد الإسلام والمسلمين دونما حواجز أو انتماءات، ورصد مشاركاتهم في الحياة المصرية العامة تبعا لإشكالات المصطلح الجغرافي لمصر الذي يقترن ربما بالفسطاط (والقاهرة)، والتعرف على أصول التواجد، فيما تبقى تساؤلات مركزية هي:

كيف وصل المغاربة والأندلسيون إلى مصر، وما هي أسباب هذه الهجرة نحو الشرق، ولم تحول مسار الهجرة هنا من الغرب نحو الشرق، عكس الفتوحات الإسلامية، في (ق1هـ/7م)، أو حالة الهجرة الهلالية (ق5هـ/11م)؟.

وإلى أي حد يمكن اعتبار هذا الوجود المغربي بمصر وهذه المشاركة تجسيدا لإرادة سياسية؟ هل من صلة سياسية أو مذهبية كانت الباعث لهذه المشاركة؟

هل يمكن الحديث عن هوية مغربية مبكرة، بمعنى هل من هيكلية للمغاربة أو تنظيم داخلي للجالية اسمها (المغاربة)؟

هل حصل اندماج للمغاربة في البلاد المصرية، فما هي مكانتهم الوسط المصري وفي نفوس المصريين؟، وإن حدث رجوع بعض العناصر، هل هي مبررات عامة أم أنها خاضعة لظروف شخصية، وبالتالي ليست ظاهرة اجتماعية؟ هل تحلق المغاربة وتشبثوا بالمذهب المالكي، أم أنهم تحولوا للمذهب الشافعي، أو غيره، وما الغرض من التحول المذهبي؟

هل من إنتاج ثقافي مغربي بالبلاد المصرية؟ وهل هناك انتشار للمؤلفات المغربية في الوسط المصري خلال فترة الدراسة؟

كيف تعززت مصر بحركات الإصلاح المغربية ذات النزعة الخلقية؟ وما هي الروابط بينها وبين حركات الجهاد والمرابطة؟، كيف استفادت مصر من هذه العناصر في الشق الاقتصادي والاجتماعي أيضا؟

إننا بحق أمام إشكالية كيفية تكون هذه الجماعات أو الجالية المغربية التي شكلت من خلال كتب التراجم والطبقات ذاكرة جماعية وجهازا دينيا وثقافيا زاخرا ، يخدم تاريخ الأحداث من خلال التاريخ للأفراد، لكن علينا توخي الحذر في التعامل ليس مع الوسط المدني "الحواضر"، فحسب بل يجب علينا الغوص في الوسط الريفي خاصة في منطقة الصعيد، متسائلين مدى ارتباط ذلك بالمنظور الميتولوجي بوجود علاقات متجذرة في أعماق التاريخ(روافد مسيحية كانت وراء ظهور التصوف)، وبالتالي صناعة فضاء ثقافي وجغرافي والذي عمل فيه المغاربة بحق وكانت لهم رؤى واتجاهات تحتاج لأطروحات، الغرض منها تحقيق نظرة البحث، أو فرضياته.

دوافع اختيار البحث:

إن الدافع للبحث في الموضوع، هي الرغبة في معرفة أثر عوامل الطرد والجذب على حركية المجموعات البشرية، وارتباط ذلك بالعوامل المختلفة المتعلقة بظاهرة الوجود المغربي بمصر وفق المحددات السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية خلال فترة البحث.

الوصول إلى معرفة أثر العوامل الداخلية والخارجية على عملية تنقل الأفراد والجماعات المغربية نحو مصر، والوقوف على فهم الظروف التاريخية التي أطرت عملية الهجرة والارتحال والإقامة؛ إلا أنه لا بد من معرفة أيُّ الدوافع كان له التأثير البارز في العملية؟.

الرغبة في رصد المشاركة المغربية في الحياة المصرية" النخب العلمية والمهنية والتجارية" خلال فترة البحث، وذلك بتقصي أوضاعهم ووصف أماكن إقامتهم، و المناصب التي وصلوها في الإطار الزمن المحدد، بين المد والجزر للعوامل الطاردة والعوامل الجاذبة، في كلا القطرين.

تتبع نشاط المغاربة وتقييمه خلال العصرين الأيوبي والمملوكي إدارة وجندا، وقضاء، وتجارة وحرفا، ومنه معرفة المشاركة المغربية الواسعة في الحياة

المصرية السياسية والحضارية، بتوسيع نطاق البحث في النشاط المغربي ببلاد مصر في الحياة العامة إلى الوصول لصحة الفرضية على أن المغاربة قوة حراك سياسي واجتماعي و أخلاقي.

محاولة معرفة أثر الاستقرار المغربي بمصر في الحواضر والمناطق الريفية، لما تحقق لهم من نشاط علمي وخلق في محاربة البدع والانحرافات، وحتى محاربة التنصير في أرياف مصر وقراها، المرتبط ذلك بالتعرف على الوسط الحامل لسمات مغربية أيضا.

في ترتبط أسباب اختيار الفترة الزمنية المحددة من القرن الرابع إلى التاسع الهجريين، العاشر إلى الخامس عشر الميلاديين، فيعود ذلك لاعتبارات منها:

- أن ظاهرة الهجرة المغربية نحو المشرق، ومصر تحديدا المرتكزة على العاملين الثقافي والديني بالخصوص؛ فإن حدوثها كان قبل القرن 4هـ/10م، واعتبرت إقامتهم مؤقتة في كثير من الأحيان، غير أن الهجرة لاحقا ارتبطت بعوامل الطرد والجذب بدءا بانتقال الفاطميين لمصر بعد النصف الثاني من القرن 4هـ/10م، مثلتها العناصر الكتامية، وبعض قبائل المغرب كزويلة، لخدمة الفاطميين بمصر.

- أحداث القرون اللاحقة المرتبطة بالمغرب في عمومها، من تبدل في الأسرات الحاكمة، وتأثير الهجرة الهلالية، والخطر الخارجي على الأندلس تحديدا، حركت آليات الهجرة الفردية أو الجماعية، فضلا عما حدث في مصر، من تغيرات مذهبية وسياسية، وشهوها للاحتشاد الصليبي نحوها والشام، كان مدعاة لنشاط فكر المقاومة والجهاد المغدّي بتيار التصوف.

مقدمة.....

ينبغي الإشارة أن الفترة على طول امتدادها، تمثل حلقة مهمة في التاريخ الإسلامي، من حيث التواصل الثقافي والفكري، والانخراط الاجتماعي والفعل الاقتصادي لمختلف الإثنيات الدينية والعرقية.

مقاربة منهجية:

تمت دراسة الموضوع وفق منهج شامل، يفتح على مقاربات منهجية، تمزج بين المقارن، والوصفي، الاستقصائي والسردى، فضلا عن تحليل بعض الإحصاءات

فالسرد من مميزات التاريخ، ذكرا لأحداثها، وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا، يقتضي معرفة المعطى الأولي لظهور الحركة "الهجرة" في إطار تاريخ التفاعل والتبادل بين الشرق والغرب، وبسط الإقامة في وسط جديد، فاقتضى ذلك سردا وترتيباً وتأصيلاً.

أما استعمالات المنهج الوصفي ضروري للإحاطة بالحدث ووصفه وتصويره، ووصف المواقف المختلفة التي لها صلة بالحدث المركزي، وصولاً لمحاولات تفسير الحادثة أو الحوادث، وتحليلها، رغبة في الوصول إلى نتائج، واستنتاجات، الغرض منها بناء الواقع أو ترميم الحدث لإحيائه من جديد للمعرفة الإنسانية،

إن الوصف الذي أحاط بالدراسة منهجا، كان أصعب لطبيعة الموضوع الذي يختلف عن دراسة حدث الشيء وتفاعله في الوسط الطبيعي، كونه يستهدف "فئة" متحركة نشطة، يقع عليها إيجاد فضاء تفاعلي تعبيرى عن الكينونة، المرتبطة بالشخصية المغربية، صفة وخالا.

ولعل محاولة استخدام المنهج الكمي الإحصائي في مجالات الدراسة وفصولها، من حيث إحصاء الفاعلين من المغاربة والمقيمين بمصر، وتواجدهم في

مقدمة.....

مناحي الحياة المصرية على مدار الفترة، يوصلنا إلى تحويل الأرقام إلى ظواهر اجتماعية قابلة للدراسة والمقارنة.

عموما فالمقاربة المنهجية المعتمدة في البحث في استغلال المادة العلمية، تعتمد على التدرج لتطور البحث في مراحل من السهل نحو الصعب ومن البسيط نحو المعقد، وتحليل إشكالاته المعرفية وجب الاستئناس بالمنهج التاريخي وما تضمن من ترتيب الأحداث وتحليلها، ومقارنة رواياتها للوصول لقراءة تاريخية هادئة تنصف ولا تتحامل، فضلا عن مقارنة كمية إحصائية رغم صعوبة التحكم فيها، وهذا لبناء وسط تعايشي في تجاذبات تاريخية متفتحة، طورا ومنغلقة حيناً آخر.

ولجعل الموضوع أكثر ضبطا لغرض التحكم في المادة العلمية، وصيها في قالبها العام، خدمة للطرح المعرفي، كان العنوان هو:

"المغاربة في البلاد المصرية، ق4-9هـ/10-15م، دراسة سوسولوجية

ثقافية لعناصر وافدة،

وقد انتظمت هذه الدراسة بمقدمة للبحث، لعرض أهمية الموضوع وإشكالاته المعرفية، مع بيان منهج الدراسة، واسباب اختيار الموضوع، مع تقديم لمصادر البحث ومراجعته، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على خمسة فصول وخاتمة وملاحق.

فالفصل الأول يبحث عن أسباب التواجد المغربي بمصر؛ التي رأينا أنها طاردة، حيناً متأثرة بسوء أوضاع المغرب السياسية، جاذبة حيناً آخر لارتباط ذلك بالوضع المشرق المريح نسبياً، فضلا عن توسعة النشاط المغربي في محالات الاقتصاد، ترقى لدوافع المعاش، والثقافة والحج، فعملنا على إخضاع ذلك لظروف العصر والفترة الزمنية.

في حين جاء الفصل الثاني متمما للفصل الأول من حيث البحث ومحاولة التفصيل عن المدلول والتسمية المرتبطة بشخصية البحث "أي من هم المغاربة؟ فحاولنا تتبع المصطلح للتعريف بهم تاريخيا من حيث وروده في كتب الرحلة والتاريخ والفقهاء والسير، لنجد أنه يرتبط بعموم الغرب الإسلامي، في المغرب والأندلس، وهو ما حتم علينا اقتفاء آثارهم في البلاد المصرية. كما استعرضنا أنواع الإقامة المغربية بمصر، واتجاهاتها في الحواضر والبوادي، وربط تلك الإقامة بمعرفة العوامل المتحكمة المباشرة وغير المباشرة، على مر الدراسة، فوجدنا أنها إقامة مؤقتة، وأخرى دائمة، حاولنا التفرقة بينهما من خلال سيرة ومسار الأفراد.

في حين وجب علينا أفراد قراءة لبعض أسماء الأعلام المغربية الجغرافية والإثنية والقبلية، التي ارتبطت بهم، وأرجعنا لأصولهم القبلية، أو نسبتهم لمدينهم النبي فارقوها، فكان منهم المغربي، والأندلسي والتلمساني، والفاسي، وغيرهم، متسائلين، هل بقي الوافد يحمل لقبه، أو اسم قبيلته وبلده أم أنه تخلى عنها لاحقا؟ في النسيج المصري العام؟⁽¹⁾.

في حين جاء الفصل الثالث لينح منحى، إبراز الشخصية المغربية السياسية والإدارية والعسكرية في الفضاء الفاطمي، وحتى الأيوبي والمملوكي، من حيث مشاركتهم في السلطة الفاطمية، قادة فتح ووزراء وقضاة وإداريين، برزت مكانتهم وعلت مرتبتهم، وحتى في العهد الأيوبي والمملوكي كعبد الرحمن بن خلدون الذي شغل منصب القضاء.

في ذات الفصل حاولنا إعطاء قراءة لابن خلدون، ومقامه بمصر إداريا قاضيا، ومدرسا، وفقهيا، وسيرته التي رواها كما عاشها أو كما يريد أن نراها، وبين

¹ - أنجزت دراسات في الموضوع ومتعلقة أيضا بالفضاء المصري، منها العراقيون في مصر القرن 7/13م، لسحر السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1991م، وأيضا، دراسة صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر (658-783هـ/1260-1381م)، منشأة المعارف الإسكندرية.

سيرته كما رآها معاصروه، أو كما يريدون أن نراها، وما هي المشاكل التي تعرض لها في المحيط المصري الكبير باعتباره مغربيا أنموذجا في البحث،

وتتمة الفصل الثالث ، ما كان للمغاربة من المشاركة في الأحداث العسكرية ببلاد الشام، وخصصنا لذلك حيزا للحديث عن الجهاد والمرابطة، في فترة الحروب الصليبية.

أما الفصل الرابع، فكانت المحاولة فيه، التاريخ للنخبة المغربية العاملة ودورها في الميدان الفكري والعلمي، فحاولت جاهدا إبراز الدور المغربي في إنتاج والمساهمة في المعرفة الإسلامية والإنسانية، من حيث نبوغهم، ومساهماتهم في الفعل الثقافي في العلوم النقلية والعقلية، ببسط الإنتاج الفكري والعلمي المغربي الذي أصبح محل دراسة وتقليد.

وحاولنا إتمام الفصل بمناقشة إشكالية تحول المغاربة من المذهب المالكي، نحو مذاهب أخرى، محاولين فهم الظاهرة لأنها لم تعد فردية، بل حتى قبلية، خاصة عند أفراد من قبيلة زاوارة.

في حين جاء الفصل الخامس يبحث عن الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر، بإبراز التأثيرات الاجتماعية المغربية من خلال قراءة لعدة أوراق أرشيفية، ونصوص تاريخية ، دارسين أوضاعهم، والعلاقات مع الوسط الاجتماعي، لكن بتركيز على النشاط الصوفي، وتأثير الصوفية المغربية ، من تفعيل أدوار مؤسسة الزوايا والربط والخانقاه.

لننهي الفصل الخامس بإبراز دور المغاربة في الاقتصاد المصري، واشتغالهم في الزراعة والصناعة ونشاطهم التجاري الواسع.

في الخاتمة توصلت لمجموعة من الاستنتاجات، لعل أهمها ما ارتبط بالشخصية المغربية التي أبدعت في نطاق الحضارة والتراث الإسلامي، لغة وحضارة وانتماء، وثانيها ما تعلق بالجانب المصري اجتماعيا والأسر الحاكمة سياسيا علت

مقدمة.....

من قيمة المغاربة، وأصبحوا لديهم محل تبحر وتقدير، تشهد على ذلك أضرحتهم في الإسكندرية وطنطا وغيرها.

الصعوبات:

بقدر ما كان الإطار الزمني للدراسة يشمل مجالاً واسعاً اعتباراً من القرن (4-9هـ/10-15م)، تستوي على قرابة ستة قرون كاملة، وهو فضاء يدفع إلى استغلال المادة العلمية، والاشتغال بها في بناء الموضوع العام، والعمل على إضاءة الجزئيات البسيطة، لجعلها أكثر وضوحاً، لمشتتات حضارية عدة، فمميزات العصور التاريخية وعمود سيطرة العائلات والأسر الحاكمة، التي تختلف أولاهها عن ثانيها، أو آخراها اختلافاً كبيراً، إن في المذهبية، أو في السياسة العامة ونظمها الإدارية، فالفاطميون مبتدأ رحلة البحث، مذهبهم شيعة إسماعيلية، يختلفون عن الأيوبيون مذهباً وإدارة، وهي عقبة أخرى في العصر المملوكي، رغم خفة حدتها نسبياً.

عقبات أخرى اعترضني في انجاز العمل، تتصل بالمصادر التي تمد روافد البحث باختلاف مناهج تأليفها، وهي في الأغلب الأعم مصادر تراجم وسير، يصعب الوصول إليها بحسب تأليفها بطرق مختلفة، كما أن معظمها نسخ تكرارية لما سبق، والبعض الآخر تحتاج إلى تحقيق ودراسة، كما لم تتوفر لي الرحلة العلمية لمصر رغم نصائح الأستاذ المشرف وحثه على ذلك.

تحليل المصادر والمراجع:

1- الوثائق:

لعبت وثائق الجنييزة دوراً مهماً في معرفة شبكة علاقات البحر المتوسط، إذ كشف عنها لأول مرة شالمو صامويل جواتيائين، س. د. في كتاب⁽¹⁾، وهذه

¹ - التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية لذي عربيه وحققه عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت 1980م.

الوثائق المعروفة بالجنيزة⁽¹⁾، بينت بوضوح تاريخ العلاقات بين الجماعات الإثنوغرافية والدور اليهودي في تجارة عالم البحر المتوسط، مبرزاً الدور الفعال الذي أحدثته الجالية اليهودية المغربية في الوسط المصري وغيره، وهو أفاض على البحث إحالات التوثيق، ورصد الحراك في المجال المتوسطي، غذت الدراسة في شقها الاقتصادي، من حيث حركية الطائفة اليهودية وعلاقتها بالبحر المتوسط، وحتى تجارة الكارم، فكانت مادة ثريّة بما حملت من أسماء لتجار، وأنواع السلع، و السفن والوكلاء، وحركية المدينة الإسلامية، أندلسية ومغربية أو في مصر.

في حين تبقى وثائق العقود أو ما يسمى بالوقفيات، والشهر العقاري، فما كان تحت أيدينا يعود لفترة نهاية العهد المملوكي وبداية العهد العثماني بمصر وقد سعى ، لتحقيق وثائق تتعلق بالمغاربة⁽²⁾ تحت رقم "41"، يغطي الجزء الأول منها فترة 22 شعبان 965هـ، رجب 977هـ/9 يونيو 1558- ديسمبر 1569م، وهي وثائق قريبة من الفترة المدروسة نسبياً، وكان مرجعنا، ما رتبته محمد

¹ - الجنيزة في المعنى كنوز المحفوظات، كما تتفق مع عبرية العصر الوسيط في معنى (المستودع أو الكتاب المطروحة) وهو مشتق من جنز، بمعنى أخفى أو كمن، وهي وثائق مهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمناطق حوض البحر المتوسط في العصور الوسطى نقلت إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ونشرت هنالك، للمزيد يراجع: غويتاين: "وحدة عالم البحر المتوسط في أواسط العصور الوسطى" في كتاب: دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية، ت: عطية القوصي، القاهرة ، وأيضاً مادة Geniza ، بقلم ،س، د، جواتاين *S D Goitein* في دائرة المعارف الإسلامية، ط2، باللغة الإنجليزية، لندن 1965م.

² - عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، "الوثائق المتعلقة بالمغاربة في محكمة الإسكندرية الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، السنة 11، ع35-36/1984م، ص: 123-137، وهي ترسم حياة مجتمع الجالية المغربية بالإسكندرية، أنشطتهم الاقتصادية ومعاملاتهم فيما بينهم ومع الآخرين، وكثرة امتلاكهم للعقارات، ووقفها على مشاريع الخير كما لهم ولايات ومسؤوليات إدارية، وانفتاح على باقي جاليات مجتمع الإسكندرية.

مقدمة.....

محمد أمين⁽¹⁾، وقد وفرت لنا قراءة لبعض ما تحقق من خدمة الموضوع، خاصة في شطره الاجتماعي.

2- النصوص الإخبارية:

1- المغربية:

رجعنا لكثير منها في البحث لكن منهجيا سنقتصر على الذي أمد البحث بعناصر البناء والحضور، والشهادة أحيانا مثل:

المراكشي عبد الواحد (ت 669هـ/1269م):

مؤرخا مهما للعصر الموحدى، لاعتبارات استقراره بمصر حوالي 621هـ/1220م، ولكتابه⁽²⁾، أهمية كبيره من حيث توضيحه للعلاقات الأيوبية الموحدية، وأكثر من ذلك خبررغبة المنصور الموحدى احتلال مصر، قد يبدو الخبر قد تفرد به المراكشي، غير أن تصريحات ذلك نجدها عند ابن جبير كما سنوضحه في حينه، فضلا عن ارتباط مؤرخى المشرق بالنقل عليه، وقد أفادنا في المساهمات المغربية في التأليف التاريخي.

ابن خلدون: (ت 808هـ/1406م):

وهو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المغربي، وصاحب كتاب⁽³⁾ ومن خلالها أرخ للفواطم ببلاد المغرب وسبب انتقالهم لمصر، وكيف خدمهم الكتاميون، فضلا عن الترجمة لشخصيات مغربية بمصر، كما يعد ج6، مشتملا لرحلته

¹ - محمد أمين، فهرست وثنائق القاهرة، حتى نهاية عصر سلاطين المماليك، (239-622هـ/853-1516م)،

المعهد العلمي الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، وكثير منها ارتبط بأوقاف وممتلكات السلاطين والوزراء.

² - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد زينهم عزب، دار الفرجاني مصر، 1994م.

³ - العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

السلطان الأكبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون)، دار الكتب العلمية، 2003م.

ونشاطه بمصر بين الوظائف والمكائد، وقد طابق نصها ابن ناويت الطنجي⁽¹⁾، وقد أفادتنا في مبحث ابن خلدون النموذج المغربي بمصر بين الوظائف والدسائس، فضلا عن التاريخ لسلطين مصر المماليك كبرقوق وابنه أيضا، والمقدمة لكتاب العبر مصدر ثقافي وعلمي، وبيداغوجي يرصد تطور مناهج التدريس بالمغرب والمشرق والفرق بينهما.

ابن مرزوق الخطيب التلمساني: 781هـ/1379م

وكتابه⁽²⁾، يشمل معلومات تتعلق بالشق الثقافي والمعرفي العهد المريني، وما يقابله في مصر من سلطة المماليك، وقد عاش ابن مرزوق بمصر وقتا وبها توفي، كان مؤرخا راصدا للحركة الثقافية بمصر، يلتقي بالمغاربة بمصر، كما كانت له اهتماما بتاريخ الأسرة، ونزوع التصوف والمنقبيات⁽³⁾.

ب- المشرقية:

أبي حنيفة النعمان (ت346هـ/957م)⁽⁴⁾، وهو يغطي بشكل لافت الفترة المغربية، مع الاهتمام بتحقيق نظريات في الفقه الاسماعيلي، والتاريخ لمن عاصر من خلفاء الفاطميين وأئمتهم.

¹ - رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

² - المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الإمام أبي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، دار الأمان، الرباط، 2012م

³ - المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2008م.

⁴ - شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق، السيد محمد الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم إيران، 2010م، المجالس والمسائرات، تحقيق الحبيب الفقي، وإبراهيم شوبح، ومحمد اليعلاوي، المطبعة الرسمية تونس 1978م، وكتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986م.

- ابن ميسر:

وهو من مؤرخي القرن 7هـ/13م، إذ كانت وفاته في 677هـ/1275م، يعتبر كتابه⁽¹⁾، الذي يبدأ بالتأريخ من سنة 439هـ/1048م، وفي جزئه الثاني منذ عهد المستنصر بالله، أحالنا بيوميات كتابته على ما كان يعتمل في العصر الفاطمي، من تسيير لشؤون الخلافة الفاطمية، وأهم الطوائف المجتمع المصري، خاصة المغاربة.

ابن الأثير (630هـ/1233م):

عزالدين بن الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني⁽²⁾: وصاحب الكامل، فقد أفادنا في جزئه التاسع بالتعريف بآل زنكي، وأحداث الحروب الصليبية منذ بدئها تعريجا على عناية الفاطميين بالمغاربة المشتغلين في البحر، وإقراره بجهود المغاربة فيها، في جزئه الرابع، ليضيء لنا جوانب البحث في ما تحقق لنا من رؤى في الفصل الرابع في المغاربة والجهاد البحري، والأحداث قريبة منه نسبيا مرور قرن ونصف على ورود الفرنجة في حروبهم الصليبية على المشرق.

ابن تغري بردي: (ت875هـ/1453م)

أبو الحسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ينتمي لعائلة كان أبوه أحد وجوه السياسة المملوكية، مما ساعده على الاطلاع ومشاهدة الأحداث التي يؤرخ لها، وترجم للعديد من المغاربة والمشاركة⁽³⁾.

¹ - تاج الدين محمد بن علي بن يوسف، المنتقى من أخبار مصر، الذي انتقاه المقريزي، حققه أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، 1981م.

² - ابن الأثير "عزالدين بن الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني" (ت:630هـ/1233م) الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به عمر عبد السلام تدمري، ج6، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001م.

³ - ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف، الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970م.

3 - التراجم والسير:

أ- المغربية:

كان لها نصيب كبير، حيث ترجمت لسير المغاربة استفدنا منها، منذ عزمنا على الرحلة المغربية، وإقامة المغاربة هناك، غير أن الرجوع للتراجم الأندلسية بات عملاً بنيويًا درجت عليه الأندلس في التاريخ لعلمائهم ومشاهيرهم وجعلوها سلسلة مكتملة بعضها منذ مطلع إنتاج المعرفة في الحضارة الإسلامية، بدأت بالخشني (ت366هـ/976م) بقضاة قرطبة، وابن الفرضي (ت403هـ/1093م) في كتابه تاريخ العلماء والرواة...، ثم ابن حيان (ت469هـ/1076م) بالمقتبس، ثم الحميدي (ت488هـ/1095م) في كتابه جذوة المقتبس، وواصل بعده ابن بشكوال (ت587هـ/1202) بكتابه الصلة، وجاء بعده أيضا ابن خاقان (ت529هـ/1134م) في كتابه القلائد، كما توسع لاحقا ابن بسام الشنتري (ت542هـ/1147م) في موسوعته الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ثم ابن الأبار (ت658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة، ليذل التكملة بعدها عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1342م) في الذيل والتكملة، وأخيرا ابن الزبير (ت808هـ/1308م) في صلة الصلة، وسنكتفي بذكر أهمها:

الخشني (ت:361هـ/971م)⁽¹⁾:

وهو من أقدم المصادر التي أرخت لقضاة الأندلس، ولا يعدم الكتاب إلى التعريف ببعض الشخصيات التي رماها في بحثنا من حيث التنقل للمشرق ومصر، ومنه كانت عودة له خلال أعلام القرن 4هـ/10م، بداية البحث في الجالية المغربية المستقرة والعائدة.

¹ - أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني الخشني (ت:361هـ/971م): قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م

ابن الفرضي (ت: 403هـ/1093م)⁽¹⁾،

وفي كتابه ضمّن تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ومن خلال ترجمته لهم، لـ 1651، مهتما بالرحلة للمشرق حيث وصل المرتحلين نحو، 536 فردا، وهو رقم لا يستهان به، وجب البحث فيه وتحليل المعطيات الرقمية في الوسط المصري خصوصا، إدراكا من أن الرحلة تتقاسمها عوامل مختلفة.

- الحميدي (ت: 488هـ/1095م)⁽²⁾

الذي عاش في قرن 5هـ/11م، وهو مقلد لابن الفرضي السابق الذكر، ومصدره الأساس، ومنه أفادني في التعرف على الجالية الأندلسية المرتحلة للمشرق، و لمصر تحديدا تبعا للعوامل المتحكمة فيها سلفا، والوقوف على حيثيات المرتحل واهتماماته وتخصّصه العلمي الدقيق، وهو يغطي فترة بحثية تمتد على قرنين من الزمن (4هـ/10م) و (5هـ/11م).

- عياض القاضي اليحصبي (ت: 544هـ/1150م)⁽³⁾،

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك، وقد أفرد تراجم مهمة، معلومات عن بعضهم ينفرد به ، بما تعلق عن فقهاء وعلماء المغرب والآنندلس، خلال القرن 5هـ/11م، وهو يعضد تراجم الأندلسيين في التاريخ الثقافي للمغرب.

- ابن بشكوال: (ت: 578هـ/1182م)

ابو القاسم بن خلف بن بشكوال⁽¹⁾ وهو أصولي ووفقيه، اشتغل بالقضاء في بعض جهات إشبيلية، وكتابه هذا جعله ذبلا على تاريخ علماء الأندلس لابن

¹ - ابن الفرضي: (ت: 403هـ/1093م) ، تاريخ علماء الأندلس تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق روحية بن عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

² - أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الأزدي " (ت: 488هـ/1095م) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية بيروت، ط 1، 2004م

³ - عياض القاضي اليحصبي (ت: 544هـ/1150م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك، ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب.

الفرضي ورتبه على حروف المعجم، وهو تاريخ ثقافي للأندلس وعلاقة علمائه بالمشرق، وفي بعض الإشارات حول الأنشطة الحرفية لهذه الطبقة من العلماء، خلال القرن (5هـ/11م).

- ابن الأبار(ت658هـ/1260م):

التكملة لكتاب الصلة⁽²⁾، وهو مكمل للسلسلة التي بدأها ابن الفرضي، ومن جاء بعده علماء الأندلس ومحدثيها خلال القرن 6هـ/12م وغطى تراجم قرنه وجزء من ق7هـ/13م، واهتم بالنشاط الذي كان لعلماء الأندلس، في علوم النقل، والعقل، كما في جزئه الأول، بالتاريخ للنشاط العقلي والمساهمة في العلوم الطبية للمقيمين بمصر، كما لا يستغنى القارئ عن مؤلفه الثاني⁽³⁾، المعجم لأصحاب أبي علي الصدي، وهو أيضا كتاب لتراجم أندلسية مرتبة على حروف المعجم، زاخر بذكر من كانت له مجاورة بالقدس، وهو كما هو يشيد بالتاريخ الثقافي، ويشيد بالأندلسيين.

- ابن أبي أصيبعة ابن ابي أصيبعة(ت668هـ/1269م):

أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي⁽⁴⁾، الدمشقي كان والده طبيا فأخذ الطب عنه، ثم قصد مصر زمن الأيوبيين، وكانت القاهرة ملتقى العلماء، ومنتهى السبل، وعمل بممارستها، غير أن شهرته من خلال كتابه حول مشاهير الأطباء منذ القدم، والذي ربطنا بالبحث إفراده للأطباء المغاربة، المشهورون منهم، والمقيمون بمصر، منهم ابن البيطار المشهور وقد تتلمذ ابن أبي أصيبعة عليه.

¹- ابو القاسم بن خلف بن بشكوال (ت:578هـ/1182م الصلة في تاريخ علماء الأندلس، حققه، صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2003م

2- ابن الأبار(ت658هـ/1260م):أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م.

³- ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.

⁴- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء " تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

- الدباغ: (ت699هـ/1299م)

أبو زيد عبد الرحمن بن محمدا لأنصاري⁽¹⁾، من المؤرخين الذين اهتموا بالترجمة لطائفة من الناس، كأرباب الزوايا، والصلحاء والأولياء، مرتب على تاريخ وفاة العلماء، المترجم لهم، فضلا عن اشتغاله بالتاريخ، وهو يصور لنا فضلا عن الأحداث السابقة، معلقا على بعضها، ما تعلق بحاضرة القيروان، خلال القرن 7هـ/13م، وتعرض لرحلات العلماء للمشرق مرورا بمصر للحج والإقامة.

- ابن فرحون القاضي المالكي (ت:799هـ/1396م)^(١)،

وهو يترجم للفقهاء المالكية، وهو أصيل مدينة الرسول، ودفين "بقيعها"، والكتاب كما أشار صاحب اقتفاء آثار الرواد من الرواة والناقلين والمجتهدين في المذهب "المالكي"، والمؤصلون له والمفتون على قواعده...و التعريف بثقاتهم، وهو خلال القرن 8هـ/14م، يترجم لمن سبقه، ومن عاصرهم، واستعنا ببعض من رحل وأقم بمصر، كانت ترجمته لهم على أحرف المعجم.

- الغبريني، أبو العباس بن أحمد (من أهل القرن 7هـ/13م)⁽²⁾،

يقدم للبحث قائمة ممن ارتحل من بحاية نحو مصر، وهو يتقاطع مع الدباغ من التراجم للمحليين، والوافدين لبجاية، وأثرهم في صنع المشهد الثقافي والفكري .

ابن قنفذ القسنطيني (ت809هـ/1407م):

أبو العباس أحمد بن الحسين القسنطيني المؤرخ⁽³⁾، والمهتم بالتصوف في كتابه⁽¹⁾، وكانت تراجمه لأشهر المتصوفة المغاربة ممن لقيهم ببجاية وكانت له

¹ - الدباغ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمدا لأنصاري، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان الذي أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (ت:839/1436م) تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 2005م.

² - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، محمد بن شنب، دار البصائر الجزائر، 2007م،

³ - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

معهم مجالس، خاصة القطب أبو مدين شعيب التلمساني، الذي يدور عليه محور الكتاب، في حين أمدنا بسيرمدافعا عن المتصوفة الفرديين، كابي عربي، نزيل بجاية، والششتري، وغيرهما، وهو يسند أيضا أحوال ومقالات المتصوفة المغاربة الذين كانت لهم، حظوة بمصر وغيروا من معالم حياتهم، خاصة ما تعلق بالمرسي والشاذلي.

ب- تراجم مشرقية:

ابن خلكان، (681هـ/1282م) هو أبو العباس شمس الدين ، أحمد بن محمد بن خلكان البرمكي ، الشافعي، فقيه مؤرخ، أديب نجول في البلاد ، ولد بأربل وتولى قضاء دمشق مما سمح له بالإطلاع، والتاريخ، وهو صاحب كتاب بالتراجم المشهور⁽²⁾ "وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان"، الذي ترجم لأعلام كثير، تراوح بين النخب الإدارية، و العالمية، والتجارية، كما أشار لعلاقات المغرب مع المشرق، والمرتبطة بالموضوع حال ترجمته لمشاهير المغرب بمصر. أبو شامة:(685هـ/1267م)

والذي كتب في التاريخ "الروضتين"، والذي يهتم البحث هنا "تراجم رجال القرنين السادس والسابع"⁽³⁾، منهم المغاربة كوفاة الشيخ الشاطبي، وفيه

¹- أنس الفقير وعز الحقيير، في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنهم، تح، أبي سهل نجاح عوض صيام، تقديم علي جمعة، دار المقطم، القاهرة، 2002م.

²- وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر بيروت. اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ج1، ط2، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - 1996م

³- تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ج1، ط2، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - 1996م

إشارات محمودة للمغاربة الذين كانوا فاعلين في الحروب الصليبية، والرجال
التصوف

الصفدي: (ت 764هـ/1340م) (1)

وهو من المصادر المهمة التي أولاهها صاحبها عناية لمن ترجم له من الأعلام،
علما بأن كتابه أشبه ما يكون بموسوعة تاريخ الإسلام، يقع في 29 جزءاً، إذ
ترجم لـ 12000 علم، وتكاد أجزاءه مساعدة ومدعمة للمغاربة النشيطين
المقيمين بمصر في شتى الفنون والمعارف، وحتى في مجال الإدارة والقضاء
وغيرهم.

ابن شاکر الکتبی (764هـ/1362م)

وهو من أعلام القرن 8هـ/14م، كان مؤلفه مهماً جداً من حيث التأريخ
للمغاربة المستقرين بمصر، ولا يكاد عملنا في فصوله إلا ولراشد لنا عنده
ترجمات للمغاربة المستقرين بها، يمتد حتى قبل هذا التاريخ.

المقريزي: (766-845هـ/1364-1442م)

تکمن أهمية كتابات المقريزي، لاعتبارات وظيفته في ديوان الإنشاء مدة أربع
عشرة سنة، شافعي المذهب، نشأ على الآداب، سمحت له وظيفته في الاطلاع
على المراسلات، وهو من المصادر المهمة التي طوقت بحثنا هذا بسيل من
الأحداث المركزة، اعتباراً من أنه عاصر أحداثاً يروها في العصر المملوكي، كما
استفاد بما توفر له من مصادر أولية للتاريخ الفاطمي (2)، وهو الذي يذكر حارات

¹ - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط، وتركي
مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 2000م.

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ج1، ط2، المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - 1996م

² - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ج1، ط2، المجلس
الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة - 1996م.

المغاربة في القاهرة في كتابه الثاني⁽¹⁾، لتشمل في كتابه الثالث⁽²⁾ ذكر من تولى من المغاربة، أهم الوظائف الإدارية والجيش، ومن اشتهر منهم في الميدان العلمي.

ابن حجر العسقلاني (852هـ/1449م)

بحكم منصبه في القضاء والادارة كما أنه عالم وفقهه، إلا أنه رصد جمهرة من التراجم في كتابه الأول، الذي يضع بين أيدينا قائمة للمغاربة المقيمين بمصر خلال القرن 8هـ/14م،⁽³⁾ كما أضفى عليهم غطاء فياضا من التراجم الوافيه، بل يعود بنا لفترة الزنكيين في جزئيه 3، و4، من إنباء الغمر⁽⁴⁾، في التاريخ للمماليك، كما نجد ذكره لابن خلدون، حيث الوسط الثقافي والإداري، واستفدنا منه في نقده لتصرفات ابن خلدون.

السخاوي (902هـ/1500م)

قدم لنا تراجم أفادت البحث في حيثياته ومركزاته من خلال كتابه⁽⁵⁾، وخاصة الجزء، 4، إذ يفصل خصومات ابن خلدون، وقدم تراجم لعناصر مغربية شقت طريقها لمصر وكانت لها مكانة مرموقة، كما أن الكتاب يعد موسوعة لدراسة الجاليات بمصر خصوصا وفي حاجة للتمحيص.

السيوطي: (911هـ/1505م)

وهو أعلام القرن 9هـ/15م، وكان كتابه⁽⁶⁾، الذي انفرد بنص تخفيض الضرائب على التجار المغاربة في 814هـ/1412م، بقرار سنه الفرج بن برقوق،

¹ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، ط2، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1987م.

² - السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، 1956م.

³ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

⁴ - إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، 1969م

⁵ - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، دار الجيل بيروت، ص: 195-196.

⁶ - حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

فضلا عن احتفائه بمشاهير المغاربة بمصر في كتابه الثاني في حقل "اللغويين والنحاة"⁽¹⁾ في ذكر من اشتهر منهم في النحو واللغة العربية ودرسوا وألفوا وقعدوا للغة العربية واستقروا بمصر في جزئه الأول.

ابن عماد الحنبلي (ت1089هـ/1678م):

وهو من المتأخرين وقد جمع في كتابه⁽²⁾ "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، جملة من التراجم، وزادت عليها، كان رجوعنا إليه بصفة مستمرة، مقارنين ومقومين حيناً آخر، وقد أحاط بالمقيمين من المغاربة بالبلاد المصرية، بعد أن استفاد من مصادر من سبقه في التراجم.

وعند السيوطي والمقريزي، نفحات وتجارب إنسانية راقية في مجال التأريخ والترجمة وتتبع الأحداث، وتمحيصها، مع ما تسنى لنا من أمهات المصادر الأولية، كتاريخ ابن ميسر في المنتقى من أخبار مصر، وكتب الصفدي أيضاً.

4- الرحلة والجغرافية:

وتعد كتب الرحلة من المصادر المهمة في تاريخ للحركة الثقافية، من خلال ارتباطها عادة بالعامل الديني، "أداء المناسك"، ثم الالتقاء بالعلماء،

¹ - بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة، ج1، تحقيق أو الفضل محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.

² - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه عبد القادر الأرنؤوط وآخر، دار ابن كثير، دمشق، بيروت. 1989م.

والتفرغ للزيارات، وعادة المغاربة كتابة مشاهداتهم⁽¹⁾ التي كان ضمن اهتمامات البحث، وأفادته، غير أنه يمكننا الإشارة لمن أدت البحث وهي

ناصر خصرو(ت:471ه/1008م)

وهو صاحب كتاب سفرنامه⁽²⁾، وهو رحالة فارسي، دخل مصر في العصر الفاطمي، وهو الشيعي الذي يصور القاهرة ومدى ازدهارها، وتطورها وحسن بنائها وانتظام جندها خاصة المغاربة و"الكتاميون" منهم، فضلا عن تصويرهم لمشاهد القاهرة العمرانية، جعلنا نعود إليه لإثراء بعض أنشطة المغاربة في العصر الفاطمي، وقد يكون من دافع الإشهار والدعاية للأثر الفارسي وحظوة الشيعة.

القاضي أبي بكر بن العربي(ت 543ه/1148م)⁽³⁾.

وهو أول من فكر في تدوين أحداث الحج، وقد بدأ رحلته مع والده من الأندلس حاجا في (485ه/1092م)، علما بأن هذه الرحلة ارتبطت بعوامل سياسية⁽⁴⁾، إلا أنها كشفت لنا بالتفاعل العلمي في القدس، كما طاف بلاد المغرب والأندلس، ومصر والحجاز والعراق وبلاد الشام، وقد أشار القاضي إلى

¹ - رحلة أبو بكر بن العربي (ت543ه/1148م)، وأبو حامد الغرناطي (565ه/1169م)، وابن جبير (ت614ه/1217م)، وألتجاني (ت818ه/1317م)، وابن رشيد السبتي (ت721ه/1329م)، والتُّجبي(ت730ه/1329م) وابن بطوطة(ت779ه/1377م) والقلصادي(891ه/1486م).

² - سفرنامه، نقله على العربية يحي الخشاب- دار الكتاب الجديد بيروت، 1983م

³ - "رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل"، مجلة الأبحاث ج3، 2، بيروت، 1968م، ص:81، 80.

⁴ -Yann DEJUGNATÀ *L'ombre de la fitna; L'émergence d'une discoure du voyage à propos du Tartib al-rihla d'Abû Bakr ibn al-'Arabî (m. 1148).Médiévales Langues, Textes, Histoire60 | 2011La fitna, Médiévales 60, p. 85-102.*

أبي بكر الطرطوشي الموصوف بتبحره العلمي ونشاطه بالقدس⁽¹⁾ قبل دخوله الإسكندرية، وقد أفادتنا في التعريف بالطرطوشي، وهو غير ابن عربي الصوفي

بنيامين التطيلي (569هـ/1173م)

دخل الشام قبل ابن جبير بنحو سبعة عشر سنة، وبدأ رحلته في حدود 561هـ/1165م، وبالتقويم العبري، 4926 من بدء الخليقة، وهي فترة مضطربة يشهد الأندلس سقوطا في يد القوى المسيحية، وبالخصوص سرقسطة مستقر اليهود، التي بسقوطها عاشوا ويالات الاضطهاد المسيحي، والهدف من الرحلة تقديم تقرير للمسؤولين اليهود بشبه جزيرة أيبيريا، في البحث عن مكان آمن لهم خارجها، ولا يكون إلا في المشرق الإسلامي (مدّ إسلامي في الأناضول وشرق أوروبا).

وكانت رحلته منتظمة عبر خط سير من جنوب أوروبا، ثم وصولا إلى آسيا الصغرى، فبلاد الشام، ثم مصر، دامت رحلته نحو ثماني سنوات، مرّ خلالها بجنوب فرنسا، وإيطاليا، والقسطنطينية، وعبر منها إلى بحر إيجه، إلى بلاد الشام، ثم مصر، ومن ثم عودته للأندلس عبر الإسكندرية، وقد اهتم بأحوال اليهود في مناطق زيارته عددهم ووظائفهم، وقد أفادنا كتابه⁽²⁾. فيما خص الفصل الأول، كما في الفصل الخامس، في وصف إمكانات مصر الاقتصادية وأنشطة سكانها؛ غير أنه ينبغي اعتبار كلامه، عن الاضطهاد ضد اليهود بمصر من قبيل الافتراءات، لأن النشاط الذي كان لهم في أصدّة الحياة المصرية، لا

¹ - وهو محمد بن عبد الله المعافري، اشبيلي المولد، قاض من حفاظ الأحاديث، بعد صاحب رحلة للمشرق، توفي بالقرب من فأس 543هـ/1148م، صاحب كتاب العواصم من القواسم، وغيرها.

² - رحلة بن يامين التطيلي: 561-569هـ/1173-1165م، ترجمها عن النص العبري، عزرا احداد، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المطبعة الشرقية بغداد 1945م.

مقدمة.....

يكون لولا اشتغالهم بالتسامح، مع ما ارتبط ذلك ببعض تقلبات أحد حكام مصر الفاطميين.

ابن جبير الأندلسي (ت 614هـ / 1217م)

وهو صاحب الرحلة المعروفة بـ "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار" وهي خلاصة أحاسيسه أثناء رحلة الحج⁽¹⁾، وقد كان ابن جبير شاهداً على أحداث سياسية، واجتماعية وثقافية، بعد أن نزل الإسكندرية، ووصفها، ثم عرج على القاهرة، فدخل الصعيد، فعيذاب للتنقل نحو الحجاز، عايش ابن جبير العصرين الأيوبي والمملوكي، وقد كان حاضراً معنا نستشهد بملاحظاته المدونة، وقد بدأ رحلته من غرناطة واتجه بحراً ليدخل الإسكندرية عكس، مواطنه ومعاصره، ابن يمين التطيلي، السابق الذكر.

ابن رشيد السبتي: (ت 721هـ / 1321م)

وهو أبو عبد الله محمد بن عمر السبتي، ودامت رحلتها 3 سنوات، أي من 683-686هـ / 1285-1287م)، ويذكر صاحب الرحلة⁽²⁾ وجوه الثقافة من المغاربة بمصر، وحث على الرحلة للمشرق.

العبدري: (ت بعد سنة 700هـ / 1300م)

وهو محمد بن محمد بن علي العبدري الحبيبي، الذي ألف "الرحلة"⁽¹⁾، التي حوت معطيات عامة عن بلاد المغرب والمشرق، كونها رحلة برية، ووضع

¹ - ابن جبير (ت: 614هـ / 1217م) رحلة ابن جبير، تقديم سليم بابا عمر، موفم للنشر -الرباط- الجزائر 1988م.

² - ابن رشيد السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين ومكة وطيبة، ج2، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، 1982م.

المغاربة هناك في مصر، وذكر مجموعة من علماء المغرب الذي التقى بهم، كما تفرد بذكر قصيدة ابن جبير في مدح صلاح الدين الأيوبي، والتي حدّثه بها، الشيخ أبو العباس السبتي بئغر الإسكندرية في 662هـ/1264م.

ابن بطوطة (ت725هـ/1325م)

وهو محمد بن عبد الله بن محمد التواتي، الطنجي، وقد رحلته المشهورة بعد أن اخترق الأفاق، وأتحف النظار من عجائب ما رآه في الأمصار⁽²⁾، من الأندلس حتى الصين، والرحلة غنية بالتاريخ والأنثروبولوجيا، قدمت لنا معلومات حية عن مغاربة بمصر، التقى بهم ابن بطوطة وهو في مجال الخدمة والمسؤولية، وفي غير مصر، خاصة في مجال القضاء بحاضرة منفلوط.

5- المراجع:

لعله من التذكير المحبّب، أن أهم المراجع التي طرقت البحث في "الجالية المغربي بمصر، كانت بالأصل أطاريح جامعية، عرفناها بها سابق، وقد طبعت في كتب، فإنه لا ضير أن نصنف المراجع بحسب مساهمتها في بناء مجالات البحث المختلفة بكامل فصوله.

¹ - العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد، رحلة العبدري، تحقيق علي ابراهيم كروي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999م.

² - رحلة أبو بكر بن العربي (ت543هـ/1148م)، وأبو حامد الغرناطي (ت565هـ/1169م)، وابن جبير (ت614هـ/1217م)، والتجاني (ت818هـ/1317م)، وابن رشيد السبتي (ت721هـ/1329م)، والتجبي (ت730هـ/1329م) وابن بطوطة (ت779هـ/1377م) والقلصادي (ت891هـ/1486م).

كانت الكتابات التي دارت حول المغاربة بمصر خلال العهد الفاطمي، تتعلق بتاريخ الفواطم في كتاب الهادي روجيه ادريس، وفرحات الدشراوي⁽¹⁾، كذا كتابات محمد جمال الدين سرور⁽²⁾، وكتابات جمال الشيال⁽³⁾

رغم اهتمام معظمها بطبيعة العلاقات القائمة بين الطرفين المصري، والمغربي، إلا أن أوائل ل من عالجهما بمنهج جديد وقراءة محايدة جورج مارسيه⁽⁴⁾، فهو يبسرده الحدث التاريخي فق ويفعل منظومة الظروف العامة له، خاصة في تبيان الأثر المشرق بالمغرب، وقد أفادنا في التعرف على طبيعة الهجرة الهلالية، وعلاقات المغرب بالفاطميين بمصر، كما أنه يحيلنا لقراءة واقع المغرب، ومصر خلال الفترة،

كما أن العديد من الدراسات والأعمال التي بينت حركة المغاربة والأندلسيين في عالم البحر المتوسط وممارستهم للتجارة البعيدة الخارجية، أوليفارريمي كونستابل في كتابها التجارة والتجار بالأندلس⁽⁵⁾، وكذا أرشيبالد لويس القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط (500_1100م)، وكذا

¹ - الخلافة الفاطمية بالمغرب، 296-365هـ/909-975م، التاريخ السياسي والمؤسسات، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م

² - الخلافة الفاطمية بالمغرب، 296-365هـ/909-975م، التاريخ السياسي والمؤسسات، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

³ - جمال الدين الشيال، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، 2001م.

⁴ - جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الإسكندرية، 1991م.

⁵ - أوليفيا ريمي كونستبل، التجار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية - الحضارة العربية في الأندلس، ج 2، تحرير سلى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م.

الحبيب الجنحاني في العديد من الدراسات، منها المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية⁽¹⁾.

كما كانت كتابات كلود كوهين، وهوراند الدراسات الاقتصادية في العصر الوسيط، وتاريخ الشعوب الإسلامية⁽²⁾، والعلاقات بين الشرق والغرب⁽³⁾، وقد استفدنا منهما خصوصا في الفصل الأول حيث تمثلت العالم الإسلامي، في خضم الأحداث الخطيرة التي لحقت به، بعد ضعف الخلافة العباسية، ومدى مجابهة الخطر الخارجي، والأقرب للموضوع.

كما تدخل في هذا الإطار كتابات انخل جنثال بالنتيا،⁽⁴⁾ تاريخ الفكر الأندلسي، سجلا يحوي مساهمات الأندلسيين في مجال الحضارة الإسلامية انطلاقا من التأسيس للثقافة والفكر الأندلسي، تعريفا بالمنجز والمفكر، ترجمة لأعلامه الراحلين لمصر مقيمين أو عائدین مع الاعتناء بما أنجزوه من منتج هناك، على أن تبقى كتابات نجم الدين الهنتاتي⁽⁵⁾، حول المذهب المالكي انتشارا وأهم أعلامه، واشتغالهم على منظومة الإنتاج المذهبي، من الأهمية بمكان خاصة إذا تعلق الأمر بمعرفة أوال العصر وتواجد المالكيين من المغاربة في البلاد المصرية، وهو ما جعلنا نظمه إلى أهم مراجع البحث الثقافية.

¹ - والحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت.

² - كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، مصر، 1995م.

³ - كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية الرومانية، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1983م.

⁴ - انخل جنثال بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

⁵ - المذهب المالكي ببلاد المغرب إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، دار تبر الزمان تونس 2004م.

مقدمة.....

من الجانب الآخر تعتبر كتابات جمال الدين الشيال، وهو من المحققين البارعين في التأريخ لأعلام الإسكندرية⁽¹⁾، من بيت أهم المراجع التي بينت مناقب بعض أولياء مصر من المغاربة المقيمين بالسكندرية على غرار الشاذلي والمرسي وغيرهما.

ومن الجدير أن نلمس كتابات الدشراوي فرحات⁽²⁾، بمساهمته في التاريخ للفاطميين رغم محددات تاريخ الدراسة بالفترة المغربية، إلا أنها مكنتنا من الاستفادة في سير الأحداث، وفهم سياقاتها، باعتبار حوادث التاريخ سيل مستمر وتقسيمها إلى قديم ووسيط وحديث من فعل البشر لا من فعل طبيعة الأحداث.

كما كانت كتابات أيمن فؤاد سيد⁽³⁾، في التاريخ للفترة الفاطمية وذكر من خدم الدولة من الكتاميين، في المجال الإداري، رغم تحفظه عليهم، على أنهم لم يكونوا أرباب إدارة وتسيير، ولم تسند إليهم وظائف التدبير والتسيير اللهم في الأقاليم، والعكس غير ذلك، استفدنا منه في المغاربة وحظوتهم في العهد الفاطمي.

في ختام استعراضنا لما رفقنا به البحث، كانت الإشارة ضرورية إلى شقٍ مهم من عمل المغاربة بمصر في ميدان التصوف والعمل الخلقى، وقد استفدنا من كتابات⁽⁴⁾، وهو أ يعرف المصطلح يقرن ظهوره بالمشرق عبر التعريف لأهم

¹ - جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، 2001م.

² - الخلافة الفاطمية بالمغرب 296-365هـ 909م-975م التاريخ السياسي والمؤسسات نقله إلى العربية حمادي الساحلي ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1994.

³ - أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، 1992م

⁴ - التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1999

مقدمة.....

أقطابه ثم دخوله المغرب والأندلس، مع ما أنتجه هؤلاء هنا وهناك، خاصة التأثيرات الصوفية المغربية في المشهد المصري

كما أننا لم نستغن عن كتابات سعيد عبد الفتاح عاشور في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ولا حتى في تاريخ أقطاب التصوف⁽¹⁾.

وهو ما رام إليه الباحث عبد العزيز بن عبد الله، في التاريخ للتصوف الإسلامي في عمومته، وترجمته لأهم أعلامه، مع نقده لبعض المواقف، كحال ابن تيمية مع وابن عربي الطائي، وهو يعتبر تاريخ ق6هـ/12م، غزو للأفكار الصوفية المغربية للمشرق، لعله ارتبط بابن عربي أواخر ق6هـ/12م، وتبلور بعد ذلك في المنهج مع الشاذلي⁽²⁾.

6- الموسوعات

ابن فضل الله العمري: (ت 749هـ/1348م)

بموسوعته "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"⁽³⁾، بحق كنز الدرر المتفرد في التاريخ والترجمة لمختلف النخب العلمية والفكرية والسياسية ومن ثم ترجم كثيرا للمغاربة المقيمين بمصر، في الجزء 3، و5.

القلقشندي: (ت 821هـ/1418م)

¹ - سعيد عبد الفتاح عاشور، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966

² - معلمة التصوف الإسلامي، ج3، آثار التصوف المغربي في الفكر الصوفي المشرقي، دار نشر المعرفة، الرباط، 2001م.

³ - ابن فضل الله العمري: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى (ت: 749هـ/1349م) مسالك الإبحار في ممالك الأمصار، تح محمد عبد القادر خريسان وآخرون مركز زايد للتراث، 2003م.

مقدمة.....

وموسوعته "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء"⁽¹⁾، بحق موسوعة مهمة تحمل بين دفتها ، معارف إنسانية في السياسية والاجتماع في العصور الوسطى، كما أن الكاتب أخذ عن بعض المغاربة في تدوين أحداثه كابن سعيد المغربي، وإذ يخصص المؤلف في كل فن وتخصص علمي ذكر للمغاربة، ممن هم في بلاطات دولهم، أوفي مختلف أمصار وعواصم دول المشرق والتي منها مصر.

المقري:"(ت1041هـ/1631م)

وقد ألف هذا الكتاب للتعريف بأديب الأندلس لسان بن الخطيب، وهي فرصة استعرض فيها الكاتب الثقافة الأندلسية، في الجزأين الأول والثاني من الموسوعة للوقوف على الأندلسيين الراحلين للمشرق، وانتشارهم في مناطق أخرى . رصد المقري بايين كبيرين أحدهم للوافدين إلى الأندلس من المشاركة، والآخر للأندلسيين الوافدين إلى المشرق⁽²⁾،

وهناك بعض المقالات التي لها بالغ الأهمية في معالجة بعض جوانب البحث ما كتبه أحمد مختار العبادي عن دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، الذي يصب في إبراز الدور المغربي في العهد الأيوبي والمملوكي، ومقال الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد عن الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري⁽³⁾؛ فضلا عن الدراسة القيمة للدكتور طه عبد الرحمن الموسومة في مقال له معنون بالإسهام المغربي في التراث الإسلامي إسهام أخلاقي -عمل المغاربة الخلقي في مصر نموذجاً، من إثرائه للموضوع ونجح في ربط البيئة المشرقية بالمغربية من حيث الحضور الفعال للجالية المغربية من طراز ثان، بنت

¹ - القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م

² - المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، ج1 تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1998م .

³ -"الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري"، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 1975م.

مقدمة.....

عملها على الإصلاح الاجتماعي باعتماد منهج وطريقة كان لها بالغ الأثر في مصر زمن الضيق وانكباب العداء عليها من صليب ومغول، فعول حكام مصر كثيرا على متصوفة المغرب، وكانوا لهم أداة فعالة في تطهير المجتمع وإصلاح الأنفس والأرواح، وقد أفادني الموضوع في ترتيب المؤشر الخلفي أساسا في معادلة التغيير الاجتماعي، في زمن النكوص.

تعلق الأمر بعمر عبد السلام تدمري في دراستيه المنشورتين بمجلة التاريخ العربي المغاربة في الشام تاريخهم السياسي والحضاري (في العصر الفاطمي)، وأيضا الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام.

كما لا نستغني عن كتابات الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد عن الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع الإسكندري، مقال في كتاب مجتمع الإسكندرية عبر العصور، مطبوعات جامعة الإسكندرية 1975م.

كما حاولنا بما استطعنا عليه الاستفادة من بعض المراجع باللغة الأجنبية كتباً، أو مقالات، نذكر بعضها منه، وهي

- *Idris ;H.R Berbérie Orientale sous Les Zirides 4-9 Siècles ; Paris ; 1962 TOM 1 ; PP 42-43*

- *piloti(E) L’Egypte au commencement 15e siècle ; cairo univ fiud 19501*

- *Mikel de Esplza de al Andalu sreflejo de esplendr Fatimien actas del Coloquio Hispano Tunicino Madrid 1981*

- *Yann DEJUGNATA L’ombre de la fitna; L’émergence d’une discoure du voyage à propos du Tartîb al-rihla d’Abû Bakr ibn al-‘Arabî (m. 1148).Médiévales Langues, Textes, Histoire 60 | 2011 La fitna, Médiévales 60, p. 85-102.*

إن ما ربطني حقا بالعمل دافع ذاتي، وفق توجهات عامة، أطرها الأستاذ المشرف ورسم ملامحها العام، كي نحقق صدق فرضية "الحيوية المغربية في المجال المشرق"، وهو مقترح الموضوع، ورأسم خطته، فله مني جزيل الشكر، وأستسمح قامته العلمية، إن بدر مني ما لم يحقق فيّ، وفي البحث بعض هواجسه وأسئلته الهادرة، شكرا و عرفانا للأستاذ علاوة عمارة، هادئا قارئاً صبوراً محدثاً، ولمن عرفتهم بمدينة التاريخ قسنطينة من طلبة الأستاذ علاوة، وممن تحلّق حوله، واستضاء بفكره، ولزميلي الطاهر طويل عرفاني بحميميته، وصدق محبته.

والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

عوامل التواجد المغربي بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

○ العوامل الطاردة:

السياسية

○ العوامل الجاذبة:

أ- الدينية والثقافية

ب-العامل الثقافي

○ العوامل الاقتصادي

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر(ق4-9هـ / 10-15م)

لم تستقر العلاقة بين المشرق الإسلامي ومغربه، بعد استقرار الفتح منذ القرن1هـ/7م، فكانت طبيعية على الأقل خلال العصر الأموي، باعتبار تبعية المغرب لمصر، لكن يحدث انفصال في العصر العباسي، بتكوين إمارة أموية مستقلة بالأندلس، ميزتها القطيعة السياسية بينهما.

بينما في المغرب فقد قامت على أرضه دويلات متعددة تختلف في ولائها للمشرق بين المؤيد والمعارض، حتى مجيء الفاطميين الذين سيطروا على المغرب أكثر من نصف القرن، بدءا بنهاية القرن3هـ/9م، إلى ما بعد منتصف القرن4هـ/10م.

ومع الاهتمام البالغ للفاطميين وتطلعهم لمصر⁽¹⁾، التي دخلوها في 358هـ/969م، بعد الدفع والتدافع الذي وقع لهم بالمغرب من طرف القبائل الزناتية والصنهاجية الثائرة، فعجلت برحيلهم، ومع ذلك أحاطوا المغرب بحزام من التبعية، استمر حتى 441هـ/1046م، إذ حدثت القطيعة المذهبية والسياسية على مستوى الرسمي والسياسي، أما على المستوى الشعوب والأفراد، فإن حركة الاتصال فلم تنقطع ولم تتوقف، لما أفرزته الأزمات والقطيعة السياسية أو المذهبية، بين المشرق والمغرب، خاصة على الصعيد الفكري والثقافي لاعتماد المغرب على المشرق ثقافيا على الأقل حتى قبل متم القرن5هـ/10م⁽²⁾، مما سهل عمليات الوفاة أو الهجرة⁽¹⁾، وهي أيضا سمات

¹ - تطلع الخلفاء الفاطميين لمصر منذ قيام دولتهم بالمغرب لثرائها، وأهمية موقعها الجغرافي والسياسي والحربي، ولولايتها "مصر" تعقد لهم ولاية الشام والحجاز، راجع أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، ص:247، وكذا حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، ط5، القاهرة، 1993، ص:112، وكذا حسن خضيري أحمد، مرجع سابق، ص:27، وكذا أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، ص:247، وكذا حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، ط5، القاهرة، 1993م، ص:112.

² - أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار الأمل، 1972، ص:60، وأيضا، حسن حلاق، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الأندلس صقلية الشام، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ص:42.

الجماعات البشرية منذ فترات التاريخ الموعلة في القدم، إذ تعد إحدى أهم عوامل الاندماج والتفاعل، فتقع بعد تغيير مكان الإقامة التي تبلغ عادة أقصاها في البحث عن بديل حضاري أجدى مما سبقه، يرقى به في سلم الراحة ويدفعه نحو الإبداع في إطار الحراك الاجتماعي والجغرافي⁽²⁾.

وعليه فتواجد المغاربة أو سكان الغرب الإسلامي أو ارتحالهم بشكل أو بآخر في عدد من أقطار العالم الإسلامي ومصر بالخصوص يمثل بحق وجها من وجوه العلاقات بينهما، كما يعد ثمرة تلقيح، ونقطة التقاء معرفي في فلك الحضارة الإسلامية⁽³⁾، مع أن هذه الهجرة التي هي حركة ونشاط بدني وذهني ووجداني ومادي، مستمر، أو متقطع أحيانا سواء أكان فرديا أو جماعيا، يقع تحت طائلة من الدوافع والأسباب في المجال المحدد والوقت المعين⁽⁴⁾.

¹ - الهجرة الوافدة هي تنقل الأفراد أو الجماعات يرتبط عادة بتغيير مكان الإقامة، وهي فصلية أو مؤقتة أو نهائية، وقد تكون داخلية أو خارجية "خارج الوطن" المعروفة بالهجرة النازحة (*Emigration*) وتكون إليه فتعرف بالهجرة الوافدة، (*Immigration*)، التي هي دخول الأجانب إلى بلد بهدف الإقامة المؤقتة أو الدائمة، وتقابلها الهجرة النازحة، يراجع، ناتاليا يفيميروفا وتوفيق سلوم، معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام روسي انجليزي عربي، دار التقدم موسكو، بيروت 1992، ص: 211، 283.

² - في نظر كونت تفعيل الظواهر الاجتماعية أسبابها ومنحائها ونتائجها لبحث العوامل المؤثرة في التعديرات وقانون تكيف الفرد مع منظومة العلاقات الاجتماعية، أو تكيف الفرد مع منظومة العلاقات الاجتماعية، أو تكيف المجتمع مع الظروف المستجدة والتقدم الاجتماعي؛ المرجع نفسه، ص: 406.

³ - حسن الصادقي: "الوجود المغربي في المشرق من خلال كتب التراجم المشرقية"، مجلة المناهل، 38 (1989) ص: 292، لا يعتبر بعض الدارسين أن هجرة المغاربة نحو المشرق، بالهجرة الخارجية، بل داخلية أو وسط بينهما، لاعتبار المغرب جزء من خريطة العالم الإسلامي المفتوح للحجاج وطلاب العلم والتجار، أنظر، مفتاح خلفات، مرجع سابق، هامش 1، ص: 420.

⁴ - محمد الغضبان، "رحلات التجار بين افريقية إلى صقلية والمشرق في القرنين 4-5هـ/ 10-11م من خلال بعض النوازل والفتاوى"، المجلة التونسية للدراسات الاقتصادية والاجتماعية، 47 (2010)، ص:

عوامل التواجد المغربي بمصر:

ترتبط حركة الإنسان في المجال الجغرافي ارتباطا وثيقا، في رصد لحركته وارتحاله في حركة دءوبة، كما في عالم البحر المتوسط، فهو في اتصال دائم بين الغرب المسيحي والدول الإسلامية، وعانى ساكنوه على مر العصور ما لم تعانیه أمم البحار الأخرى⁽¹⁾، بسبب توتر العلاقات بينهما فتحكمت فيه عوامل صراع حضاري⁽²⁾ بين ضفتيه، الشمالية والجنوبية هذه الأخيرة المنفتحة على شرق المتوسط، محجّ المسلمين والمسيحيين على السواء، وهو بالضرورة ليس مركز بحثي، وإن عدّ رافدا مهما في تصور مآل الوفادة المغربية الأندلسية لمصر وباقي العالم الإسلامي.

فشدت الرحال⁽³⁾ إلى المشرق الإسلامي وكثرت الوفادة إليه، مما عزز عوامل الارتباط بينهما، وبخاصة مصر التي استقبلت العديد من المغاربة، وتتحدد معالم الوفادة ووجهتها؛ بشكل يدعو للدراسة والتمحيص خلال الفترة الإسلامية، وقد ارتبط بادئا بحركة الفتوحات الإسلامية بجوار الأقاليم، فالحجاز، والشام، ثم مصر، ومها نحو المغرب، ثم الأندلس وصقلية، فكانت الهجرة من الشرق نحو الغرب، فيما يحدث العكس في هذا البحث ليتحول اتجاه الهجرة من الغرب نحو الشرق.

¹ - علاوة عمارة، الغرب من منظور ابن خلدون، مجلة رؤى، 18-19، (2003)، ص: 88.

² - هل من الممكن أن نخرج بتساؤلات أن الحروب الصليبية في بدايتها (488 هـ/1095 م) التي اندفع فيها الغرب المسيحي لاحتلال الجزر المسلمة مثل صقلية ومالطا وما تبعها من احتلال الشام، وبعض سواحل المغرب، وهي إحدى حلقات الصراع الحضاري المفضي للسيطرة الاستعمارية الأوروبية للعالم الإسلامي رغم تأخر وقوعها بعد السيطرة العثمانية لاحقا، يراجع، علاوة عمارة، نفسه، ص: 88، وكذلك، قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1990، ص: 11 وما بعدها.

³ - ابن عباد إسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت، ج3، 1994م، ص: 78، والارتحال هو الرحلة، والرحيل هو اسم ارتحال القوم، والمرتل نقيض المحل...

فلفظ "المغاربة" هو المصطلح الشائع للدلالة على الأعلام والفئات البشرية الوافدة من الغرب الإسلامي برمته، بما في ذلك الأندلس أي الغرب الإسلامي، هذا الاستعمال الواسع لهذا اللفظ (مغربي) نجد له مبرراته التاريخية على الأقل في كونه يتماشى فيما كان قصده الرحالة والمؤرخون العرب الذين ترجموا أو كتبوا عن الأعلام الأندلسيين⁽¹⁾ والمغاربة في بلاد المشرق⁽²⁾.

فالمصادر لا تقم تمييزا واضحا بين الأندلسيين والمغاربة "مغاربة المغرب الأقصى"، ولا بين هؤلاء وسكان المغربين الأوسط والأدنى، ويبدو أن جميع الذين جاءوا من الأندلس أو من أقطار المغرب عرفوا بـ(المغاربة) بشكل عام؛ وتتضح مشاركتهم على مختلف فئاتهم عندما نتقصى أخبارهم، فنجدهم مشاركين في إدارة شؤون مصر الفاطمية، أو منهم من كان تحت إمرة العساكر الأيوبية⁽³⁾

¹ - حَرَصَ الأندلسيون على التأريخ لمشاهيرهم في كتب التراجم والطبقات، وجعلوها سلسلة مكملة بعضها منذ مطلع إنتاج المعرفة في الحضارة الإسلامية، بدأت بالخشني (ت366هـ/976م) بقضاة قرطبة، وابن الفرضي (ت403هـ/1093م) في كتابه تاريخ العلماء والرواة...، ثم ابن حيان (ت469هـ/1076م) بالمقتبس، ثم الحميدي (ت488هـ/1095م) في كتابه جذوة المقتبس، وواصل بعده ابن بشكوال (ت587هـ/1202) بكتابه الصلة، وجاء بعده أيضا ابن خاقان (ت529هـ/1134م) في كتابه القلائد، كما توسع لاحقا ابن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م) في موسوعته الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ثم ابن الأبار (ت658هـ/1260م) في كتابه التكملة لكتاب الصلة، لينزل التكملة بعدها عبد الملك المراكشي (ت703هـ/1342م) في الذيل والتكملة، وأخيرا ابن الزبير (ت808هـ/1308م) في صلة الصلة.

² - عن أشهر الرحلات المغربية، يراجع سعد زغلول عبد الحميد، "ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجريين- الثاني والثالث عشر الميلاديين"، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، مصر (1954م)، ص:95-117، وأيضا، علي إبراهيم كردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق 2013، ص:12، 6، 8.

³ - الدولة الأيوبية تمركزت في مصر والشام وتمدد نفوذها أحيانا لبعض أنحاء الجزيرة وتأسست (565-650هـ/1169-1249م) وقد نشأت كامتداد لدولة عماد الدين زنكي السلجوقية والتي قامت بأعباء الحملة الصليبية الثانية (545هـ/1147م)، كما أنها خلفت الدولة الفاطمية في مصر التي عجزت عن التصدي للخطر الخارجي بسبب التفكك الداخلي، للمزيد يراجع محمد جابر الأنصاري، التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق في آثار ابن سعيد المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ص:24.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

والمملوكية، أو المقيمين بالمرافق الموقوفة عليهم في الديار المصرية والشامية، أو المجاورين ببيت المقدس الشريف، أو المتوجهين لقضاء مناسك الحج.⁽¹⁾

واعتبرت عملية تواجد المغاربة بمصر عملية بنيوية، تكفلت بها عوامل وظروف تاريخية، انفتحت إثرها الرحلة أمام المغاربة نحو مصر لغرض العبور أو العودة أو الاستقرار، ولعل مجموعة العوامل المتحكمة فيها، تتنوع بين السياسي والديني والثقافي والعلمي، والمشاركة في الجهاد والمرابطة، تنصرف لا محالة إلى عوامل داخلية طاردة خارجية جاذبة، وهي متعددة ومتنوعة، وترتبط بعضها ببعض بل تتداخل أحيانا وتجتمع⁽²⁾ كالعوامل السياسية والدينية الثقافية والعوامل الاقتصادية.

¹ - نواف عبدا لعزيز الجحمة، "صورة الغرياء المغاربة في مصر والشام خلال عصر الحروب الصليبية، الصليبية"، مجلة دعوة الحق، 40(2011م)، المغرب، ص:63.

² - حسن الصادقي، المرجع السابق ص:296، وكذا محمد الغضبان، المرجع السابق، ص:354.

1- العوامل الطارئة: السياسية:

إن البحث في ارتباط المغرب بمصر في الفترة الإسلامية له مرتكزات تاريخية، بعد انطلاق العمليات العسكرية من الفسطاط نحو برقة واستمرارها لاحقاً حتى حدود منتصف القرن (1هـ/7م) واختطاط مدينة القيروان (50هـ/670م)، التي عدت أول حاضرة إسلامية مغربية ذات الملامح المشرقية، بمكوناتها العمرانية والبشرية، تؤدي وظيفة استقرار جند الفتح⁽¹⁾ ومباشرة الفتوحات منها، ومن أوائل من كتب عن تاريخ فتوح مصر والمغرب هو ابن عبد الحكم (ت 257هـ/871م)⁽²⁾، رغم أنه سبقه لذلك كل من الواقدي (ت 207هـ/832م)⁽³⁾ وكذا خليفة بن خياط العصفري (ت 240هـ-854م)⁽⁴⁾

إذن فلا جدوى من البحث في التجاء الأندلسيين واستيلائهم على ميناء الإسكندرية في سنوات "200-208هـ/618-848م"، ما لم يعزى ذلك للصراع الدائر حاه في البحر المتوسط بين البحارة الأندلسيين والبيزنطيين⁽⁵⁾، ونقل ذلك الصراع إلى مصر من قبيل البحث عن مناطق إستراتيجية وتوسيع النفوذ،

¹ - محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن الأول إلى التاسع الهجري (7-14م) فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، 2004، ص: 61-72، وأيضا دراسة : *à propos de quelques agglomérations près de Kairouan Séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Volume 147 1 p. 211-226*

² - راجع ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها — تحقيق وتقديم ، محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996، ص: 7، وما بعدها

³ - الواقدي محمد، فتوح إفريقية، مطبعة المنار، تونس، 1966.

⁴ - تاريخ خليفة بن خياط العصفري، رواية بقي بن مخلد تحقيق سهيل زكار، دار الفكر دمشق 1992 ص 231,248,252.

⁵ - أحمد عبد اللطيف حنفي، الأندلسيون والمغاربة في مصر من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي 21-567هـ/642-1171م، الدراسة السياسية، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة: تاريخ المصريين، 2006م، ص: 45.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

وهو تواجد مبكر للمغاربة والأندلسيين تحكّمه عوامل سياسية عسكرية، في فترة قصيرة نسبيا وهي فترة بدون شك سهلت كثيرا الوفادة المغربية وأحلّتهم محل التوطن والإقامة، بل لحقت بهؤلاء الأندلسيين جماعة أخرى من أهل الربرض المطرودين من قرطبة في (202هـ-620م) كونا الاثنان شبه مجال مستقل، في الإسكندرية بعيدا عن الحكم المركزي، تُعبّر عن الإنتزاء والاستقلالية التي تشتهر بها الشخصية الأندلسية الراضية لحكم الأسر العربية، والغالب أن هؤلاء الأندلسيين مكثوا بالإسكندرية حتى إخراجهم منها بالقوة العباسية في (212هـ/828م) وتوجهوا نحو جزيرة اقريطش (كريت) وأسسوا بها حكما إسلاميا استمر حتى (350هـ/961م)، بعد أن استعادتها الدولة البيزنطية (1).

ويبدو أن هذا التواجد الأندلسي من كان من قبيل النشاطات الفردية التي حكمت الصراع الدائر في البحر المتوسط وجّه عناية المغاربة والأندلسيين باكرا نحو مصر بوابة الشرق بمختلف أطيافه وتناقضاته، رغم الخلاف الواقع بين المؤرخين عددهم هؤلاء المهاجرين، المقدّر بنحو 5000 فرد (2). وتتمتع الإسكندرية بموقعها الجغرافي ودورها الاقتصادي والسياسي (3) وأهمية مينائها

¹ - سحر عبد العزيز سالم، الهجرات الأندلسية المورسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط (النتائج الديمغرافية والسوسولوجية والحضارية) أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، كتاب تكريمي في ذكرى رحيل المؤرخ عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2006م، ص: 248.247.

² - حيث يرى الكندي أن عددهم كان 15 ألفا، بينما يرى اليعقوبي أن عددهم لا يتجاوز 3 آلاف باحتساب عدد السفن المقلّة لهم، ينظر عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية مصر، 1982م، ص: 129-146.

³ - أدى ميناؤها دورا مهما في ربط العلاقات وتوثيقها فيما بينها وبين بلاد المغرب والأندلس فهي ثغر من الثغور الهامة، ورباطا مهما منذ الفتح الإسلامي لها وقد بلغت رابطة الإسكندرية في عهد معاوية سبعة وعشرون ألف جندي منهم عشرة آلاف من أهل الشام وخمسة آلاف من أهل المدينة؛ وفيها قيل أربعة أبواب من الجنة مفتحة في الدنيا: "الإسكندرية وعسقلان قزوين، وجدة"، كما أنها المحطة الأولى لرحلة المغاربة نحو المشرق؛ يصلون إليها بعد عناء ومشقة عبر الصحراء حينما وعبر السفن حينما آخر، فأقاموا بها طلبا للراحة من عناء السفر واستعدادا لإكمال المسيرة نحو الحجاز، وعند العودة منهم من يغادرها، ومنهم من يؤثر البقاء فيها مرابطة، أو لطلب العلم، لما تيسر لها من ذلك بفضل رعاية السلطان للغرباء

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

في ربط العلاقات وتوثيقها فيما بينها وبين بلاد المغرب والأندلس؛ فهي ثغر من الثغور ورباطا⁽¹⁾، وهي رأس خط الملاحه الرئيس الرابط بين ميناء المريه بالجنوب الأندلسي

وما يبرر ارتباط المغرب السياسي بمصر أيضا التجاء الأمير الأغلبي زيادة الله آخر ملوك الأغالبة لمصر، صحبة ما تبقى من جيشه سنة(296هـ/909م)، وهي فترة حرجة من التاريخ المغربي، يضارع أوجاع الإمارات الإسلامية حال تغيير الأسر الحاكمة، والسنة نفسها تحمل تاريخ السيطرة الفاطمية على المغرب، وتلاشي القوى السياسية به تباعا...⁽²⁾

الوافدين، من مسكن ومدرس وحمامات ومارستانات، يراجع، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "م1، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ص:319، وأيضا ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق علي محمد عمر مطبعة الخانجي بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، 1999م، ص:60-63، لا بد من أن هذه الإحصائيات غير دقيقة ومبالغ فيها، ويصعب التعويل على صحتها.

¹ - الرباط في دائرة المعارف الإسلامية: "الرباط"، جمع ربط وهو اسم حربي للثغر الذي يربط فيه الجنود لمجاهدة العدو، ثم أطلق على الدار التي يربط فيها المتصوفون لمجاهدة النفس، وكانت هذه الربط من جملة مواضع التعلم، قد حفلت بذكرها المصادر، راجع مختصر دائرة المعارف الإسلامية - مادة رباط- ج 15، مركز الشارقة للإبداع الفكري 1989، ص:5079,580 وكذا أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران للتوزيع والنشر عمان، 2010ص:178، كما أنها المحطة الأولى لرحلة المغاربة نحو المشرق؛ يصلون إليها بعد عناء ومشقة عبر الصحراء حينما وعبر السفن حينما آخر، فأقاموا بها طلبا للراحة من عناء السفر واستعدادا لإكمال المسيرة نحو البقاع المقدسة، وعند العودة منهم من يغادرها، ومنهم من يؤثر البقاء فيها مرابطة، أو لطلب العلم، لما تيسر بها من ذلك بفضل رعاية السلطان للغرباء الوافدين، من مسكن ومدرس وحمامات ومارستانات، وأيضا جمال الدين الشيال، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، 2001، ص:50

¹ - أجمل ما قيل فيها وناقل إحساسه للتاريخ المقري وهو متأخر هذا الوصف: (ثم وصلنا بعد خوض بحار، يدهش فيها الفكر ويحار، وجوب فياف مجاهل يضل فيها القطا عن المناهل، إلى مصر المحروسة، فشفينا برؤيتنا من الأوجاع وشاهدنا كثيرا من محاسنها التي تعجز عن وصفها القوافي والأسجاع) يراجع المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (1041هـ/1631م) نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 1998م، ج1، ص:35.

² - يصادف هذا التاريخ سيطرة الفاطميين على بلاد المغرب بدءا بالقبروان ورقاده وتاهرت عاصمة الرستميين ثم سجلماسة عاصمة، يراجع فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (206-

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

وهنا يجب الإشارة إلى أن الارتحال لمصر اتصف بنوع من الترهل حتى استوي القرن (4هـ/10م) بانتقال الخلافة الفاطمية لمصر بعد تمام فتحها على يد جوهر الصقلي ت (381هـ/992م)⁽¹⁾، ليصبح طريق الارتحال نحو مصر معبدا بألوان شتى، تداخلت فيها عوامل فقدان المغرب لمكانته السياسية⁽²⁾، بعد أن كان يمثل مركز ثقل الخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية الوحيدة لتتصدع الوحدة السياسية لبلاد المغرب الشرقية، قبل أن يجد نفسه بعد نصف قرن من ذلك في مواجهة الهجرة الهلالية والسلمية⁽³⁾، والتي أفقدته زمام المبادرة

365هـ/909-975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، ترجمة حمادي الساحلي دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص: 112، 116، 155، وما بعدها، وكذا وأحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس دار النهضة العربية للطباعة والنشر ببيروت، ص: 185-199، والحبيب الجنعاني، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2005، ص: 207-222.

¹ - للمزيد يراجع ابن زولاق، مصدر سابق، ص: 82، وكذا علي ابراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1963م، القاهرة، ص: 9-38 وانظر أيضا *Hady Roger Idris La Berbérie orientale sous les Zirides Xe-XII siècles /vo.01., Paris 1962 p:166*

² - يعتبر العصر الفاطمي مهم ومؤثر بشكل كبير في تاريخ الهجرة المغربية لمصر، لاعتبارات أهمية العنصر المغربي، وكثافته في جيش المعز الفاتح لمصر، وظروف التنقل وتطور هذه الحركة لاحقا، مرتبط بتطور العلاقات بين مصر وبلاد المغرب طيلة فترة البحث (ق4-9هـ/10-15م)، وهي مراحل تاريخية اختلفت فيها توجه الكيانات السياسية واختلافاتها المذهبية في كلا المنطقتين، وبقدر ما تحمله من تناقضات، إلا أنها تثير أواصر التواصل بينهما، دونما انقطاع هذه الجسور خاصة في الشق العلمي، يراجع، جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص: 10-21، وما بعدها، رياض حميد الجواربي، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية (358-427هـ/968-1035م)، ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة العراق، 2007، ص: 22، وما بعدها، وأيضا، عبد المجيد مهنيني "أثر مهاجري المغرب الإسلامي في الحياة العامة بالمشرق خلال القرنين 6 و7 الهجريين، 12 و13 الميلاديين. المغرب والشرق العلاقات والصورة" أعمال ندوتي مارس 1994 ونوفمبر 1997م، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، المغرب، 1999م، ص: 19

³ - سبب دخول العرب الهلالية بلاد المغرب قطع المعز بن باديس الخطبة للفاطميين، وجعلها في القوائم بأمر الله العباسي وخطب على منابر سنة (437هـ/1045م)، لذلك عمد الوزير اليازوري لإصلاح ما بين زغبه ورياح وجشم والأثيج، واصطناع مشايخهم، ووصل عامتهم بيدنار ويعير فأباحهم أعمال القيروان ووعدهم بالمدد والعدد وأمرهم بالعبث والخراب، وقال لهم "أعطيتكم المغرب وملك المعز بن

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

السياسية، لتصبح بيد سكان المغرب بدل الشخصيات المشرقية منذ الفتح الإسلامي لتصبح بل تعدى ذلك للدفع بحضارة بلاد المغرب الإسلامي إلى التراجع الحضاري⁽¹⁾.

ورغم ذلك فانفتاح أعين الفاطميين على مصر لن يملهم في بلاد المغرب الكثيرة القلاقل والشديدة التمسك بالتمرد والثورات، مع مواجهة معارضة الجماعات الزناتية الإباضية والصفيرية منها⁽²⁾ بتشجيع من السلطة الأموية⁽³⁾، فاعتبرت سنة (361هـ/972م) حدثاً تاريخياً بارزاً ومهماً في تاريخ المغرب ومصر على السواء، برحيل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي حكم سنوات (365هـ/953م - 386هـ/975م)⁽⁴⁾ المرتبطة بالخلافة الفاطمية، وتوطيد حكمها

بلكين الصنهاجي العبد الأبق فلا تفتقرون فدخلت العرب المغرب سنة (443هـ/1052م) يراجع ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، ج6، 2003م، ص: 15 وما بعدها.

¹ - عالج علاوة عمارة الهجرة الهلالية وإشكالية الانحطاط الحضاري في كتابه وخصص له ما يقارب 28 صفحة في مناقشة الموضوع من خلال استعراض ونقد أثر الهجرة الهلالية على بلاد المغرب من جهات نظر مختلفة للمؤرخين والمهتمين بالموضوع من كتابه، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر 2008، ص: 7-36.

² - أخطرها التي عجلت برحيلهم، ثورة صاحب الحمار أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتي، يراجع ابن حماد الصنهاجي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق، أحمد جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للفتون المطبعية، الجزائر، 1984م، ص: 29، وما بعدها.

³ - يعالج نجم الدين الهنتاتي قضية انتقال الفاطميين لمصر على أنه لم يكن بسبب التصدي المالكى كما أوضحه بعض الدارسين فحسب، فقد أبرز فترات الوفاق المالكى الفاطمي، بل مرد ذلك لعامل خارجي مهم وهو تجمعات زناتة التي أقلقت الفاطميين وعجلت برحيلهم، راجع ، نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكى ببلاد المغرب إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، دار تيجر الزمان تونس 2004م، ص: 169، 170، وايضا عاشور منصورية، ورحماني موسى، "ابن حماد الصنهاجي ومنهجه في التأريخ لثورة صاحب الحمار، من خلال كتابه، أخبار بني عبيد..." مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع12/2015م، جامعة الوادي، ص: 310-339.

⁴ - وقد أرسل أكفاً قواده وهو جوهر الصقلي للاستيلاء على مصر من العباسيين، فدخلها وأسس مدينة القاهرة بالقرب من الفسطاط، والتي تعتبر أول عاصمة الأمويين في مصر، ووصله الإسكندرية في 6 شعبان 362هـ الموافق لـ: 26 ماي 973م يراجع، الداعي إدريس عماد الدين القرشي، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب

خصوصا الجماعات الكتامية المنخرطة في الجيش ومختلف المصالح الإدارية⁽¹⁾، سيكون لهم شأن كبير في الحياة المصرية كونهم عصبية الدولة من غيرهم، فأسندت لهم المناصب العسكرية والإدارية العليا في الخلافة الفاطمية والذين أبقوا على الموظفين المصريين كل في وظائفه وأشركوا مع كل موظف مصري موظف مغربي واعتبروا شيوخ دولة الفاطميين⁽²⁾.

والواضح أن دخول المغاربة كان تدريجيا؛ منهم من كان دخولهم قبل مجيء الإمام المعز وجماعات كتامية كثيرة العدد كانت معه في شكل هجرات للقاهرة وسنجد أخبارهم تردنا من مناطق متفرقة من مصر إذ توزعوا في صعيد مصر، وغيرها من البلاد المصرية⁽³⁾.

والذي أقرته بعض الدراسات⁽⁴⁾ على أن الفاطميين أعلوا شأن المغاربة، اعترافا منهم لما قدموه لهم في سبيل تحويل مشروعهم إلى واقع تاريخي، في إقامة كيان سياسي لهم بمصر بعد الذي كان بالمغرب، فكان عملهم بذلك تجاه المغاربة كرد للجميل؛ مما فسح المجال لتحرك قبائل مغربية أخرى، من غير عصبية الكتاميين، كجماعات من لواتة التي تحركت إلى شرق مصر⁽⁵⁾.

الإسلامي، بيروت، 1985، ص: 525، 541، 663، 717-725، وكذا المقرئ أحمد بن علي، اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ج1، ط2، المجلس الأعلى للثقون الإسلامية - القاهرة - 1996م، ص: 236 وما بعدها، وكذا ابن زولاق مصدر سابق، ص: 81-84.

¹ - لا يعول كثيرا على الإحصائيات رغم اعتمادها من بعض الباحثين مثل ما نجد أن العدد تجاوز 100 ألف مغربي يراجع فائق محمد البنداري الشيخ، الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية للمغاربة في القاهرة في العصر الفاطمي، 357-567هـ/969-1171م، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2008م، ص: 14.

² - الداعي إدريس عماد الدين الداعي القرشي، مصدر سابق، ص: 717 وما بعدها، وأيضا محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، 1995م، ص: 71.

³ - فائق محمد البنداري، مرجع سابق، ص: 15، 17، 16.

⁴ - نفسه ص: 17

⁵ - أحمد عبد اللطيف حنفي، مرجع سابق، ص: 51، سيتحدد لاحقا مظاهر الاستقرار المغربي في مصر من خلال الحارات الخاصة بهم في القاهرة الكتامية، حارة زويلة، حارة المصامدة، حارة البرقية، أنظر

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

لكن أهم ما يميز عالم البحر المتوسط في منتصف القرن (5هـ/11م) الانفصال السياسي المغربي عن المشرق، وتراجع الإمارة البادية بإفريقية، وانتقال عاصمتها إلى المهديّة، في حين تم نقل العاصمة الحمادية إلى مدينة بجاية التي استحدثها الأمير الناصر بن علناس سنة (460هـ/1067م) تبعه انقطاع في الطرق البرية في القرون اللاحقة.

كما صعد المرابطون الأندلس شمالاً لإيقاف الزحف الفيكينجي، يقابله صعود نجم السلاجقة المستولون على السلطة في بغداد، والذين انتشروا بانتصارهم على البيزنطيين في موقعة ملازكرد سنة (463هـ/1071م)⁽¹⁾ وأن طُبعت هذه المرحلة بالطابع البدوي⁽²⁾، نتج عنه في المغرب فرار سياسي، بعد توافد قسري معبر عنه في شتى النصوص التراثية بالفرارية والتغريبة⁽³⁾ تجاه البلد الآمن خارجياً كالذين رحلوا إلى مصر مئاغرين ومجاهدين⁽⁴⁾.

المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، ط2، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1987م، ص:289، وكذا ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف، الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970، ص46 وما بعدها.

¹ - في بعض المصادر تعرف موقعة ملازكرد أقصى شمالي أذربيجان، (463هـ/1071م) حقق السلاجقة انتصاراً باهراً وأسروا إمبراطور الروم البيزنطي "رومانوس ديو جانيس *Romanos dio genes* ووضع ألب أرسلان قدمه على رقبة الإمبراطور المهزوم على عادة الأتراك، عن دولة السلاجقة ومعركة ملازكرد، يراجع: المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1997م، ج1، ص:136-147، وأيضاً، كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية الرومانية، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1983م، ص:239، وما بعدها.

² - لطفي بن ميلاد، إفريقية والمشرق المتوسطي من أوائل القرن 5هـ، 11م إلى مطلع ق 10هـ/16م وقائع الانفصال وتحديات الاتصال المغاربية لطباعة وإشهار الكتب تونس 2011، ص:9.

³ - والغربة والغرب بضم الغين، هو النزوح عن الوطن والأغتراب، يراجع حميد الحداد، النفي والعنف في الغرب الإسلامي، 2013، دار إفريقيا الشرق المغرب، ص:14. وكذا مفردة إخراج، وانتزاع ولجوء للاستزادة يراجع حسن الصادقي، الوجود المغربي في المشرق، مجلة المناهل ع38 السنة15، ص:305

⁴ - لطفي بن ميلاد، المرجع السابق، ص:10.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

جدير بالملاحظة أن أغلب الإشارات الواردة في استعمال كلمة الغريباء كانت في مدونات الرحلية المغربية عند ابن جبير⁽¹⁾، وابن بطوطة⁽²⁾ على سبيل المثال؛ وقد جاءت مقرونة بالجالية المغربية والأندلسية الوافدة على المشرق الإسلامي؛ وذلك لكثرة المرافق الموقوفة على الغريباء عامة، والمغاربة خاصة في بلاد مصر والشام⁽³⁾.

ما نلاحظه أيضا أن التغريب أو الفرار ارتبط بتبدل الأحوال السياسية الداخلية للأسر المتغلبة والتي عادة تشوبها الدسائس والمكائد والحروب، إما داخل الأسرة الواحدة أو أسر متطلعة للحكم أيضا⁽⁴⁾ بشكل عام؛ مختلفة إيديولوجيا وسياسيا شهدها تاريخ الأندلس بعد فترة ملوك الطوائف، وقد بينت لنا وثائق الجنيزة القاهرة⁽⁵⁾، هجرة يهودية ومغربية أيضا إلى مصر في العصر الفاطمي والتي سبقت العصر المرابطي (485-541هـ / 1146-1202م) وبعدهم جاء الموحدون (541-668هـ / 1146-1273م)، وبينت أيضا هجرة من المغرب باتجاه مصر.

¹ - ابن جبير (ت: 614هـ / 1217م) رحلة ابن جبير، تقديم سليم بابا عمر، موفم للنشر-الرباطية- الجزائر 1988م.

ابن جبير، مصدر سابق، ص: 12، 17، 18.

² - ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، نشر علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، ط4، ج1، 1985م، ص: 272-273.

³ - محمد علم الدين الشقيري، صورة مصر عند رحالة المغرب والأندلس من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، مصر 2005، ص: 22-30.

⁴ - حسن الصادقي، مرجع سابق، ص: 305.

⁵ - الجنيزة في معنى كنوز المحفوظات، كما تتفق مع عبرية العصر الوسيط في معنى (المستودع أو الكتاب المطروحة) وهو مشتق من جنز، بمعنى أخفى أو كمن، وهي وثائق مهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لمناطق حوض البحر المتوسط في العصور الوسطى نقلت إلى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ونشرت هنالك، راجع: حسين محمد ربيع: وثائق الجنيزة وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ اليمن والحجاز في العصور الوسطى، دراسات تاريخية، الرياض 1979، ج2، ص: 132، للتفاصيل راجع: غويتاين: "وحدة عالم البحر المتوسط في أواسط العصور الوسطى" في كتاب: دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية، ت: عطية القوصي، القاهرة، ص411، وأيضا مادة Geniza، بقلم، س، د، جواتين SD Goitein في دائرة المعارف الإسلامية، ط2، باللغة الإنجليزية، لندن 1965، ص: 987، 989.

إلا أن تغيير الكيانات السياسية تبعه لا محالة التبدل العقائدي، كان من إحدى نتائجها ظهور طبقة أو مجموعة واسعة معارضة للطبقة الحاكمة السياسية؛ لما تضررت مصالحها المادية والمعنوية، فكانت بذلك الهجرة الأندلسية والمغربية على السواء⁽¹⁾، ولنا نماذج كثيرة بعد تزايد مضايقات الموحدون على أنصار النظام المرابطي السابق، اجتمعت هذه الأسباب لتشكّل عوامل طرد لجماعات غادرت الغرب الإسلامي نحو مصر حاملة ألقاب عائلات الأندلسي، والصنهاجي منهم على سبيل الذكر، الأمير ابن شداد بن تميم بن المعز بن باديس⁽²⁾، الذي لجأ إلى صقلية ثم شارك في فتح تونس مع عبد المؤمن بن علي ثم ذهب إلى دمشق وأصبح أحد أمراء العساكر في جيش صلاح الدين الأيوبي (532-589هـ/1138-1193م)⁽³⁾ والتاهرتي والفاسي والصقلي والطرابلسي، ذكرت في وثائق جنيزة القاهرة⁽⁴⁾ والتي تعود للقرن (5هـ/11م)، وأوائل القرن 6هـ/12م)⁽⁵⁾.

إن الظروف السياسية كانت بلا شك عاملاً مهماً في تسريع عملية الوفاة المغربية والأندلسية إلى البلاد المصرية، فالتفكك الداخلي والهجمات الخارجية كان ميزة الغرب الإسلامي، عكس المشرق وإن تغيير نظام الحكم في مصر، بعد سقوط الخلافة الفاطمية⁽⁶⁾، فأضحت عامل جذب واستقطاب

¹ -عبد المجيد بهيني، مرجع سابق، ص: 18

² - علاوة عمارة، دراسات، مرجع سابق، ص: 161.

³ - بهاء الدين بن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "سيرة صلاح الدين" تح، جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة 1964م، ص: 126.

⁴ - جواتيين، مرجع سابق، ص: 212-213

⁵ - عبد المجيد بهيني، مرجع سابق، ص: 20 وكذا علي أحمد، "مساهمات الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية في مصر والشام"، مجلة التراث العربي، صادرة عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 67، 1997م، ص: 73.

⁶ - تاج الدين محمد بن علي بن يوسف، المنتقى من أخبار مصر، الذي انتقاه المقريزي، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1981م، ص:.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

بوتيرة متصاعدة ودائمة للمغاربة، ومصر التي تنعم باستقرار سياسي، تحت حكم أسرة آل زنكي منذ(541هـ/1146م حتى 569هـ/1173م)⁽¹⁾، التي وُحِّدَت مصر والشام لاحقا في مواجهة القوى الصليبية التي اخترقت جدار الشرق.

وكان بناء الوحدة الإسلامية لمواجهة الموجة الصليبية قد مهدت له الأسرة الزنكية بدعم الوحدة المذهبية حيث انتشرت دور الحديث ومدارس لدعم علماء السنة وفقهائها⁽²⁾، واسترجاع منزلتهم في الحياة العامة، فعادت لهم الطمأنينة التي فقدوها بعودتهم لمذهبهم المالكي في الفروع، والأشعري في العقيدة الذي وُحِّدَهم في الغرب الإسلامي⁽³⁾ فمذهب مالك وقراءة نافع وهم

¹ - كان قسيم الدولة أقر سنقر بن عبد الله؛ والد عماد الدين زنكي هو مؤسس الأسرة الأتابكية؛ وكان مملوكا تركيا من ممالك ملك شاه ومن خاصة أصحابه، فلما آلت السلطنة لملك شاه أقطع صديقه أقر سنقر حلب وأعمالها، وحماة ومبنيج واللاذقية وتكريت سنة (470هـ/1078م)، ولما توفي أقر سنقر في إحدى حروب الوراثة السلجوقية آل العرش ورث لابنه الصغير عماد الدين زنكي وهو في العاشرة من عمره ليتولى تنشيطه قربوجا احد أصحاب والده وهو أمير الموصل وماحوها وقد أنقذه نجم الدين أيوب صاحب تكريت بعد هزيمته في إحدى المعارك، فلما طرد نجم الدين أيوب من مدينته أجاره عماد الدين زنكي وأسرته وساعده نجم الدين أيوب في الاستيلاء على حلب سنة (522هـ/1128م) وأنقذها من تهديد الصليبيين لها وساعده في الاستيلاء على بعلبك سنة(533هـ/1139م)، كما استولى عماد الدين زنكي بمساعدة نجم الدين أيوب وأخيه أسد الدين شركوه على دمشق سنة 539هـ. ولما قتل زنكي على أحد مماليكه سنة (541هـ/1147م)، خلفه ابنه نور الدين محمود على حكم حلب وحكم الموصل أخوه سيف الدين غازي، عن الزنكيين، ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق محمد يوسف الدقاق، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4، 2002م، ج 9، ص:359 وما بعدها، وكذا أبوشامة، مصدر سابق، قسم 1، ص:60،181،221، وكذا ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنبياء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 1978م، ج 1، ص:241.

² - عن شيخو الإسكندرية السنة ومدارسهم ينظر أبوشامة، مصدر سابق، ج 1، ص:309، وهامشي، رقم 3 و 4 من نفس الصفحة، وأيضا المقرئزي، السلوك ج 1، مصدر سابق، ص:63،76، وكذلك ابن شداد النوادر السلطانية، مصدر سابق، ص:9.

³ - يشكل مذهب الأشاعرة مذهباً وسطاً بين الاعتزال ومذهب أهل السنة الأشعرية هم مذهب المالكية عقدياً، ولقد تم تأسيس هذا المذهب في أوائل القرن 4 الهجري-10 الميلادي على يد "أبي الحسن الأشعري (873-935م)، غادر صفوف المعتزلة عند بلوغه سن الأربعين، بحسب رواية أتباعه يمتاز برفضه غلو أهل السنة في التقليد، وغلو المعتزلة في العقلانية، ينظر الفرد بل الفرق الإسلامية ص124.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

يقولون.... لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك وإن عثروا على معتزلي⁽¹⁾، أو شيعي⁽²⁾ أو نحوه ربما قتلوه⁽³⁾.

وقد تحقق فعليا في افريقية إذ تحمس العامة للمجازر ضد الشيعة الإسماعيلية بسبب نجاح الدعاية الكبيرة لفقهاء المالكية فقد كفروهم واستحلوا دماءهم، وأنهم كحال المرتدين والزنادقة⁽⁴⁾.

فتوسعت دائرة محاربة الشيعة الإسماعيلية مغربا ومشرقا وانتدب لهذه المهمة السلاطين والعلماء في القطرين⁽⁵⁾، حيث ذكر أن أول من دعا للعباسيين بمصر⁽⁶⁾ وقطع خطبة الفاطميين هو الأندلسي الشيخ الحافظ اليسع بن عيسى بن حزم بن عبد الله بن اليسع بن عمر الغافقي" الذي صعد المنبر والإعزاز

¹ - هم أصحاب واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري، وقرر المنزلة بين المنزلتين التي هي أصل من أصول المعتزلة الخمس ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ، ويلقبون بالقدرية، يراجع: الشهرستاني، الملل والنحل، دار الكتب العلمية بيروت ج 1، ص:38، وكذا ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل تج:أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج2، ص:132 وما بعدها.

² - يراجع الشهرستاني، مصدر سابق ص:44 وما بعدها ، وكذا ابن حزم، الفصل ، مصدر سابق ، ص: 113-126

³ - المقدسي أبو عبدا لله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد خزوم، دار إحياء التراث العربي بيروت، ص:195، الكلام الذي أسوقه يعبر عن واقع تاريخي في المغرب والأندلس التي لم تكن تحت سيادة الفاطميين ووفاته في نهاية ق4هـ/10م يمثل قوة الدولة الأموية بالأندلس وفي القيروان كان الصراع المذهبي على أشده.

⁴ - القاضي عياض، مصدر سابق، ج 2 ، ص:49،47،41.

⁵ - احمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص:65-86.

⁶ - لم يتردد صلاح الدين الأيوبي من تنفيذ خطته بعد توافر مجموعة من الظروف والأسباب في تنفيذ ما ألزمه به الخليفة العباسي، المستضيء بنور الله وتمت له الدعوة في الجمعة الأولى من المحرم سنة(567هـ/1171م)، لتعم باقي المساجد في الجمعة الموالي، وأعقب ذلك وفاة العاضد الفاطمي أحر الخلفاء الفاطميين في العاشر من محرم(567هـ/1171م) يراجع سحر عبد العزيز سالم العراقيون في مصر القرن 7 هـ /13م الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 1991ص:4.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

حوله، وسيوفهم مصلّات خوفًا من الشيعة، أن ينكروا فيقوموا، ولم يجسر أحد أن يخطب سواه فحظي بذلك" (1).

غير أن أعظم عامل أفرز ظاهرة اللجوء أو الفرار في العدو الأندلسية، بعد سقوط الدولة الأموية بانفراط عقد وحدتها، وظهرت مجموعة الإمارات التي عرفها التاريخ بدول الطوائف المتفرقة (2) التي تجاوز عددها الخمسين دولة والتي لم يتجاوز حدود سلطاتها المدينة الواحدة، وأكثرها لم تعمّر إلا شهورا، أو سنوات قليلة (3)، وكانت متنازعة متهاكّة، وطمع فيهم النصراني كما وصفها الفتح بن خاقان، بعد سقوط الخلافة الأموية "ولما ثل عرش الخلافة وخبأ نجمها، وهوى ركن الإمامة وطمس رسمها وصار الملك دعوى وعادت العافية بلوى.... واستأسد الضبي في كئاسه وثار كل واحد في ناسه" (4).

وقد تضررت مصالح بعض الأسر في العدو الأندلسية ماديا ومعنويا بسبب سقوط دويلات الطوائف نهائيا في الأندلس وقام بشأنها المرابطون (5)،

¹ -راجع ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص:331، وغالبا ما تصلنا هذه الروايات بصورة مشوهة، واسطورية، غير أن "أبي شامة" في عيون الروضتين، مصدر سابق، ص:312 يذكر أن أول من خطب لبني العباس بمصر هو أبو عبد الله محمد بن المحسن بن الحسين بن أبي المضاء البعلبكي، ويراجع أيضا، حاج عيفة، مرجع سابق، ص:39-40.

² - ابن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، القسم1، دار الثقافة، بيروت، 1997م، ج2، ص:573، وكذا ابن الخطيب، مصدر سابق، ص:121 وما بعدها.

³ - سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص:55، وما بعدها، وأيضا إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خل عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، 1998م، ص:39، وما بعدها، وكذلك رجب محمد عبد الحليم، العلاقات الإسلامية وإسبانيا النصرانية، في عصري بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، بيروت، ص:282-287.

⁴ - الفتح بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تحقيق حسن يوسف خرموش، مكتبة المنار، عمان، 1989، ص:80.

⁵ - منذ استنجد ملوك الطوائف بالمرابطين ارتبط مصيرهم بهم بدءا بابن عباد ملك اشبيلية الذي طلب النجدة من يوسف بن تاشفين وانتصاره في معركة الزلاقة المشهورة (479هـ / 1086م) لكن

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

الذين أخضعوها للحكم المركزي في المغرب لغرض حمايتها من غزوات المسيحيين وإحاقها بالمغرب، ثم جاءت الخلافة الموحدية⁽¹⁾، على أنقاض المرابطين، فسيطر الخوف والقلق على نفوس الأندلسيين بسبب تنامي الاضطرابات، التي ولدت فيهم روح التنقل والارتحال بحثا عن مناطق آمنة يستقرون فيها، وبما حملته التحولات المذهبية لهذه الدولة الحديثة والتي برزت فيها معارضة أندلسية وليدة⁽²⁾، وواقع الحال أسرة أبو بكر ابن العربي التي غادرت الأندلس⁽³⁾، عقب سقوط الإمارة المرابطية، وينقل المقرئ أحاسيس والد

الارتباط الفعلي بعد جواز المرابطين لاحقا في (483هـ / 1090م) وبدأ في خلع ملوك الطوائف تباعا، ينظر للمزيد، عبد الواحد المراكشي، المعجب في تاريخ المغرب ص: 76-127، و ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج3، ط2، دار الثقافة ببيروت، 1980م، ص: 239، وأيضا ابن الخطيب المصدر السابق، ص: 155-200، وابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص: 373-389. منذ أوائل ق7هـ/13م، بدأت مدن الأندلس تهاوى، فسقطت مدينة بياسة في (623هـ/1226م)، ومدينة ميورقة وبطليوس في (627هـ/1229م)، وماردة في (628هـ/1230م)، وأبدة في (630هـ/1235م)، ومرسية في (640هـ/1242م)، ودانية في (641هـ/1243م)، وقرطاجنة وجيان في (643هـ/1245م)، وشاطبة في (644هـ/1246م)، واشبيلية في (646هـ/1248م)، وشنتبرية الغرب في (647هـ/1249م)، ولبلة في (655هـ/1257م)، وقادس وطلبيرة وشلب في (659هـ/1260م)، وشريش في (662هـ/1263م)، لتبقى قرطاجة تقاوم السقوط الذي ينهي الوجود الأندلسي ليظهر لاحقا مصطلح المورسكيين.

¹ - عن قيام دولة الموحدين؛ ينظر البيدق، أبو بكر علي الصنهاجي، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، تقديم عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1971، ص: 27-31 ينظر أيضا لخضر بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي دار الصديق الجزائر، 2015، ص: 103 وما بعدها.

² - المراكشي، عبد الواحد، المصدر السابق، ص: 124-126، ابن الخطيب، المصدر السابق، ص: 235-204، وابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص: 356-365، كمال السيد أبو ضيف: تاريخ الأندلس في عصري المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية، ص: 58-61، محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ج1، ص: 304، ومحمد جابر الأنصاري، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1992، ص: 49، وما بعدها

³ - إحسان عباس، "الجانب السياسي في رحلة ابن العربي إلى المشرق"، مجلة الأبحاث، ج2، بيروت، 1963م، ص: 217-236. وأيضا، علي عشي، مرجع سابق، ص: 218، وتفاصيل ذلك عند:

Yann DE jugnatà L'ombre de la fitna; L'émergence d'une discoure du voyage à propos du Tartīb al-rihla d'Abû Bakr ibn al-'Arabî (m. 1148).Médiévales Langues, Textes, Histoire60 | 2011La fitna, Médiévales 60, p. 85-102.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر(ق4-9هـ / 10-15م)

أبو بكر بن العربي بقوله:(وقد كان فيها أبوه أبو محمد بأشيلية بدرا في فلكتها، وصدرا في مجلس ملكها، اصطفاه معتمد بن عباد اصطفاء المأمون لابن أبي دؤاد، وولاه الولايات الشريفة، وبوأه المراتب المنيفة، فلما أقفرت حمص من ملكهم وخلت، وألقته منها وتخلت، رحل إلى المشرق، وحل فيه محل الخائف الغرق)⁽¹⁾، وتبع ذلك كله في الأندلس كما في المغرب، بعد زوال حكم المرابطين استياء عام ائرتبدل الأحوال، وتدهورها وسوءها فكانت فكرة الهجرة والخروج من الأندلس تجاه المشرق الإسلامي كما عبر عنها أحدهم:" لما تعذرت مأربي واضطربت مغاربي، ألقيت حبلي على غاربي، وجعلت مذهبات الشعر رضاعتي....." ⁽²⁾.

ومما سبق الحديث عنه فإن تأثير الولاء السياسي، وعدم قدرة أصحابه على مسaire التطورات الجديدة أو القبول بالأمر الواقع يبدو واضحا خاصة بعد تسلّم الموحدون لمقاليد الحكم في الأندلس والمغرب⁽³⁾ بانتصارهم لمذهبهم التومرتي⁽⁴⁾، وذلك بتوجيه التهم ضد مخالفيهم من المرابطين على أساس

¹ - المقري، مصدر سابق، ج2، ص:31 وكذا الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 1985م، ج 20، ص:198، 197، وبعده قال المقري في النفع ، مصدر سابق، ج1، ص:71

تركت رسوم عزي في بلادي وصرت بمصر منسي الرسوم
ورضت النفس بالتجريد زهدا وقلت لها : عن العلياء صومي
مخافة أن بالحرص ممن يكون زمانه أحد الخصوم

² - الوهراني، أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد، ركن الدين ، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان دار الكاتب العربي، مصر 1968، ص:10، تجد ترجمته عند ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص:358.

³ - علي أحمد، المرجع السابق، ص:74

⁴ - يراجع، البيدق، مصدر سابق، هامش رقم:1 ص:11. وابن خلكان. مصدر سابق، ج4، ص:45، وكذا ابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص:464، وأيضا مصطفى أبو ضيف مرجع سابق ص:396.395، وكذا سعد زغلول عبد الحميد"محمد بن تومرت ورحلته العلمية في المغرب والأندلس والمشرق 400-

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

الاشتغال بالفروع دون الأصول، وكل من لم يكن تومرتيا، موحديا فهو مخالف للملة، وعمل بقسوة، وسميت في كتب التراجم بالفتنة وقدرت المالكية خطورة الأمر، فغادرت بعض العائلات البلاد حاملة معها مشاعر الخوف والارتياح، لم يسعها فراق الأندلس والمغرب، بل ناءوا في البعاد، كما حدث للوليد محمد بن خيرة القرطبي (ت551هـ/1156م)⁽¹⁾ الذي كان من كبار المالكية كان متضلعا في شتى العلوم استفاد منه أهل قرطبة على عهده، واعتبر حكم الموحدين فتنة تستدعي الخروج منها على حد تعبير ابن بشكوال⁽²⁾ غير أنه قدم مصر، ثم الحجاز، فاليمن، فأراد الهند نأيا عن دولة بني عبد المؤمن فظل هاربا حتى مات في زبيد⁽³⁾ عام 551هـ/1156م، ثاني مدن اليمن بعد صنعاء وعلمائها أهل صلاح منهم من لقيه ابن بطوطة في مطلع القرن الثامن الهجري أي بعد سنة (729هـ/1329م)، أي بعد مرور قرنين من الزمن⁽⁴⁾.

ولما سيطر عليه الخوف وكاد الجنون أن يلعب بعقله خوفا من الموحدين، رغم بعد الإسكندرية عنه، إلا أنه قال: كآني - والله- بمراكهم قد وصلت إلى الإسكندرية.. ثم دخل مصر، وأقام بها مدة، فقال: والله ما مصر

514هـ/1106/1120م"، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع

الهجري، منشورات اتحاد المؤرخين العرب القاهرة 1997م، ص: 261-275

¹ - ابن فرحون المالكي القاضي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت؛ 1996م، ص: 410، وأيضا ابن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، اعتنى به ووضع فهارسه صلاح الدين الهواري، مجلد2، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، ص: 461 وكذا المقري، مصدر سابق، ج2، ص: 339.

² - ابن بشكوال، مصدر سابق، ص: 461

³ - مدينة باليمن جاءت في رحلة بن يامين التطيلي على أنها تبعد بمسيرة ثمانية أيام عن الهند البرية المسماة عدن، يراجع رحلة بن يامين التطيلي مصدر سابق ص: 345. وهي شديدة الحروهي أوسع رقعة وأكثرها بناء، بها نهر جار بظاهرها، راجع ابن فضل الله العمري: شهاب البين ابو العباس احمد بن يحيى (ت: 749هـ/1349م) مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ج4، تح محمد عبد القادر خريسان وآخرون مركز زايد للتراث ص: 22-23.

⁴ - يذكر منهم أبو محمد الصنعاني والفقهاء المحدث أبو العباس الأبياني، واجتمع بالقاضي أبو زيد عبد الرحمن الصوفي، يراجع ابن بطوطة، مصدر سابق، ج1، ص: 272-273.

والإسكندرية بمتباعدتين، ثم قصد الصعيد، وحدّث بقوص⁽¹⁾ بالموطأ، ثم قال : والله ما يصلون إلى مصر ويتأخرون عن البلاد، فمضى إلى مكة وأقام بها، ثم قال: يصلون إلى هذه البلاد ولا يحجون، ما أنا إلا هربت منهم إليه، ثم دخل اليمن، فقال: هذه أرض لا يتركها بنو عبد المؤمن، فتوجه إلى الهند حيث أدركته منيته بها سنة 551هـ 1156م، وقيل مات بزبيد التي باليمن⁽²⁾.

لم تكن العوامل الداخلية السياسية للأندلسيين وحدها عامل طرد؛ بل زاد من هوة ذلك ما تعرضت له معظم مدنه لحركة حروب الاسترداد المسيحي⁽³⁾، منذ نهاية القرن 5هـ / 11م ومزقتها طرائق قديدا، وما أعقبه من تصدع قلاع الأندلس وتساقط حصونه واجتياح ثغوره؛ فاستولى الأسبان على المدن الأندلسية بشكل نهائي سنة (659هـ / 1261م) عدا غرناطة⁽⁴⁾ التي استمرت على غاية سقوطها سنة (897هـ / 1492م)⁽⁵⁾، أعقب ذلك إجراءات تعسفية قاسية كوضع شارات على ملابسهم لتمييزوا عن غيرهم، فضلا عن منعهم من مغادرة الأندلس، ومن قبض عليه متلبسا أسروا وسترق، وصودرت جميع أملاكه، وأعقب ذلك فرض التنصير على السكان المسلمين، فكانت هذه

¹ - مدينة كبيرة بها منبر وأسواق جامعة وتجارات ودخل وخرج، والمسافر إليها كثير والبضاعات بها نافقة ، والمكاسب رابحة والبركات ظاهرة، يراجع، الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق "م1، عالم الكتب، بيروت، 1989، ص:128

² - المقري، المصدر السابق، ج2، ص:240-241.

³ - يراجع علي أحمد، "ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها" مجلة دراسات تاريخية، عدد97-98، جوان-جويلية 2007م، جامعة دمشق، ص:139.

⁴ - الإدريسي، مصدر سابق، م 2، ص:569.

⁵ - محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966، ص:21. وكذا مصطفى أبو ضيف، مرجع سابق، ص:487،486.

Lévi-Evariste Provençal; Histoire de l'Espagne musulmane Paris; 1944; tome 1;p215

المعاملات المذلة المهينة عامل طرد حتم على سكان الأندلس اللجوء والنزوح خارجا⁽¹⁾.

كما زاد القلق والاضطراب النفسي وترقب المصير المجهول، في التدهور العام اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا الذي ساد الأندلس، نتج عن ذلك غلاء المعيشة، فكانت الهجرة هجرات جماعية، أصبحت ظاهرة بارزة في تاريخ أندلس القرن 7هـ/ 13 م، خاصة الثلث الأول منه إذ كثرت أعدادهم بشكل لافت للنظر⁽²⁾ في المشرق خاصة مصر موضوع البحث .

هذا الهروب والهجرة كان اضطراريا يعكس الحياة السياسية والأوضاع الأمنية والاجتماعية المضطربة في تلك الفترة بالأندلس التي ساد الشعور بها على أنها دار حرب، لا يطمئن المسلم على دينه ونفسه وماله، فأولى له الفرار بدينه ونفسه وماله إلى البلاد الإسلامية شرقا وغربا⁽³⁾

كان على الدولة الزنكية والأيوبيّة أن توجه عنايتها بشؤون المغاربة والأندلسيين، وأن تتقصي أحوالهم في مصر وتعمل جاهدة على توفير أجواء الراحة المفضية إلى الإقامة خاصة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي(532-589هـ/1138-1193م) تجسد هذا الاهتمام بالمغاربة والأندلسيين، على الأقل في الاستعانة بهم وبخدماتهم في مجالات مختلفة كان منهم صيادلة وأطباء وأدباء ومحدثين⁽⁴⁾، وحتى في العهد المملوكي حظي المغاربة بعطف السلاطين وتقريبهم

¹ - عبد المجيد بهيني، مرجع سابق، ص:19، وعبد الله عنان ، نهاية الأندلس، مرجع سابق، ص:21، وكذا علي احمد، مساهمة الأندلسيين والمغاربة، مرجع سابق، ص:75.

² - علي احمد، نفسه، ص:75.

³ - الحسن شاهدي، أدب الرحلة في العصر المريني، الظروف، البواعث، الأنواع ، ط2، مطبعة دار القلم الرباط، ج1، 1990م، ص:147.

⁴ - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ج1، ص:121، وكذا السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص:184.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

لهم والسماح لهم بالتدريس والمشاركة في الحياة العامة⁽¹⁾، نطمح لتحليلها لاحقاً في الوقت الذي ستصبح مصر هي مركز العالم الإسلامي السياسي والديني⁽²⁾.

كما اعتبر المماليك⁽³⁾ أنفسهم حماة المسلمين جميعاً وبخاصة من تعرض منهم للغزو كحال الأندلسيين، الذين هجروا وأبعدوا من بلدانهم، أو الذين تعرضوا لهجمات الصليبيين في مصر والشام⁽⁴⁾، ومن ثم حاول الصليبيون إضعاف دولة المماليك التي تسيطر على التجارة الدولية في الشرق والغرب من هذا الباب⁽⁵⁾.

¹ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، ص:361،362، وأيضاً، نفسه، ج4، ص:327.

² - حامد غانم زياد، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك (ال خليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1978، ص:9-55.

³ - المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج2، ط2، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 1987م، ص 214.

⁴ - George Marçais , *La Berberie musulmane et l'Orient au moyen âge*; Paris 1946, p 40

⁵ - (W) Heyed, *Histoire du commerce du Levant au moyen- âge*, Paris 1885.pp 23-29.

2 - العامل الديني والثقافي: عوامل الجذب

أ- العامل الديني: الحج

يمثل العامل الديني العامل الرئيس بل هو المحدد في التوجه العام للمغاربة نحو المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحج والقيام بالمناسك، فلما كانت بلاد الحجاز والأماكن المقدسة لا تزال المقصد الأول لكل مسلم، تشدّ إليها الرحال من كل حذب وصوب لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد استكمال المناسك تتحد رغبة الحاج وفق ميوله ومقدرته في مشاهدة الأماكن المقدسة والمزارات الدينية الأخرى؛ كالمسجد الأقصى، وقبور الأنبياء والصحابة، في كل من الشام والعراق ومصر وغيرها⁽¹⁾، بل تدلنا المصادر التاريخية على أن العامل الديني هو الموجه للمغاربة في رحلاتهم بإقبالهم على الذهاب إلى الديار المقدسة والمجاورة بها إلى أن تحضرهم الوفاة أحيانا⁽²⁾، وحسبنا قول الفقيه تقي الدين بن دقيق العيد، في كثرة المغاربة بالوافدين على أرض الحجاز، بـ"أنهم عشاق مكة"⁽³⁾.

وكمفتاح للدراسة من حيث الدراسة الإحصائية لكتاب ابن الفرضي، السابق الذكر في معرفة عدد المتوفون من الأندلسيين خارج الديار، بلغوا 44 شخصية من المجموع العام 536 شخصية، بنسبة تصل إلى 8%، باعتبار أن 20 منهم احتضنتهم تربة مصر بنسبة 45%، ثم مكة بعدد 6 بنسبة 13%، والجدول التالي يوضح اتجاه المستقر⁽⁴⁾ كما يوضحه الجدول المرفق⁽⁵⁾

¹ - حسن الصادقي، المرجع السابق، ص: 296.

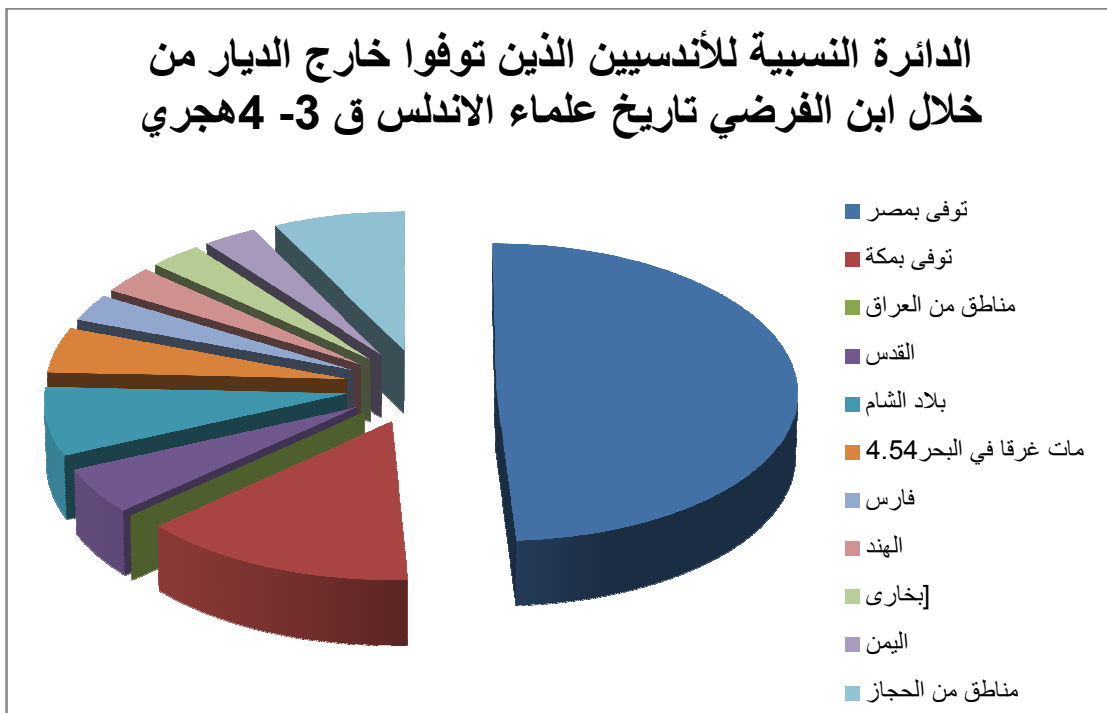
² - نفس المرجع والصفحة.

³ - التجيبي، استفاد الرحلة والاعتراب، مصدر سابق، ص: 20.

⁴ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ص 12-448.

⁵ - الجدول في آخر هذا الفصل.

وهو ما سجله ابن خلدون في أولوية القصد الديني فالقصد غالباً ما يكون "... الحجاز، وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم لازدهار مذهب الإمام مالك⁽¹⁾ الذي انتشر في معظم أنحاء المغرب والأندلس بعد القرن الثالث الهجري⁽²⁾.



ولقد افترق تلاميذ مالك بمصر والعراق، ولئن أهمل العراقيون لعدم أو تواجدهم في طريق المغاربة واحتفل بالمصريين وشدت إليهم رحال المغاربة من

¹ - يراجع ابن فرحون، مصدر سابق، ص: 56 وما بعدها، وكذا الذهبي، مصدر سابق، ج 8، ص: 48 وما بعدها، وكذا ابن النديم، الفهرست ضبطه وشرحه وعلق عليه وضبط حواشيه يوسف علي طويل، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، ص: 338، 339.

² - يراجع ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص: 480-481.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

أمثال ابن القاسم⁽¹⁾ وأشهب⁽²⁾ وابن عبد الحكم⁽³⁾، والحارث بن مسكين⁽⁴⁾ وطبقتهم...⁽⁵⁾.

وتنظم عادة قوافل الحجاج المغربية بالانطلاق من كبريات مدن المغرب الأقصى كمراكش وفاس وسلا وحتى حجاج الشنقيطين، فمن مكناسة وفاس فتملسان ثم وهران فمليانة ثم الجزائر ثم بجاية ثم قسنطينة بعدها بونة ومنها إلى باجة ثم تونس فالحمامات بعدها سوسة ثم المنستير فالمهدية بعدها صفاقس ثم القيروان ثم قابس فطرابلس ومصراتة فسرت ثم برقة⁽⁶⁾

وكان ركب الحج المغربي إمارة متنقلة، تخترق الجبال والقفار، لها أمير وأجناد يقومون على حراسة الركب، الذي فيه تجار وعلماء وأدباء وغيرهم من الناس⁽⁷⁾ ثم تلتقي على موعد مع حجاج المغرب الأوسط وحجاج افريقية وطرابلس، عبر مسلكين أولاهما المسلك البري المحاذي للبحر المتوسط ، وثانيهما المسلك البحري عبر البحر المتوسط نفسه .

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج 6، ص: 5، 6، وكذا ابن فرحون مصدر سابق ص: 239 وما بعدها.

² - الذهبي، مصدرا سابق، ج 9، ص: 501 وما بعدها وأيضا ابن فرحون، مصدر سابق ص: 162.

³ - يراجع الذهبي، مصدر سابق؛ ج 14، ص: 498 وما بعدها وكذلك ابن فرحون مصدر سابق ص: 330 وما بعدها.

⁴ - الذهبي، مصدر سابق ج 12، ص 501 وما بعدها وكذا ابن فرحون مصدر سابق ص 177.

⁵ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص: 481.

⁶ - شوقي عبد القوي عثمان حبيب، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك (648-922هـ/1250-1517 م، المجلس العلى للثقافة، القاهرة، 2000م، ص: 65-67. وأيضا ، علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ/8-16م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، 2016م، ص: 280، ما بعدها.

⁷ - محمد المنوني، من حديث الركب الحج المغربي، مطبعة المخزن، تيطوان، المغرب 1953، ص: 12، ويرى المؤلف أن أول ركب كان في أواسط العهد الموحد، ص: 7.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر(ق4-9هـ / 10-15م)

فالمسلك البري: يكون بمحاذاة الساحل وصولاً لمدينة الإسكندرية، مع ما كان من سوء تصرف واعتراض للحجاج⁽¹⁾، ثم مدينة رشيد⁽²⁾، ثم يركب الحجاج المراكب النيلية من رشيد حتى تصل جميعها القاهرة⁽³⁾، لتلتقي في نفس الوقت مع قوافل الحجاج المصرية ببركة الحاج⁽⁴⁾، وتواصل هذه القوافل القوافل رحلتها حتى تصل ميناء بحر القلزم⁽⁵⁾ "الأحمر" لتتواصل الرحلة إما برا عبر سيناء⁽⁶⁾، ثم تحاذي البحر الأحمر إلى ميناء جدة⁽⁷⁾ ومنها برا إلى المدينة المنورة ثم مكة المكرمة⁽⁸⁾.

إذن فمصر هي المحطة الرئيسية التي يتوقف فيها الحجاج المغاربة في طريقهم لأداء المناسك، أو عند العودة منه وما يصحب ذلك من زيارة قبر الرسول عليه السلام والأماكن المقدسة، إذ الهدف منه الحج وزيارة البقاع المقدسة، فكان هذا العامل الديني وراء استقطاب الرحلات المغربية في دراسة

¹ - العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد، رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم كروي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999م، ص: 216 وما بعدها.

² - هي مدينة متحضرة بها سوق وتجار ونفقة ولها مزارع وغلاة حنطة وشعير وبها جمل بقول حسنة كثيرة ولها نخل كثير وأنواع الفواكه الرطبة... وضروب السمك الذي هو بعض من تجارتهم، راجع الإدريسي، مصدر سابق، مجلد 2، ص: 343.

³ - يراجع المقرئزي، السلوك في معرفة الملك، مصدر سابق، ص: 43-44، وكذا ابن سعيد المغربي المغرب في حلى المغرب؛ قسم خاص بمصر تحقيق زكي حسن وشوقي ضيف، وسيدة كاشف، القاهرة، 1953م، ج1، ص: 11.

⁴ - في بركة الحاج وتسمى أيضا، بركة الجب أو جب عميرة، وهي قرية تقع في الشمال الشرقي للقاهرة بنحو خمس ساعات، وفي غرب الترعة الإسماعيلية بنحو ستة آلاف متر، وفي جنوب الخانقاه؛ يراجع، علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ج9، طبعة بولاق، مصر 1876م، ص 16.

⁵ - ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج1، ص: 11.

⁶ - محمد سالم، الرحلة إلى مكة دراسة في فكر الجغرافيين العرب، منتدى الفكر الجغرافي المعاصر، ص: 2، 3.

⁷ - مدينة على ساحل البحر أكثر بيوتها أخصاص، وفيها فندق مبنية بالحجارة والطين ولها سطوح يستراح فيها بالليل من أذى الحر وأكثر سكانها أشرف علويون وهم من شظف العيش وبخارج البلدة مصانع قديمة، يراجع ابن جبير، مصدر سابق، ص: 46، 45.

⁸ - ابن خردزابة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، مطبعة ليدن، 1889، ص: 43.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر(ق4-9هـ / 10-15م)

إحصائية لكتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي والذي ضمنه تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ومن خلال ترجمته لهم، تبين أن عدد الشخصيات بلغ 1651 وعدد الراحلين للمشرق 536، ومن لم تكن له رحلة عددهم 1115 فردا وتوزع النسب كالتالي: عدد الراحلين للمشرق: 536 بنسبة: 32.46، والاتجاه نحو المشرق، ولما كان هذا الركن من أهم الأركان وجب على المسلم الاستعداد للقيام بهذه الشعيرة وتجنب الأتعاب وأخطار الطريق، وربما لا يقنع المغربي بحجة واحدة بل يتعدى إلى أكثر منها كما هو حال نزيل مصر وقاضي المالكية بالإسكندرية يحيى بن محمد الصنهاجي الذي حج عشر حجج وجاور سنتين⁽¹⁾، ساعده في ذلك مجموعة من العوامل تصل أحيانا إلى تدخل الملوك لتشجيع الحج⁽²⁾.

وعند رجوع الحجاج المغاربة بعد أداء المناسك والقيام بالزيارات، لا بد لهم من الوقوف في مصر حيث مشاهد أخرى يزيد الحاج تشريفا لزيارتها؛ كانت محل معاينة ووصف للرحالة ابن جبير خلال سنة (578هـ/1183م) مثل جامع عمرو بن العاص⁽³⁾، بالفسطاط⁽⁴⁾، والجامع الأزهر⁽⁵⁾، والمشهد الحسيني⁽⁶⁾،

¹ - أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح علي عمر، المجلد الثاني مكتبة الثقافة الدينية، 2004م، مصر، ص: 334.

² - حسن الشاهدي، أدب الرحلة في العصر المريني، الظروف، البواعث، الأنواع. دار القلم الرباط، 1990م، ص: 97-98.

³ - وهي من بين أربعة جوامع في القاهرة حافلة البنيان أنيقة الصنعة، في هذا الجامع تقسم فيه الأموال على والمرتبات على القائمين عليه من الأئمة والسدنة والطلبة كان في زمن ابن جبير قوام 30 ديناراً مصرية في كل يوم، راجع ابن جبير، مصدر سابق، ص: 18.

⁴ - الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص: 323.

⁵ - يعتبر الجامع الأزهر أول مسجد أسس بالقاهرة على يد القائد جوهر الصقلي في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وقد كمل بناؤه في رمضان سنة 361هـ/972م، انظر المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج 1، ص: 273.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

الحسيني⁽¹⁾، ومقام الشافعي⁽²⁾، وقد يعود بعضهم لبلاد المغرب، والبعض منهم ينقطع للتعلم أو الاستقرار النهائي بالبلاد المصرية وهذا الذي يهمننا من رصد الحراك الديني المتمثل في الحج⁽³⁾.

تلك المحطات التي يحرص المغاربة على زيارتها ومشاهدتها بالعيان؛ إن في الفسطاط والقاهرة والأهرام⁽⁴⁾؛ والمدارس والمارستان والقرافة⁽⁵⁾ والتي كانت محل وصف من الرحالة المغاربة الذين شاهدوها وأحسنوا وصفها، وأبلغونا إعجابهم الكبير⁽⁶⁾.

فخلقت بحق هذه الرحلة الحجية جنين العلاقات الثقافية والاقتصادية معا؛ مما سهل كثيرا على القطرين المغربي والمصري الاهتمام بهذه العلاقات الناشئة وتطويرها فيقع التبادل بينهما⁽⁷⁾ خاصة في موسم الحج، حيث يلتقي فيه الحجاج لتبادل المعارف والتدريس وتبادل الإجازات وجلب الكتب مما أثرى

¹ - حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ع وهو مسجى في تابوت مدفون تحت الأرض مجلل بالديباج... في مصنع شبيه بالروضة يقيد الأبصار حسنا وجمالا، يراجع ابن جبير، مصدر سابق، ص: 12، 13.

² - وهو من المشاهد العظيمة احتفالا واتساعا وبني بإزائه مدرسة واسعة متكاملة المرافق تجوى النفقات على طلابها زمن صلاح الدين الأيوبي، نفسه؛ ص: 16، 17.

³ - عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين. دراسة تحليلية مقارنة، الرياض، 1996م، ص: 71-74.

⁴ - وصفها ابن جبير بالمعجزة البناء، الغربية المنظر، المربعة الشكل كأنها القباب المضروبة قامت في جو السماء، لاسيما اثنان منها أقيمت من الصخور العظام المنحوتة...وعلى مقربة منه أبو الأهوال، يراجع ابن جبير، مصدر سابق، ص: 22.

⁵ - الحميري، مصدر سابق، ص: 460، 461، وابن جبير، مصدر سابق، ص: 13، 14.

⁶ - عصمت عبد اللطيف دندش. دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2009م، ص: 227، 228.

⁷ - سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المملوكي في مصر والشام، مرجع سابق ص: 368.

أغلب الرحالة المكتبات وما تحصلوا عليه زاد علمي وعرفي فضلا عن رصدتهم للطرق والبلدان ولاستفادة من المشاهد المتنوعة⁽¹⁾.

ب - العامل الثقافي:

تتعزز أهمية العامل الثقافي في مميزات مختلفة وأوجه متعددة، أولها ما حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في طلب العلم والرحلة في سبيله⁽²⁾ أدرك المغاربة أهمية الرحلة التي قاموا بها نحو المشرق لتبقيتهم له وتواكلهم عليه، خاصة في الحديث والدراسات الفقهية فقد ركزوا في أخذهم على كبار الأئمة منذ القرن (2هـ/8م) كأبي حنيفة وسفيان الثوري بالكوفة والأوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر ومالك بن أنس بالمدينة وهذه جعل التركيز للمذهب المالكي بارزا بلاد المغرب⁽³⁾.

وعليه فإن العامل الثقافي ارتبط بالعامل الديني، فمع أن موسم الحج موسم تعبدي، فهو أيضا ملتقى ثقافيا إسلاميا يجمع نخبة من العلماء، فهو جامعة ثقافية إسلامية موسمية، بل يشمل حتى غير المثقفين، فكانت حلقات الوعظ والإرشاد وجلسات العلم تعقد في رحاب المسجد الحرام والمسجد النبوي⁽⁴⁾.

والرحلة إلى المشرق من أجل الأعمال التي تعلي من شأن أصحابها، الذي همه ملاقاتة الشيوخ والبحث عن رجالات العلم، لا يرى ما حوله ولا ما تحت

¹ - محمد ماكامان، الرحلات المغربية ق:11_12هـ/17_18م منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية الرباط، 2014، ص:21.

² - Houari Touati, *Islam et voyage au Moyen Âge. Histoire et anthropologie d'une pratique lettrée, Paris, Le Seuil, « L'univers historique », 2000, p 344.*

³ - نجم الدين الهنتاتي: مرجع سابق، ص:19.

⁴ - حسن الشاهدي مرجع سابق، ص:298-299.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

قدميه، كل همه جمع الكتب ولقاء الشيوخ وحضور حلقات الدرس والتتردد على المجالس العلمية في المساجد والمدارس ومنازل العلماء ودكاكينهم، وحتى أثناء صحبتهم في الطريق⁽¹⁾.

وتكون غاية المرتحلين الطالبين للعلم تقييد أسماء الشيوخ الذين لقوهم وأخذوا العلم عنهم، والحرص الأكبر على أخذ الإجازات عنهم⁽²⁾، ثم الإشارة إلى ما حملوه من مصنفاتهم تباها بما حصلوا عليه⁽³⁾؛ وتعاليا على من لم يغادر وطنه⁽⁴⁾، ومع التطور الملحوظ في الازدهار الثقافي والمعرفي لدى الأندلسيين في القرنين (4و3) الهجريين (9 و10م) الميلاديين، واستوائهم على سوق العلوم، رغم غلبة علم الحديث في مجال التأليف والكتابة على غرار العلوم الأخرى المرتبطة بالشيوخ وانتقالهم بالاشتغال بالوظائف الحكومية⁽⁵⁾، فكان منهم علماء ومفكرين منهم على درجة كبيرة من الأهمية⁽⁶⁾، إلا أن رحلتهم العلمية نحو المشرق لم تنقطع⁽⁷⁾، وقد أخذت

¹ - ابن رشيد السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين ومكة وطيبة، ج2، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، 1982م، ص: 83 وما بعدها، وأيضا عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية (ق7-9هـ/13-15م)، النشر الجديد الجامعي، 2016م، ص: 198، وما بعدها.

² - يراجع ابن عطية، فهرس ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأضفان، ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1983، ص: 85، 90، 95.

³ - عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، المغرب، 1999م، ص: 14-20.

⁴ - عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، ص: 217، 218.

⁵ - Mones, H, « Le rôle des hommes de religion dans l'histoire de l'Espagne musulmane jusqu'à la fin du califat », In *studies islamica*, T.XX, 1964, p.63

⁶ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج4، ص: 277-280، وكذا المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج1، تحقيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 1991، ص: 347-350-394.

⁷ - ذكر الفقيه عبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت238هـ/852م)، أن والده زوده بألف دينار عندما عزم على الرحلة إلى المشرق في طلب العلم، كما أباح له أن يستدين بألف أخرى إذا لزم الأمر، يراجع

توجه آخر بداية من الفترة الفاطمية في المرحلة المغربية، وكان المشرق هو المقصد الأساس، لطلاب علماء المغرب الإسلامي للحج والدراسة والاستقرار الذي سمح لهم بتشكيل حارات للمغاربة في دمشق والقدس ومكة والقاهرة، والإسكندرية⁽¹⁾، واستقرارهم بمصر بدأ في التجذر رغم السابقة السياسية في النصف الثاني من القرن (4هـ/10م)، بانتقال الخلافة الفاطمية من المغرب لمصر، متكئة على أهم سند قبلي وبشري ممثلا في العصبية الكتامية ومن ناصرهم، باتخاذهم قادة الدولة ووقودها، فانفتحت أبواب الهجرة على المغاربة والأندلسيين من غير الكتامين أيضا، رغم سيطرة التشيع على الحياة الفكرية⁽²⁾.

إن ما لحق بالمغرب جراء الغزو الهلالي، بسقوط حواضر وتدمير عواصم كالقيروان، وانهيار الثقافة في المدن، يقابله انتشار البداوة، وانعدام الأمن في طرق التجارة والمواصلات، اضطر النخبة العاملة للخروج من

الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق، ماريبا لوبسا أبيلا، لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد 1992م ص: 507؛ كما أنفق الفقيه يحيى بن عمر الكناني (ت289هـ/901م) ستة آلاف دينار في طلب العلم، تُرجم له في الإعلام ج8ص160، وعند ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق روحية بن عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص: 435، وعند الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2004م، ص: 274، وعند الضبي، بغية الملتبس في رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي، 1967م، ص: 377 وما بعدها، وعند القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ج3، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ص: 490. وعند ابن فرحون، المالكي القاضي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت؛ 1996م ص: 432.

¹ - علاوة عمارة، دراسات، مرجع سابق، ص: 105.

² - "استقطاب بلاد المشرق لطلاب المغرب الأوسط، عكس مدن مصر كالقاهرة والإسكندرية التي لم تحض بزيارات علمية واستقرار، بسبب سيطرة التشيع على الحياة الفكرية خصوصا جامع الأزهر"، يراجع علاوة عمارة، نفسه، ص: 107، سنفسر هذه الظاهرة التي لم يشهدها عموم مرتجلي المغرب، حينه من خلال تعداد المستقرين في هذه الفترة.

بلاطات الحكام إلى الأندلس حال ازدهار الحياة الفكرية زمن الطوائف، أو الاتجاه نحو دمشق، وبدرجة أقل مصر، بسبب إشكالية الولاء لغير مذهب الدولة الذي يحد من الانخراط السياسي والثقافي، ما عدا من كان في خدمة الفاطميين بالمغرب ورحلوا معهم⁽¹⁾.

كما تزداد أهمية الرحلة أيضا في طلب العلم، كونها إحدى طرق اكتساب المعرفة التي تؤخذ بطرق مختلفة، من تعلم ومحاكاة وتلقين بالمباشر وإلقاء التي هي أشد إحكاما ورسوخا، على قدر ملاقاتة الشيوخ لاختلاف طرق التوصيل فيها من المعلمين" فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال"⁽²⁾

وعليه لا يمكن إغفال النقاط التالية:

- طرق التدريس حتمت على طلاب العلم الرحلة لحضور حلقات الدروس والسماع المباشر من الشيوخ من رواة العلم وكتابة ما يملى عليهم.
- إن مدارس الشرق شكلت عامل جذب لطلاب العلم لطلب العلم، في حين كانت وجهة العلماء لغرض التدريس.
- تحتل فكرة ضرورة الأخذ عن الشيوخ مباشرة؛ والجلوس إليهم الأهمية الكبرى في نظام التعليم الإسلامي، فالعالم قدره بعدد الشيوخ الذين أخذ عنهم وأخذ عنهم وأجازوه وأجازهم⁽³⁾.

¹ - أسرة النعمان، موظفو الإدارة، الأطباء، وغيرهم، السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة،

ج 2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1968م، ص: 230، 147-237.

² - ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص: 626-627

³ - حسن الصادقي، المرجع السابق، ص: 299.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

ولما كانت مصر ممر الحج وطريقه الرئيس مرورا ببيت المقدس أيضا، والتي يعظمها المسلمون، ورود جملة من الآيات والأحاديث التي ترفع من شأنها فاستقطبت "بيت المقدس" المغاربة والأندلسيين، ففيها مشاهد أضرحة الأنبياء والصالحين وجملة من الآثار التي أثرت في نفوس المغاربة⁽¹⁾، فقصدوها مرتحلين مسجلين مشاهدتهم؛ تماما كما فعل ابن جبير في رحلته الثانية⁽²⁾، بعد فتح السلطان صلاح الدين لبيت المقدس 583هـ/1187م، وكانت من أقوى الأسباب التي ولدت فيه الرحلة الثانية⁽³⁾، بل كان هذا السبب في عودة بيت المقدس لحاضرة عالم المسلمين دافعا أيضا للشاطبي القاسم بن فيرة، الأندلسي، الانتقال إليها من مصر بعد أن صام رمضان بها؛ والعودة إلى مصر والتدريس

بمدارسها على المذهب الشافعي⁽⁴⁾ حتى وافاه أجله في (590هـ/1193م) بالقاهرة⁽¹⁾.

¹ - يذكر ابن الجوزي عبد الرحمن مشاهد كثيرة لبيت المقدس في كتابه فضائل القدس تحقيق جبرائيل جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص: 97.

² - اتبع ابن جبير هذه الرحلة برحلة ثانية في عام 585 هـ-1189م، دفعته إليها الرغبة في زيارة بيت المقدس بعد استردادها من الصليبيين على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، في سنة (583هـ-1187م)، فغادر غرناطة أوائل ربيع الأول 585هـ-1189م، ثم عاد إليها أواسط شعبان 587هـ-1191، بعد قضاء مناسك الحج. وبعد عودته تنقل بين مدن الأندلس وفاس، منقطعا إلى تدريس الحديث والتصوف ورواية ما عنده من أخبار، وما لبث أن قام برحلة ثالثة في أعقاب وفاة زوجته، فقد دفعه الحزن عليها إلى القيام بهذه الرحلة ليروح بها عن نفسه بعد ما ألم به من حزن على فراقها، فخرج من سبتة إلى مكة وبقي فيها فترة من الزمن ثم غادرها إلى بيت المقدس، وأمضى فترة بالقاهرة واستقر في الإسكندرية يحدث وينظم الشعر، وتلمذ على يديه العديد من طلبة العلم منهم عبد الكريم بن عطاء الله، ورشيد الدين بن العطار، والحافظان أبو محمد المنذري وأبو الحسين يحيى بن علي القرشي، يراجع عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر دمشق، 1995م، ص: 410-412.

³ - للمزيد في ترجمة ابن جبير، وتعدد رحلاته للمشرق، ومشاهداته، والتقاءه بالعلماء، ومحبته للسلطان صلاح الدين الأيوبي، يراجع عبد الملك المراكشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة، لكتابي الصلة والموصول، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس 2012م، المجلد 3، السفر 5، ص: 503 وما بعدها.

⁴ - أول مدرسة سنية على مذهب الشافعي بناها صلاح الدين الأيوبي المدرسة الصلاحية بجوار قبر الإمام الشافعي بالقرافة، لتدريس المذهب الشافعي وعرفت لاحقا باسم المدرسة الناصرية، وشرع في بنائها

أن أهم ما ميز فترة المماليك⁽²⁾ أن مصرفي عهدهم، كانت الوجهة المحببة للمغاربة الذين فروا من مواطنهم، لما تغيرت أنظمة حكمهم فقصدوا مصر، بضعهم كان طالبا للعلم والبعض الآخر كان طالبا للرزق والفاقة، فكان منهم الفقراء والعلماء والمتصوفة، لونا الحياة الاجتماعية المصرية، بألوانهم وأثروا عليها بأثرهم فانتشرت مظاهر التصوف⁽³⁾.

وقد أورد المقرئ في النفح أن أحد المغاربة كتب إلى الملك الكامل بن العادل بن أيوب رقعة في ورقة بيضاء فيها شعرا:

لئن صدني البحر عن موطني وعيني بأشواقها زاهرة

فقد زخرف الله لي مكة بأنوار كعبته الزاهرة

وزخرف لي بالنبي يثربا وبالمملك الكامل القاهرة⁽⁴⁾

سنة (572هـ/1172م)، والفراغ منها سنة (578هـ/1182م)، خص لها بالتدريس والقيام بشؤونها نجم الدين الخبوشاني الذي كان له كبير الفضل في إعلان سقوط الدولة الفاطمية على منابر المسجد الجامع يوم الجمعة الأولى من المحرم سنة 576هـ؛ لكن ابن جبير، في الصفحة 16، و8 لم يذكرها صراحة وإنما ذكر خطيبا في أحد الجوامع ووصف لباسه الأسود وذكر فضائل الصحابة وزوجات النبي وغيرها؛ وعن العلماء الذين تولوا التدريس بها، يراجع السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص:257.

¹ - هو أبو محمد، القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي، الشيخ المقرئ الضريب، كان شافعي المذهب، وهو صاحب قصيدة، حرز الأماني، المعروفة بالشاطبية، ولد في 538هـ/1144م، يراجع السبكي، عبد الوهاب عبد الكافي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمد الطناحي، ج7، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ص:270، وأيضا السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص:296، وهو شخصية محورية في علم القراءات.

² - عبد الفتاح سعيد عاشور، المماليك، مرجع سابق، ص: وما بعدها، السيد عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1992، ص:195 وما يليها

³ - سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، ص:120، وكذا طه عبد الرحمن، "الإسهام المغربي في مصر إسهام أخلاقي"، مجلة التاريخ العربي، 14، 1998م، ص:15-58.

⁴ - المقرئ، مصدر سابق، ج5، ص:239.

وقد أثارت الرحلة إلى مصر؛ خيال المغاربة بما سمعوه عنها من كثرة حديث العائدين منها عن مشاهدتهم في كثرة ناسها، وازدهار مدارسها، ورخص سلعها وانتشار الأمن فيها فرغب الناس في الرحلة إليها كما أشاد بها ابن خلدون في ذكر أهمية مصر⁽¹⁾ "...ومازلنا نحدث عن هذه البلاد، وبعد مداه في العمران واتساع الأحوال، وقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم بالحديث عنه، سألنا صاحبنا قاضي الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقري⁽²⁾ مقدمه من الحج سنة أربعين وسبعمئة فقلت: كيف القاهرة؟ فقال: من لم يرها لم يعرف عز الإسلام⁽³⁾؛ فهي في تلك الفترة تشرف على الأماكن المقدسة بالحجاز والشام.

ولأن الثقافة المغربية والأندلسية مشرقية المصدر، كان لزاما على المغاربة أن يحسنوا الاقتباس منها، أو تطوير هذه العلوم بحسب تصريف الزمان، علما بأن نمو هذه الحركة العلمية وتطورها لاحقا؛ كان على الأقل في ظل الخلافة الأموية⁽⁴⁾ ثم بعدها الدولة العباسية، بنشوء مراكز إشعاع علمية وثقافية، كمكة والمدينة ودمشق، وبغداد والإسكندرية استقطبت أنظار طلاب العلم، وبالرغم من بروز طاقات علمية مغربية ذائعة الصيت أطبقت شهرتها الأفاق، إلا أنهم لم يقطعوا حبل الوصال بالمشرق، وظلوا أوفياء لتلك المراكز العلمية

1 - وصف ابن خلدون مصر ميمناً أهميتها بما يلي: «... واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة، ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر، فهي أم العالم وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع» ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص. 159، 160.

2 - ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ج 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م، ص: 191 وما بعدها، وأيضا، ابن فرحون، مصدر سابق، ص: 288، وأيضا، التنبكتي، مصدر سابق، ص: 249، وكذا النباهي، ابو الحسن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، دار الأفاق الجديدة بيروت ط5، 1983م، ص: 169، وكذا المقري، مصدر سابق، ج7، ص: 204.

3 - ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص: 559، وما بعدها.

4 - أحمد أمين، فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي بيروت، 1975م، ص: 187، 189.

فشدوا رحالهم شطر المشرق؛ مما أثرى ملكاتهم وفجّر من طاقات إبداعاتهم⁽¹⁾، فظل المغاربة منجذبين نحو القاهرة ودمشق وبغداد؛ لما اشتملت عليه هذه المراكز من مدارس ومكتبات، ومجالس علمية ومؤسسات ثقافية⁽²⁾، إذن فالحركة العلمية الإسلامية مشرقية المنشأ، كان لزاما على المغاربة أن يردوا حوض هذه الثقافة، وأن يرتووا منها في مختلف الميادين الحياتية⁽³⁾.

ولما تأسست الدولة الأموية بالأندلس والتي سعى حكامها إلى تشجيع الفكر والثقافة والاهتمام بهما، فانطلق المغاربة والأندلسيون في رحلات دائمة للمشرق، خصوصا مصر للتحصيل واكتساب المعارف، وتجلى إنتاجهم الغزير لطبقات منهم كانوا مرتحلين للديار المصرية وخلافها، وقد رصد المقري، في النفع بابين كبيرين أحدهم للوافدين إلى الأندلس من المشاركة، والآخر للأندلسيين الوافدين إلى المشرق⁽⁴⁾، تطورت بحسب الوضع السياسي لكل من الجانبين المغربي والمصري، ففي العهد المرابطي، كان للمغاربة حظ وافر في الانتقال لمصر واتخاذها سكنى؛ وفي أي مدينة شاءوا، دونما عوائق تذكر كانت لهم مساهماتهم في الحياة المصرية⁽⁵⁾

وقد ترددت أخبار العلماء، ونبوغهم في الميادين الثقافية المتنوعة فيما بين البلدين، فنبوغ أي عالم في أي القطرين يجد صداه في القطر الآخر، ووفاء عالم في أي القطرين سرعان ما يذيع خبره وينتشر ويؤرخونه المؤرخون في

¹ - صلاح الدين المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد بيروت، 1963م، ص: 18-20.

² - حسن الشاهدي، مرجع سابق، ص: 127 اعتبر هذا السبب الحقيقي لرحلة كثير من العلماء للحواضر والأماكن التي لا تقع على طريق الحج.

³ - ليفي ايفاريسست بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة الأندلسية، دار الطباعة المغربية، تطوان المغرب 1951 م ص: 25-29.

⁴ - المقري، مصدر سابق، ج2، 704، ونفسه، ج3، ص: 5-149.

⁵ - ابن خلكان، مصدر سابق، ج 3، ص: 123، وأيضا المقري، مصدر سابق، ج 2، ص: 133.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

القطر الآخر، وهذا يدل على قيام العلاقات الثقافية وتطورها بين مصر وبلاد الغرب الإسلامي منذ دخولهما تحت راية الإسلام⁽¹⁾.

وما نختم به هذا العنصر قول ابن خلدون ".... أن أسواق التعليم لم تنقطع بالمشرق، ولئن خربت أمصار كبغداد والكوفة والبصرة⁽²⁾ إلا أن العلم انتقل بعدها إلى القاهرة، فلم تزل موفورة وعمرائها متصلًا، وسند العلم بها قائمًا...، ويضيف تعليقا موجعا في نفس الموضوع على أن الرحالة المغاربة للمشرق في طلب العلم "....على ظن بأن عقول أهل المشرق أكمل من عقولهم، وأتهم أشد نباهة منهم وأعظم كيسا بفطرتهم الأولى⁽³⁾، وإنما راجع ذلك في أن العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، والحال انكفاء العمران بعد تبحره وتراجع التعليم بعد اتساعه في كل من بغداد وقرطبة⁽⁴⁾ والقيروان⁽⁵⁾ والبصرة والكوفة، والعلم والتعليم إنما هو اليوم بالقاهرة من بلاد مصر⁽⁶⁾."

¹ - يسري احمد عبد الله زيدان، "القراء المغاربة وعلاقتهم بمصر حتى نهاية عصر الموحدين سنه 668هـ/1268م"، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري، ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، 1998م، ص:301 وما بعدها

² - الحواضر المشار إليها سابق انتقل منها العلم إلى القاهرة لظروف تاريخية مر بها العالم الإسلامي وتعرضه للخطر الخارجي

³ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص:463.

⁴ - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص:368، الحميري، محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، 1984م، ص:456، ما بعدها .

⁵ - راجع الإدريسي، مصدر سابق، ج1، ص:284، والحميري، مصدر سابق، ص:476 وما بعدها.

⁶ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص:465.

3 - العامل الاقتصادي: الشبكة المغربية في العالم المتوسطي⁽¹⁾:

يجب التنبيه أولاً إلى أن الأندلسيين كانت لهم مساهمات كبيرة في التجارة البحرية، بفضل موانئ مدنها المطلّة على المتوسط كالمريّة واشبيلية و مالقة، خاصة تحت سيادة الأمويين على الأقل بازدهارها منذ منتصف القرن (4هـ/10م) نشطها التجار المسلمون واليهود والمسيحيون رغم تأخرهم أيضاً، وذلك بشبكة العلاقات بين الأندلس وشرق المتوسط، بوفود تجار من المشرق نحو الأندلس وكذا العكس، مع أن كتب التراجم تربط التجارة بالحج التي هي رحلة الأندلس بتعاطي الأندلسيين التجارة مع الحج⁽²⁾.

على أن أهم رصيد وثائقي يؤرخ للحركة التجارية ما جاء في وثائق الجنييزة⁽³⁾، حيث مصرّقع على الطريق الرئيسي للحجاج المغربية والأندلسيين القاصدين أرض الحجاز للحج أو المجاورة، و لوفرة الإمكانيات الاقتصادية، في الزراعة والصناعة و التجارة.

في حدود (361هـ-972م) وأوجدوا أرضية مهمة للتبادل التجاري بين الطرفين في الإطار الأمني قبل أحداث (440هـ-1053م) بدخول القبائل الهلالية، في القرن (5هـ/11م) كانت الرحلات التجارية البرية تتوازي مع مثيلاتها البحرية

¹¹¹ - العديد من الدراسات والأعمال التي بينت حركية المغربية والأندلسيين في عالم البحر المتوسط وممارستهم للتجارة البعيدة الخارجية ، أوليفاريمي كونستابل في كتابها التجارة والتجار بالأندلس وكذا أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارة في خوض البحر المتوسط (500_1100م)، ترجمة، أحمد عيسى، القاهرة، 1960، ص: 234-236.

وكذا الحبيب الجنحاني في العديد من الدراسات، منها المغرب الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال (ق3-4هـ / 9-10م).

² - أوليفاريمي كونستابل، "التجار المسلمون في تجارة الأندلس الدولية" الحضارة العربية في الأندلس، ج

2، تحرير سلمي الجبوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999م، ص: 1063

³ - رغم خصوصيتها لليهود وتاريخهم في تلك الفترة، إلا أنه لا تعدمنا المنفعة، غويتاين، "وحدة عالم البحر المتوسط في أواسط العصور الوسطى" في كتاب: دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية، ت: عطية القوسي، القاهرة، ص411.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

حتى القرن (5هـ/11م) تراجعت الرحلات البرية، بعد سيطرة الجماعات الهلالية والسلمية على البلاد الداخلية⁽¹⁾.

ورغم ذلك تبقى الإسكندرية بالخصوص وجهة المغاربة لاهتمامهم بالشأن الاقتصادي أيضا وهذا ما أكده لنا الرحالة بنيامين التطيلي الأندلسي، الذي يقيم وزنا كبيرا وذكر رفيعا للطائفة اليهودية⁽²⁾، وهو الذي زار مصر خلال النصف الأول من القرن 6هـ/12م، يقول في وصفه: (و بالإجمال ليس في العالم كله بقعة أهلة السكان، كثيرة الزروع؛ مثل مصر الواسعة، المليئة بالخيرات، ثم يمضي فيذكر حركة النشاط التجاري بمرفأ الإسكندرية، ربما أن مصر كانت تلعب دور الوساطة في التجارة العالمية في تلك الفترة التاريخية فيقول: (وإسكندرية بلدة تجارية فيها أسواق لجميع الأمم. يؤمها التجار من الممالك النصرانية كافة (.....) وتأتيها من الهند التوابل والعطور بأنواعها فيشتريها تجار النصارى. ولتجار كل أمة فندقهم الخاص بهم، وهم في ضجة وجلبة يبيعون ويشترون)⁽³⁾.

كما لاقى المغاربة في مصر كل العناية والحفاوة والتكريم على كل الأصعدة⁽⁴⁾ (الرسمية والشعبية) منذ فترة حكم نور الدين زنكي⁽⁵⁾ وصلاح الدين الأيوبي، حتى نهايات الدولة المملوكية الثانية، وقد شيدت المدارس

¹ - نفسه ، ص: 381 إشارة إلى سيطرة العرب الهلالية وإفسادها في الطرق البرية، وسيطرة البيزنطيين على الطرق البحرية .

² - رحلة بن يامين التطيلي: 561-569هـ/1173-1165م، ترجمها عن النص العبري، عزرا احداد، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، المطبعة الشرقية بغداد 1945م، ص: 346-359.

³ - نفسه ص: 358.

⁴ - يرى العبدري رأيا آخر في سكان القاهرة، الذين يكرهون المغاربة لا يقيمون لهم احتراماً، "...ولم نر يوماً من صدر منه التأنيس بكلمة، العبدري، الرحلة، مصدر سابق، ص: 128

⁵ - الذهبي، مصدر سابق، ج 20، ص: 531 وما بعدها، وكذا أبو شامة المقدسي: شهاب الدين بن عبد الرحمن، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، القسم الأول، تحقيق، أحمد البسيوني، وزارة الثقافة لجنة إحياء التراث، مصر، ص: 207 وما بعدها.

والزوايا و الرباطات والأروقة في المساجد باسم المغاربة، وهنا تبين كثافة الوجود المغربي الأندلسي بين أواخر القرن السادس وأواخر القرن السابع الهجري، وهي مدة ازدهار العطاء المغرب⁽¹⁾.

لقد ارتبطت التجارة الموسمية بفترة الحج، فالحاج المغربي غالبا ما يتزود في طريقه للحج بما يحتاجه، وإن زاد عن ذلك فهو لغرض الاتجار كونه يحمل بعض السلع المغربية التي تلقى رواجا لها أثناء الطريق أو يعودون ببعض السلع المشرقية المشهورة، وكون التجارة في موسم الحج أمرا طبيعيا، بل ضروريا للحاج للحصول على موارد إضافية لتغطية نفقات رحلته، لأن رحلته قد تتجاوز الفترة المحددة لها⁽²⁾، فهو في حاجة دائمة لمزيد المصاريف من زاد وعلف عن طريق المقايضة، إن لم يكن له زاد من الذهب⁽³⁾.

مع ما مارس الحجاج أنفسهم من الاتجار أثناء الرحلة ذهابا وإيابا، فإن التجار كانوا في حالة انتظار لهم في طريق العودة، فيخرجوا بتجارهم ليتدبروها معهم أو مع سكان المدن وبوادي طريق الحج، فيبيع الحجاج ما فضل لهم من بضاعة، ليستبدلوها ببضاعة تلقى الرواج حال عودتهم لأقطارهم المغربية⁽⁴⁾.

كما اعتبر انتظام التجارة الإقليمية مع المشرق عامل مهم في اشتغال أسر مغربية وأندلسية بالتجارة والاستقرار بالمشرق بل مارسوا حتى التجارة العالمية

¹ - نواف عبدا لعزیز الجمعة "صورة الغرياء المغربية في مصر والشام خلال عصر الحروب الصليبية"، مجلة دعوة الحق العدد 40 السنة 2011، ص:65، وأيضا مجلة دراسات تاريخية ع 101-102 ماي جوان 2008م جامعة دمشق سوريا، ص:37.

² - أن مغربيا اشتغل سقاء بنقل الماء من النيل بقربة، وكان في طريقه للحج، يراجع، بلقاسم الطباي، السقاؤون في القاهرة (648هـ-1250م/923هـ-1517م)، ضمن كتاب الماء والتعمير ببلاد المغرب في العهدين القديم والوسيط، تنسيق، محمد حسن تونس، 2009م، ص:241.

³ - حسن الصادقي، مرجع سابق، ص:302، وكذا أحمد عبد اللطيف حنفي، مرجع سابق، ص:48.

⁴ - حسن الصادقي، مرجع سابق، ص:303.

حتى الهند⁽¹⁾ والصين لاعتبارات ذاتية وموضوعية، هذا ما ارتبط بالحاج صاحب الرحلة.

أما ارتباط المغربي بالوسط المصري وممارسته للنشاط الاقتصادي فمرد ذلك في استقطاب مصر الجالية المغربية والأندلسية، لسببين ارتبط كل واحد منهما بطبيعة الإقليم وسكانه، إذ تنفرد مصر عن غيرها بأسباب الغنى وكل متطلبات العيش الكريم، من ملائمة العوامل الطبيعية والاقتصادية، تدعو لاختيار الإقامة في أي بقعة من بقاعها⁽²⁾، فمكنت وفرة الثروات المصرية فضلا عن قربها من المشرق، في منافسة أعداء الخلافة الفاطمية ممثلين في العباسيين، مع غنى أسواقها وخيراتها التي استهوت المغاربة الذين هم أهل التجارة⁽³⁾.

وعموما فمصر أرض فلاحية بامتياز لهبة النيل، وللمغاربة اهتمامات أيضا بالحرف والتجارة؛ فهي عوامل جذب، تخص المغاربة وغيرهم؛ ما تعرض له الأندلسيون بعد ضيق سبل العيش في بلدانهم، فضلا على أنهم فئة نشطة لم تتأخر عن اللحاق بمصر للعمل في هذا الميدان الاقتصادي الذي وفر لهم ما فقدوه في بلدانهم، رغم أن عوامل الارتحال والجلاء لا يرتبط عادة بالحروب والفتن، بل كان من أسبابه طلب الرزق أو الهروب من الضرائب... وهذا مع فقدان الأمن والاطمئنان، كان لزاما على المضطهدين الهجرة والنزوح⁽⁴⁾، فكان النداء الذي ثبته ابن جبير لهؤلاء المغاربة والأندلسيين بدعوته لهم بالتوجه للمشرق بقوله: "... ومرافق الغرباء بهذه البلاد أكثر من أن يأخذها الإحصاء، ولاسيما لحفاظ كتاب الله عز وجل، والمنتمين للطلب... وهذه البلاد المشرقية

¹ - نفسه، والصفحة نفسها

² - علي احمد، مساهمة، المرجع السابق، ص:75.

³ - فاتن محمد البنداري الشيخ، مرجع سابق، ص:18.

⁴ - علي أحمد، مرجع سابق، ص:75، وما بعدها.

كلها على هذا الرسم ... فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا، فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طاب العلم؛ فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها ... فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك فأدخل أيها المجتهد بسلام، وتغنم الفراغ والإنفراد قبل علق الأهل والأولاد، وتقرع سن الندم على زمن التضييع، والله يوفق ويرشد، لا إله سواه ، قد نصحت إن ألفيت سامعا مجيبا..."⁽¹⁾

ولكون مصر تستحوذ على الموقع الاستراتيجي الوسطي في التجارة الدولية باعتبارها "وسيطا دوليا" مربحا بين الشرق والغرب؛ توافد عليه المغاربة ونشطوا حتى بلغوا الآفاق⁽²⁾؛ بتجارتهم، فمنهم من امتن حرفة صناعة النعال ومنهم البزاز؛ والحداد؛ اعتمادا على أنفسهم⁽³⁾.

من الأسباب التي شجعت المغاربة على الرحلة إلى مصر أيضا؛ ما شاع من أمنها ورخائها، وهو ما سجله أصحاب الرحلة من الإسكندرية إلى أقصى الصعيد، يشيدون بانتشار العمران، والتصاق القرى بعضها ببعض، وسيادة الأمن وراحة البال على المال والأنفس وعدم السقوط في قبضة اللصوص وقطاع الطرق⁽⁴⁾.

كما يصف ذلك العبدري: "... وما ظنك بأرض هي مسيرة شهر للمجد، وطينة سهلة مغلّة، ما بها قرية إلا وتناظر أخرى، ولا بستان إلا وهو يسامي آخر، ولا مدينة إلا وهي تشير إلى أختها، ما تسافر بها إلا في عمارة متصلة ، وطمانينة من الأرض متأصلة، والطرق في الصحراء غاصة بالخلق فكن المسافر بها لم يزل

¹ - ابن جبير، المصدر السابق، ص: 258.

² - عبد المجيد بهيني، مصدر سابق، ص: 20.

³ - أحمد عبد اللطيف حنفي، مرجع سابق ص: 48.

⁴ - عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص: 219.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

في مدينة" (1)، فضلا عما يتصف به نهر النيل الذي يعد من عجائب الدنيا من حيث عذوبته واتساعه وغلته وارتفاعه، فانتظمت من حوله المدن والعمائر والقرى انتظام الدرر(2).

وسيكون لنشاط الجاليات المغربية المقيمة بمصر الحظ الأوفر في مساهمتها في الحياة الاقتصادية في عمومها كالعامل بالتجارة كما سبقت الإشارة أو الزراعة، خاصة منها الأرز بالوجه البحري، وقد يحتكرون ضربه من نرنبال بالقرب من رشيد؛ ولمن انقطعت عنه السبل من الحجاج المغاربة يقبض عليهم فيرغمون على العمل في الأسطول لسابق معرفتهم بالبحر(3).

في عهد المماليك عملوا على تخفيض الضرائب على البضائع المغربية، اعتبارا من النص الذي انفرد به صاحب النجوم الزاهرة: "...أن السلطان الناصر فرج بن برقوق (تـ 815 هـ/ 1412م)(4)، سن قرارا سنة 814هـ/ 1412م يقضي بأن تؤخذ من التجار المغربية العشر بدل الثلث، المقرر سابقا دون بقية التجار..." وإن تزامن هذا التخفيض مع الحصار الذي ضربه الصليبيون على المنطقة، خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي(5).

¹ - العبدري، الرحلة، مصدر سابق، ص: 311، 312.

² - نفسه، ص 312.

³ - عصمت عبد اللطيف دندش، مرجع سابق، مرجع سابق، ص: 22.

⁴ - هو برقوق بن أنيس الناصر الزين أبو السعادات ولد سنة (791هـ/ 1388م)، راجع السخاوي، مصدر سابق، ج 6، مصدر سابق، ص: 168.

⁵ - Claud, Cahen ; Mukhzoumiat, études Sur l'histoire de l'Egypte

323, P, médievale, leyde, Brill, 1977, وأيضاً عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو مصرية،

القاهرة ، 1963، ج 2 ، ص: 1203.

يتضح جليا أن المبادلات بين الطرفين قديمة جدا فعَلتْها مدينة برقة⁽¹⁾ من دور فعال ومهم إذ هي أول منبر ينزله القادم من مصر إلى القيروان، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت، ما لا ينقطع طلابا لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مغربين ومشرقين⁽²⁾

وإذ اشتهرت مدينة برقة بتجارة الجلود والقطران في إشارة ابن حوقل ثانية على أن مصر تستجلب منها الجلود المجلوبة للدباغ⁽³⁾، ولم يكتف ابن حوقل عن إيراد دور مدينة برقة لوحدها على الأقل من حيث مساهمتها الاقتصادية بل أشار أيضا لمدن مغربية أخرى في فلك الخلافة الفاطمية، كحال مدينة صفاقس⁽⁴⁾، التي تزود مصر بالزيت لرخائها من هذه المادة وقلّة ثمنه فيها، كما كان لمدينة قابس⁽⁵⁾ دور في تصدير أكسية الصوف الرفيعة والدينئة

¹ - هي مدينة ليبية، وهي أول منزل ينزله القادم من بلاد مصر إلى القيروان...الصادر عنها والوارد إليها كثير في الأحيان لأنها بعيدة عن البلاد المجاورة، وهي بحرية بريّة بها ديار لدباغ الجلود...وهي الآن يتجهز منها المراكب والمسافرون الواصلون منها وإلى الإسكندرية، وأرض مصر الصوف والعسل والزيت، الإدريسي مصدر سابق ج1، ص:311.310.

² - ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان 1979، ص:69.

³ - نفس المكان

⁴ - لها أسواق كثيرة وعمارة شاملة، أسواقها متحركة، ذات فواكه جيدة ورخيصة وجل غلاتها من الزيتون والزيت الجيد لها مرسى حسن، افتتحها الملك المعظم روجار عام 543هـ ازدادت تجارتها وعمارته وأسواقها، الإدريسي مصدر سابق ج1، ص:281، 280، وكذا ابن حوقل، مصدر سابق، ص:70-99.

⁵ - مدينة جليّة عامرة حفت بها غابات وجنات ملتفة وحدائق ملتصقة، وفواكه عامة ورخيصة، وبها من التمرو والزروع والضياع ما ليس لغيرها من البلاد، وبها زيتون وزيت وغلّات...ولها أسواق وعمارات وتجارات وصناعات... وبها الآن مدايع للجلود ينجزها منها لمختلف النواحي، الإدريسي مصدر سابق ج1، ص:280، 279، وكذا ابن حوقل، مصدر سابق، ص:72.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

التي تلاءم المحتاجين من مختلف الطبقات، وهذه المدينة مشتهرة بنمو شجر التوت، كما وصف حريها بأطيب الحرير وأرقه⁽¹⁾.

وبتطور العلاقات بين الطرفين في هذه الفترة جعلت من الحضور المغربي بمصر أكثر كثافة وأشد فعالية في تحريك لبنات الحركة الاقتصادية؛ بل تعدى النزوح المغربي لمصر بحكم ترف سكان القاهرة، في حين كان كثيرا من الفقراء بالمغرب ينزعون إلى النقلة إلى مصر لرعاية أهلها، وأنهم أهل صدقة وإيثار من جميع أهل الأمصار⁽²⁾.

لكن ذلك لم يستمر في القرن الموالي بسيادة حالة الفوضى والاضطرابات السياسية المقرونة بظاهرة سيطرة الجماعات الهلالية والسليلية على البلاد الداخلية، وما نتج عن ذلك من تراجع عمراني، يوازيه اضطهاد ملوك صقلية النورمانية للمسلمين في الجزيرة، وبسط سيطرتهم على مدن ساحل إفريقيا عام (555هـ/1160م). وقد ترجم هذا الوضع النفسي إلى الهجرة إلى بلاد المغرب والمشرق العربيين، وبالخصوص البلاد المصرية موضوع بحثنا، لكن هل هذه الأسباب التي مهدت لاستقرار المغاربة تجعل منهم طائفة تحمل ملامح هوية متميزة عن الغالبية المصرية ؟

¹ - ابن حوقل نفسه، ص:72، 73 وكذا جورج مارسيه، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، مطبعة الإسكندرية ، 1991م، ص:207.

² - ابن خلدون مصدر سابق، ج 1، ص:385، 386.

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر(ق4-9هـ / 10-15م)

الصفحة	تاريخ الوفاة	الصفحة	النسبة المئوية	العدد	مكان الوفاة
20	300هـ	21	20	45	توفي بمصر
22-21	؟	23			
90	268	312			
91	370	320			
94	280	331			
94	367	349			
155	؟	548			
156	371	553			
172	273	624			
191-190	359	703			
258	؟	955			
292	قريبا من 310	1088			
	؟				
318	327	1181			
362	300	1206			
330	250	1220			
410	؟	1471			
413		1485			
177	؟	640	6	13	توفي بمكة
180	286	652			
181	302	659			
283	311	1059			
187	304	1070			
311	293	1144			
282	300	1055	4	9,09	مناطق من العراق:
282	؟	1057			بغداد(2) العراق(2)

الفصل الأول.....عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ / 10-15م)

303	287	1129			البصرة
391	330	1417			
410	؟	1480			
147	373	510	2	4.54	القدس بيت المقدس
342	341	1260			
270	392	1004	3	6.81	بلاد الشام
342	341	1259			:السويداء
420	؟	1517			طرابلس الشام،
448	؟	1613			ثغور الشام، عسقلان
87	323	300	2	4.54	مات غرقا في البحر
120	437	عمـره 33سنة			
337-336	358	1243	1	2.72	فارس
366-365	378	1355	1	2.72	بخارى
232	قبل 350	852	1	2.72	اليمن
252-251	بعد 370	929	3	6.81	مناطق من الحجاز
342	341	1255			

جدول توضيحي إحصائي للمغاربة المرتحلين والمتوفون خارج ديارهم حسب ابن الفرضي.

الفصل الثاني

المغاربة بمصر أصولهم ومناطق استقرارهم

- المغرب والمغاربة الأصول الإثنية والجغرافية
- مناطق الاستقرار والتوطن
- أسماء الأعلام المغاربة (الجغرافية والإثنية والقبلية)

أولاً: المغرب والمغاربة: الجغرافيا والإثنيات

1- المغرب:

المراد بجهة المغرب؛ هو ما يقابل جهة المشرق ويقصد به جغرافياً؛ ما كان غرب عاصمة الخلافة في عصورها الأولى، وهذا الذي يذكره الرحالة المسلمون الأوائل كابن حوقل (ت بعد 367هـ/977م)⁽¹⁾، الذي زار بلاد المغرب الإسلامي إبان الفترة بعد انطلاقه من الشام ثم مصر في وقت دقيق يمر به العالم الإسلامي⁽²⁾، وأعطى مفهوماً واسعاً للمغرب الذي يضم الجناح الغربي لبلاد المغرب بأقسامه الثلاثة كاملة، ثم الأندلس وأخيراً صقلية⁽³⁾، ثم يورد عن المغرب بقوله: "فبعضه ممتد على بحر المغرب في غربيه، ولهذا البحر جانبان شرقي وغربي؛ وهما جميعاً عامران"، وأما "الغربي فمن مصر وبرقة إلى إفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة"، كما يتصل المغرب بأرض السودان الغربي، فمن حده "من مصر إلى إسكندرية على النيل من أرض الصعيد حتى يمضي على ظهر الواحات إلى برية تنتهي إلى أرض النوبة آخذاً إلى البحر المحيط ويمتد إلى حقيقة الغرب إلى أرض غانة وأرض أودغست، ثم يستمر عاطفاً إلى الشمال ماراً على بلاد برغواطة وماسة إلى فوهة بحر الروم، الذي يأخذ من البحر المحيط بين أرض طنجة وأرض الأندلس، وراجعاً حده من أرض طنجة على البحر إلى نواحي تنس، وإلى تونس والمهدية من أرض إفريقية مقبلاً على أرض طرابلس

¹ - "صورة الأرض"، والمختصر عن عنوان الكتاب الأصلي "المسالك والممالك والمفاوز والممالك"، وذكر الأقاليم على مر الأزمان وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها، وذكر الأنهار الكبار، واتصالها بشطوط البحار، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار، ومسافة ما بين المدن للسفارة والتجار.. مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار، والنوادر والآثار". منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، 1992م

² - *Jean Claude Garcin, Ibn Hawkal, L'Orient et le Maghreb, Revue de L'Occident musulman et la Méditerranée, 35, (1983), P : 77*

³ - يوسف ابن حمد حوالة، ابن حوقل ورحلاته الجغرافية، للجناح الغربي من الدولة الإسلامية، دورية علمية محكمة، قسم الجغرافية جامعة الكويت، مارس 1996م ص: 11، 12.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

وبرقة إلى الإسكندرية ... وأما الأندلس فهي جزيرة تتصل بالبر من جهة جليقية وإفرنجة وهي في جملة المغرب"⁽¹⁾.

والمصطلح "المغرب" يكاد يتفق عليه باقي الجغرافيين كالإصطخري الذي قسم البلاد إلى مغرب شرقي بوحداته الثلاث كاملة المذكورة سلفا الأدنى والأوسط والأقصى، ومغرب غربي وهو الأندلس⁽²⁾ بل أكثر من ذلك من الجغرافيين أيضا من وضع مصر ضمن النطاق الجناح الغربي⁽³⁾.

وعليه فالمغرب هذا الذي يتشكل من الكتلة الجغرافية السابقة الذكر، وتطوره السياسي منذ التواجد العربي الإسلامي، من كيانات سياسية مرتبطة بالمشرق، أو مستقلة عنه.

فالمغاربة هم، كما جاء في دائرة المعارف التونسية على أنه اسم مشتق، ويعني الناطقين بالعربية في المغرب الإسلامي، وتدخل ضمن ذلك إسبانيا المسلمة رغم خصوصيتها المتفردة ومصيرها المختلف⁽⁴⁾، فالعرب الذين فتحوا الأندلس وأسسوا ملكهم، فهم أيضا مغاربة، لأن هذا المصطلح كما هو متعارف عليه عند الجغرافيين؛ فهو كذلك متعارف عليه عند المحدثين والمؤرخين، وكتب الطبقات، ولهذا يطلق على كثير من علماء الأندلس وعلماء إفريقية، وعلماء سبتة، وتلمسان، وشنقيط وغيرهم هذا الوصف، كما أن مصطلح

¹ - ابن حوقل، مصدر سابق، ص: 64-65

² - الاصطخري، أبو إسحاق محمد بن إبراهيم، المسالك والممالك، طبعة ليدين، بريل 1870م، ص: 36، 37.

³ - المقدسي المعروف بـ البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، ص: 215، وما بعدها.

⁴ - دائرة المعارف التونسية، مادة المغربية، عدد خاص في تاريخ إفريقية، محمد الطالبي، الكراس 4، بيت الحكمة قرطاج، 1994م، ص: 207-211، الكلام يعبر عن قلق منهجي، كون المقصود بذلك المغرب العربي، والأساس المتكلمون بالعربية وغير العربية.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

المغاربة في المشرق، يعنني الفقيه القريب⁽¹⁾،
فمثلاً يقال للباحث⁽²⁾، إنه من المغاربة وهو أندلسي، ويقال لابن رشد⁽³⁾، إنه من
المغاربة وهو قرطبي، ويقال للقاضي أبي المطرف الشعبي (ت499هـ)⁽⁴⁾، بأنه
مغربي وهو من مالقة⁽⁵⁾ وكذلك الحافظ ابن عبد البر القرطبي الأندلسي⁽⁶⁾،
وكذلك ابن العربي المعافري⁽⁷⁾ وكذلك يقال لابن أبي زيد القيرواني⁽¹⁾، إنه من

¹ - قد يتعرض الفرد للإهانة لأصوله المغربية، مثلما ما حدث مع أحمد بن فروخ، في العراق، ومع أسد بن الفرات الذي ضُمَّ لمجالس المصريين بسبب فرط ذكائه ولم يبق مع المغاربة، كان ذلك في القرنين الأولين للهجرة، نفسه، ص206.

² - أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيمي (403-474هـ/1013-1082م)، فقيه مالكي، محدث وشاعر وقاضي أندلسي، يراجع القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 4، ص 802، تحقيق أحمد بكير، وكذا ابن فرحون، مصدر سابق، ص 121، وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص:408،409، الذهبي، مصدر سابق، ج 18، ص:535 وما بعدها

³ - أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (595هـ/1198)، يسميه الأوروبيون Averroes، اشتهر باسم ابن رشد الحفيد، ولد بقرطبة ومات بمراكش، هو فيلسوف وطبيب وفقه وفلكي وقاضي أندلسي مسلم من أسرة عربية أئيرة في الأندلس تفقه بالفقه المالكي وحفظ الموطأ، والعقيدة الأشعرية يعد ابن رشد من أهم فلاسفة العالم الإسلامي، عينه الخليفة الموحد أبو يعقوب طيباً خاصاً له، ثم قاضياً في قرطبة، وأشبيلية، تعرض ابن رشد في آخر حياته لمحنة حيث اتهمه علماء الأندلس بالكفر والإلحاد، ونفي لمراكش زمن أبو يوسف يعقوب و بها توفي، يراجع الذهبي، مصدر سابق، ج 21، ص:307، وكذا ابن الأبار، التكملة، مصدر سابق، ج 2، ص:533، وكذلك الصفدي، مصدر سابق، ج 2، ص:114، وابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 6، ص:145.

⁴ - يعرف بالقنازعي نسبة لبلده، وهو عالم دين وفقه مالكي ومفسر، وعارف باللغة، كان عالماً باللغة، فقيهاً حافظاً، عالماً بالتفسير، والأحكام، بصيراً بالحديث، سمع ببلده ورحل وحج، سمع بمصر من الحسن بن رشيق، وغيره، وأقبل على نشر العلم وإلقاء القرآن، وصنف شرح الموطأ، ينظر أيضاً ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق جماعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص:433.

⁵ - هي مدينة ساحلية بجنوب الأندلس، ينسب إليها مجموعة من أهل العلم، يراجع ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 5، ص:43.

⁶ - الإمام العلامة حافظ المغرب، شيخ الإسلام أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، يراجع الذهبي، مصدر سابق ج 18، ص:153-154، وكذا ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 7، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978م، ص 66، وما بعدها.

⁷ - أحمد بن عبد الله بن محمد المعافري، المشهور بالقاضي "أبو بكر" بن العربي الأشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس ومسندهم، وهو غير محي الدين بن عربي الصوفي، وهو من حفاظ الحديث، تأدب ببلده وقرأ القراءات وسمع به من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خرزج، ثم انتقل ورحل مع أبيه سنة 485هـ/1092م، ودخل الشام فسمع من الفقيه نصر المقدسي وأبي الفضل بن الفرات وبيغداد من أبي طلحة النعالي، وبمصر من الخلي

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

المغاربة، وهو إفريقي (تونسي)، وكذلك يقال لابن الحسن اللخمي⁽²⁾ وهو قيرواني الأصل، ويطلق على أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي⁽³⁾ بأنه مغربي وهو من تلمسان (الجزائر) وغيرهم كثير.

وكذلك في كتب الطبقات يذكر المغاربة ويقصد بهم أيضا ما كان غرب الدولة الإسلامية، مثل ما كتبه ابن أبي أصيبعة عند التأريخ لطبقات الأطباء⁽⁴⁾، وما أشار إليه الموسوعي ابن فصل الله العمري أيضا في تاريخه للعلماء، كان يقول: "أطباء الغرب بمصر" ويقصد بها المغرب والأندلس⁽⁵⁾

يشكل البربر الجزء الأكبر من الذين انتسبوا لهذا الإقليم، الذين هم منه، وهو "المغرب"، لتمييزهم على العنصر المشرقي، كان منهم بمصر طوائف

وتفقه على الغزالي، وأبي بكر الشاشي، والطرطوشي كما تتلمذ على يد المازري في المهديّة، له شهرة في علمه فقد أخذ جملة من الفنون حتى أتقن الفقه والأصول وقيد الحديث واتسع في الرواية وأتقن مسائل الخلاف والكلام وتبحر في التفسير وبرع في الأدب والشعر، صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، وولي قضاء إشبيلية، ومات بفاس في ربيع الآخر 543هـ/1148م، ودفن بها، يراجع، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج4، تحقيق عبدا لقادر الأرنؤوط، ومحمد الأرنؤوط، دار ابن كثير دمشق- بيروت، 1989م، ص141.

¹ - ابن أبي زيد القيرواني، وهو من أعلام المذهب المالكي، وقد لُقّب بـ "مالك الأصغر"، وكان إمام المالكية في وقته، وأشهر مصنّفاته كتاب الرسالة، وتوفي سنة 386هـ/996م، وعمره 76 سنة، الذهبي، مصدر سابق ج17، ص:10-13.

² - علي بن محمد الربيعي القيرواني أبو الحسن اللخمي من فقهاء المذهب المالكي، كان ديننا متفننا حاز رئاسة بلاد إفريقية جملة، وتفقه به جماعة السّفاقيّين، كان مغرئاً بتخريج الخلاف ويخالف المذهب وقواعده وهو التجديد في فقه الإمام مالك، وهو باعث الحركة العلمية في بلاد المغرب من الطبقة العاشرة في طبقات المذهب المالكي من أهل أفريقية، توفي بصفاقس 478هـ/1085م، ينظر في ترجمته: القاضي عياض، مصدر سابق، ج2، ص:69؛ وكذا ابن فرحون، مصدر سابق، ج1، ص:114، وكذا ابن مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص:117.

³ - أحمد بن يحيى الونشريسي المعروف بأبي العباس الونشريسي (834-914هـ/1430-1509م) هو الونشريسي مولدا، التلمساني منشأ وأصلا، الفاسي منزلا ومدفنا، من علماء المغرب الأوسط الأعلام وفقهائها البارزين في القرن التاسع الهجري؛ اسمه الكامل أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي أو كما عرف نفسه في عدة وثائق له وعرفه معاصروه، وموطنه الأصلي بجبال الونشريسي؛ ولد حوالي (834هـ/1430م، حيث حفظ القرآن وتعلم مبادئ العربية في كتاب قريته، توفي 914هـ/1508م)، ينظر أيضا، التنبكي، مصدر سابق، ص135-136.

⁴ - ينظر الفصل 13 من كتاب ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق، نزار رضا، مكتبة دار الحياة، بيروت، ص:478، بقوله: طبقات الأطباء الذين ظهروا في المغرب وأقاموا بها.

⁵ - ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ج9، ص:312.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

انخرطت في خدمة الخلافة الفاطمية، منهم الطائفة الكتامية، والباطلية والمصامدة والجوزيرية وقبيلة زويلة وصنهاجه، وقد سكنوا حارات عرفوا بها⁽¹⁾، ولعل انتظام رحلة البربر للمشرق في رأي البعض لتجاوز "الحاجز النفسي والاجتماعي"⁽²⁾، وكسر عقدة التفوق المشرقي على حساب المغاربة، ومن ثم العمل على إيجاد تمثلات للثقافة المشرقية والإبداع فيها لتأكيد الذات، وهو شعور يدفع نحو التجاوز.

ينبغي للإشارة أيضا أن طائفة اليهود في بلاد المغرب والأندلس، تدخل في الحيز الجغرافي، وهم بذلك يشكلون شريحة مهمة كان لها حضورها الثقافي والتجاري في المنطقة منذ الفتح، تأثروا بالعوامل التاريخية التي مرت بها المنطقة، وكانت هجرتهم أيضا للمشرق عموما ومصر خصوصا، وسيظهر دورهم في مجال الطب والتجارة، وتكشف لنا مصادر خاصة بهم⁽³⁾، فالمغاربة بمصر هنا قد يشكلون هوية جماعية، تهيأ لها الظروف في السياق الاجتماعي والعلائق مع مختلف طوائف المجتمع المصري، أو في المستوى العام، لإيجاد الانسجام، والبعد عن التناقض القائم بين الأفراد والمجموعات، أكانت مجموعات اثنيه، أو قومية، أو ما فوق القومية، ليس لاعتبار السلوكيات الاجتماعية ردود أفعال، بل تمييز لهذه المجموعة وخصوصية لها⁽⁴⁾.

¹ - عبد المنعم ماجد مرجع سابق، ص: 195,196، وكذا المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص:5.

² - خلفات مفتاح ، مرجع سابق، ص:422.

³³ - عن الجنييزة يراجع: حسين محمد ربيع، وثائق الجنييزة وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ اليمن والحجاز في العصور الوسطى، دراسات تاريخية ، الرياض 1979، ج2، ص:132، للتفاصيل راجع: غويتاين: "وحدة عالم البحر المتوسط في أواسط العصور الوسطى" في كتاب: دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية، ت: عطية القوصي، القاهرة، ص411، وأيضا مادة *Geniza* ، بقلم ،س، د، جواتيين *S D* *Goitein* في دائرة المعارف الإسلامية، ط2، باللغة الإنجليزية، لندن 1965، ص:987,989.

⁴ - نفس المرجع ص:51-54

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

لكن الخصوصية المغربية في المشرق عموماً؛ إنما تبدو مشبعة بإرادة تحديد مساهمتها الخاصة في جوق الحضارة العربية الإسلامية، وقد تبدو هذه المساهمة شائكة، بسبب محورية العامل الثقافي بين الشرق والغرب، وفي جميع المستويات، فالمغرب دائماً معجب بالمشرق، ويستورد منه حاجاته الثقافية⁽¹⁾ كما أنه معقد، بوضوح أيضاً تجاه المشرق⁽²⁾، حتى أن ابن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م)، يستنكر على أهل المغرب بأن: "أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعتق بتلك الأفق غراب، أو وطن بأقصى الشام والعراق ذباب، لجثوا على هذا صنما، وتلوا ذلك كتاباً محكماً.." ⁽³⁾.

قد يعطينا استقرار النخب المغربية في المشرق تفسيراً ظاهرياً، لمحو آثار قلق الانتماء، غير أنه لا يترجم بصدق حالة المستقر الوافد، وتصطدم النخبة العاملة منهم بمصاعب؛ سببها الانتماء المذهبي الذي يشكل أحد أوجه الهوية الثقافية المغربية⁽⁴⁾، فالمالكية، بمحدد فقهي⁽⁵⁾، أو المغربي بمحدد اللغات واللهجات، التي يصعب على بعضهم التخلي عنها أثناء الاشتغال بالتدريس، أو إدارة الأعمال، ودونما التخلي عن اللباس الذي يمثل الوجه الثالث للهوية المغربية، تعرض صاحبها للعزل والتوبيخ أو حتى الاغتيال، فضلاً عن الصعوبات

¹ - دائرة المعارف التونسية، مرجع سابق، ص: 206، 207.

² - لقد نسجت أحاديث في ذم البربر، مما جعلهم يتبرءون من نسيهم البربري، ويقيمون الحفلات والولائم، لما اكتشفوا أنهم غير بربر، كما حصل مع الهلول بن راشد، كما تعرض ابن فروخ من سخرية أبي حنيفة من هيئته المغربية، وقبول أسد بن الفرات الدرس مع المصريين وخلص من المغاربة إكراماً له على نبوغه"، يراجع محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، مرجع سابق، ص: 24، وقد ينسحب ذلك في سياق القرن 2، و3 الهجريين، وليس لاحقاً.

³ - ابن بسام الشنتريني، مصدر سابق، القسم 1، المجلد 1، ص: 12.

⁴ - لظفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 335.

⁵ - سنجد أن مالكيين مغاربة تخلوا عن مذهبهم لغرض تلازم المصاعب، كما هو في آخر هذا الفصل.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

الناجمة عن المنافسة بين النخبة العاملة المغربية والمشرقية⁽¹⁾، وهو ما لم يكن في المغرب والأندلس⁽²⁾.

إن الرحلة للمشرق تجمع بين الحج والدراسة، وللتجارة أحيانا، فإنها محصلة تاريخية يدور نشاطها في المشرق ولصالحه، لكن أن يحدث لهؤلاء استقرار، وتواجد في المشرق بكثافة، من حيث إقامتهم على طرق الحج، في الإسكندرية والقاهرة وقوص، وحتى خارج المجال المصري، فذلك ما يدعونا إلى تحري تاريخهم لأنه لا يزال متقطع الحلقات ناقص الوضوح⁽³⁾، مع أن هذا الحضور الكثيف لا يعكس الفعالية في النسيج الحضاري؛ من حيث دورهم الذي لا يشبه تماما دور الفرس والأتراك في عالم الإسلام رغبة التجربة الكتامية في مصر⁽⁴⁾، وبالرغم من التطور الاجتماعي الحاصل منذ العصر الفاطمي، بتشكيل "طبقة" سياسية وإدارية من الكتامين، تمتعت بامتيازات الدعم للدعوة والدولة الإسماعيلية⁽⁵⁾.

¹ - تتمثل حالة عبد الرحمن بن خلدون مثالا، لذلك تبقى أعماله العلمية ومؤلفاته، غير قابلة للحط أو المجاملة، لكن تظهر السلوك هي معيار قالب النقد لدى أقرانه، يراجع ابن خلدون النموذج المغربي في مصر من الفصل الثالث لهذه الدراسة.

² - بسبب كثرة الراحلين المستقرين من المغرب في المشرق، وقلّة الراحلين، أو المستقرين من المشرق في المغرب، لنجد حسب المقري، التفاوت الكبير بينهما، فكان من الأندلسيين ممن زاروا المشرق وتواجدوا فيه بتعداد 308 فردا، يقابله 148 من المشاركة في المغرب المقري، مصدر سابق، ج2، ص: 5-183.

³ - دائرة المعارف التونسية، مرجع سابق، ص: 208.

⁴ - محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، مرجع سابق، ص: 51.

⁵ - حنفي، أحمد عبد اللطيف، المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى العصر الفاطمي، الدراسة السياسية، سلسلة تاريخ المصريين، ج1، ص: 55.

ثانيا: أنواع الإقامة المغربية بمصر:

أخذت الهجرة المغربية توجهها جديدا بداية من الفترة الفاطمية في بلاد المغرب، وعلى العادة فضل المشرق هو المقصد الأساسي لطلاب الغرب الإسلامي وعلمائه، للحج والدراسة، وتواجههم به ، ستسمح لهم بتشكيل حارات للمغاربة في دمشق والقاهرة والقدس ومكة المكرمة والإسكندرية⁽¹⁾، وهو ما وثقه على الأقل في المشرق لويس بوزيه (Louis pouzet) بدراسته التي ترقى للتأريخ للمغاربة في دمشق اعتبارا من القرن(7هـ/13م)، إذ استقطبت بلاد الشام والعراق الكثير من الطلاب المغاربة الوافدين عليها للأخذ والعطاء أيضا⁽²⁾.

إن مقام المغاربة في البلاد المصرية على الدوام ، يكون بالقدر الذي يختاره المقيم، بحسب توجهه، وما ينجر عنه من انجاز مشروعه السياسي، أو الثقافي أو التجاري، والثقافي المقرون بالديني " أداء المناسك"، كما رأيناه في الفصل الأول من هذا البحث، فتنوعت الإقامة بين الدائمة والمؤقتة، إذ كانت الإقامة الدائمة للسياسيين على بسط الظاهرة الكتامية التي أخلصت للخلافة الفاطمية دعوة ودولة، مع أن الفارق واضح بين المستويات الثلاث للمقيمين، بين الساسة والعلماء والتجار ومن ثم تكون الإقامة دائمة، يصبح نزير مصرو دفينها⁽³⁾،، عكس الإقامة المؤقتة، التي غالبا ما ترتبط بمكسب دنيوي كالتجارة أو حصول على قدر من العلوم، بعد أداء المناسك.

وعليه فإنه يتيأ في هذا الفصل استعراض أنواع الإقامة، وتفصيل اتجاهات المقيمين بالبلاد المصرية، تحت تأثير الظروف السياسية والاختلاف المذهبي والسياسي، وفيما نروم بالبحث في إظهار التأثير بشكل المساهمة الفعالة في الوسط المصري للفصل اللاحق.

¹ - علاوة عمارة، دراسات، مرجع سابق، ص:105.

² - Louis pouzet, op. cit, p. 167-199

³ - طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص:58-15.

1- الإقامة المؤقتة: المؤقتة الواحدة أو المتعددة:

إقامة العلماء:

كان الارتحال في طلب العلم، أمرا ضروريا لاكتساب الفوائد، والكمال بقاء الشيوخ ومباشرة الرجال⁽¹⁾، وهي في ذهنية أهل المغرب والأندلس، وواقعهم واجبة ومقدمة على الإجازة، التي لو صححت لبطلت الرحلة⁽²⁾، ولذلك اجتهد طلبة الغرب الإسلامي في مباشرة الرحلة، في طلب العلم للمشرق منذ وقت مبكر، والإقامة بها ولو مؤقتا، كما كان للحافظ بقي بن مخلد (ت276هـ/889م) في بغداد لملاقاة الإمام أحمد، وقد بلغ عدد شيوخه بالأندلس والمغرب نحو 400 رجل⁽³⁾.

كما كانت رحلة قاسم بن اصبغ بن محمد المعروف بالبياني (ت304هـ/916م)، في سبيل التحصيل العلمي، فكان أن غادر الأندلس في بداية القرن 4هـ/10م، في إمارة المنذر تحديدا سنة (274هـ/887م)، بصحبة أندلسيين لنفس الغرض، بعد أن تتلمذ على مشايخ وفقهاء؛ كبقي بن مخلد وأبو عبد الله الخشني، وعبد الله بن مسرة، ثم دخل العراق، بعد أن سمع بمكة، ولقي أهل الكوفة، وفي بغداد من قاضي القضاة وجملة من العلماء، ثم دخل مصر وسمع من محمد بن عبد الله العمري ومحمد بن سليمان المهري وغيرهم، ثم دخل القيروان، وسمع من ثلة من العلماء منهم أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن

¹ - ابن خلدون عبد الرحمن، العبر مصدر سابق ج1، ص:626-627.

² - كلام يرويه أبو الوليد الباجي، عن الهروي، يراجع ابن بشكوال، مصدر سابق ج1، ص:175-177.

³ - ابن يونس الصدفي، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد الصدفي، تاريخ ابن يونس، ج2، تحقيق، عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، دارالكتب العلمية، بيروت، ص:46، وأيضا الخشني، مصدر سابق، ص:49، وما بعدها، وأيضا ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:82، وابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص:108.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

حماد التاهرتي، وانصرف للأندلس بعلم وفير، ومال إليه الناس، وكانت الرحلة في الأندلس تُشد إليه⁽¹⁾.

وإلى البيرة أيضا كانت الرحلة أيضا لطلاب العلم؛ لواحد ممن كانت له رحلة علم للمشرق، وإقامة مؤقتة بمصر؛ وهو محمد بن فطيس بن واصل الغافقي الألبيري (ت319هـ/931م)، إذ دخل مصر، بعد أن لقي في رحلته أكثر من مائتي عالم، وهو من أهل الحديث والفم والحفظ والبحث عن الرجال، كان كثير الميل والإعجاب بمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم بمصر⁽²⁾.

وتطول القائمة باستعراض الراحلين في طلب العلم، والذين كانت لهم إقامة مؤقتة ففي القرن 4هـ/10م أيضا؛ كمحمد بن يحيى بن مفرج القرطبي (ت380هـ/990م) الذي بلغ عدد شيوخه نحو مائتي رجل⁽³⁾، كما كان في القرن 5هـ/11م عبد الرحمن القنازعي (ت413هـ/1022م)، الذي رحل للمشرق سنة (367هـ/978م) روى عن سبعمائة محدث⁽⁴⁾.

كما اقتسم الإقامة المؤقتة الواحدة أيضا؛ قاسم بن خلف المعروف بالجبيري الطرطوشي، كان عالما فقيها حسن النظر استعفي من القضاء في زمن المستنصر بالله، بعد عودته من إقامته بالمشرق التي دامت ثلاث عشرة سنة، حيث سمع بمصر من جماعة ودخل العراق بعد الحج، وتفقه على مذهب

¹ -ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:287-289

² - ابن يونس الصديقي، مصدر سابق، ج2، ص:222، وأيضا، ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:324،325، وأيضا الحميدي، مصدر سابق، ج1، ص:139.

³ -ابن يونس الصديقي، مصدر سابق، ج1، ص:71، كان حافظا للحديث عالما به بصيرا بالرجال، صحيح النقل، سمع بمكة، والمدينة، وزبيد، وبعدن، وبمصر، ودخل بيت المقدس، ودمشق والإسكندرية، والقلم، نفس المصدر، ص:367، 368.

⁴ - كان عالما عاملا فقيها حافظا متيقظا دينا ورعا، اختصر تفسير ابن سلام في القرآن، وكان له بصر بالإعراب، كان قد سمع المدونة بمصر علي أبي بكرهبة الله التميمي، ذكر أنه روى عن 700 محدث، يراجع ابن بشكوال، مصدر سابق، ج2، ص:267-269.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

مالك، ثم عاد للأندلس، كان صدرا في أهل الشورى، وغلبت عليه الدراية من الرواية وكانت وفاته محبوبا بمطابق الزهراء في(371هـ/981م)⁽¹⁾.

كما كانت إقامة محمد بن قاسم بن محمد بن سيار من أهل قرطبة(ت327هـ/938م)⁽²⁾، في مصر مؤقتة لكنها طويلة، حيث رحل في أواخر القرن 3هـ/9م، وتحديدا سنة(294هـ/907م)، بعد السماع من أبيه ومن بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح⁽³⁾، ومكث في رحلته أربع سنوات وزيادة، وكانت رحلته متعددة السماع في مصر ومكة والعراق بالبصرة والكوفة، من جلة من المشايخ والفقهاء في نهاية القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، لكن مصر قلب فيها بين دمياط والإسكندرية، أخذ عن جلة من العلماء وعاد فسمع بطرابلس والقيروان، ودخل الأندلس، وكان مشاورا في عهد الخليفة الناصر فقيها، ومشاركا في الغزو، قد كانت وفاته بعد علقته من غزوة الخندق⁽⁴⁾ في التاريخ أعلاه.

كما كانت إقامة محمد بن معاوية(358هـ/969م) بمصر لسماع الحديث عند ثلة من العلماء قبل الثلاثمائة من الهجرة، كالنسائي وإسحاق بن إبراهيم المنجنيقي، وإبراهيم بن موسى بن جميل، وعلي بن سليمان الأخفش صاحب

¹ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:289.

² - ابن يونس الصديقي، مصدر سابق، ج2، ص:222، وابن الفرضي مصدر سابق، ص:329-330، وأيضا الضبي، مصدر سابق، ص:260، والحميدي، مصدر سابق، ص:91.

³ - وأضاف إليهم ابن يونس الصديقي، النسائي، مصدر سابق، ج2، ص:222، وابن الفرضي مصدر سابق، ص:329-330، وأيضا الضبي، مصدر سابق، ص:260، والحميدي، مصدر سابق، ص:91.

⁴ - معركة وقعت في شوال(327هـ/938م) في المنطقة المتاخمة بين مملكة ليون ودولة الأمويين بالأندلس، ودارت بينهما معركة بين قوات الخليفة الناصر لدين الله وملك ليون راميرو الثاني الذي انتصر على المسلمين في معركة مرعبة بخسارة المسلمين فيها، يراجع، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص:172، وأصولها عند ابن الخطيب، أعمال الأعلام، مصدر سابق، ج2، ص:37،38، وكذا المقري، مصدر سابق، ج1، ص:355.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

النحو، علما بأنه دخل مكة ثم ارض العراق، ودخل الهند تاجرا⁽¹⁾، قبل أن يعود للأندلس في (325هـ/937م)، وبدأ بالتعليم في (336هـ/948م) حتى وفاته⁽²⁾.

فيما توزعت إقامة محمد بن بطال بن وهب بن عبد الأعلى اللورقي (ت360هـ/971م) في طلب العلم بمصر على يد أبي القاسم العلاف وابن أبي الحديد وغيرهم، وبتينيس بالسماع لأبي عمرو عثمان بن محمد السمرقندي، وبالإسكندرية رواية كتاب ابن المواز عن ابن مطر، قبل أن يعود للأندلس التي توفي بمسقط رأسه لورقة⁽³⁾.

كما كان لإقامة المغاربة المؤقتة في المشرق في الفترة بداية البحث أرقاما قياسية من حيث المدة، وعددها فقد بقي بقي بن مخلد المشار إليه سلفا، والذي ارتحل مرتين، في أولها عشر سنين، وثانيها خمسا وعشرين سنة⁽⁴⁾، وفي القرن (4هـ/10م)، مثلا أقام يحيى بن مالك العائذي (ت369هـ/980م)، في المشرق سنة (347هـ/958م)، ولم يعد للأندلس إلا في (369هـ/980م)، أي بعد مرور إثننتين وعشرين سنة قضاهما في طلب العلم⁽⁵⁾، كما أقام إبراهيم بن هارون المصمودي (ت360هـ/971م)، ما ينيف عن أربعين سنة⁽⁶⁾، كما كان مقام أبي الوليد الباجي (ت474هـ/1077م)، بالمشرق نحو ثلاثة عشر سنة⁽⁷⁾، وقد تطول المدة ليصبح المهجروطن لإقامة المرتحل خاصة في المرحلة الثانية من فترة البحث التي ستأخذ النوع الثاني، وهي الإقامة الدائمة.

¹ - عند الحميدي أنه دخل الهند لغرض الاستشفاء من قرحة ظهرت بجسده أو أنفه، ورجع من المشرق، فكان بحرا من العلم، وأنه أول من أدخل سنن النسائي للأندلس، يراجع الحميدي، مصدر سابق، ص:93.

² - ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:348-347، وأيضا الحميدي، مصدر سابق، ص:92-93.

³ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:345، وأيضا الضبي، مصدر سابق، ص:65.

⁴ - الخشني، مصدر سابق، ص:49.

⁵ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ج2، ص:192.

⁶ - نفسه، ج1، ص:26.

⁷ - هو سليمان بن بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي المالكي الحافظ يكن "أبو الوليد"، يراجع، ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص:177، وأيضا محمود علي مكي، "أثر الحج..."، مرجع سابق، ص:64،62.

2- الإقامة الدائمة: للساسة والإداريين :كتامة وزويلة

لم تكن مهمة المغاربة مقتصرة على فتح مصر، مع القائد جوهر الصقلي فحسب، بل كانوا منذ الوهلة الأولى مساهمين في بناء القاهرة المعزية، واختيار موقعها ووضع أسسها في(17شعبان 358هـ/05 يوليو 969م)، وإن كانت مدينة ملكية تحوي مقر الإمام ومقربيه من المغاربة الذي أثنى عليهم الخليفة المعز بقوله:(" فهم خاصتنا دون الخاصة، وأحب إلينا من الأهل والقراة والله ليسبقن من تقدمهم، وليسبقن من تأخرهم فبارك الله فيهم وأحسن جزاءهم، وانتم والله عدتنا وذخيرتنا، لما نحتاج إليه وكترنا الذي نعول عليه)(¹)، فقد كانوا كلهم فريقا واحدا يرغبون في تحقيق فتح مصر وإقامة الدولة(²).

1- الوسط الجغرافي للمغاربة في مصر:

تضافرت مجموعة العوامل الداخلية، الطبيعية والبشرية، ونجاح دعاة الشيعة الفاطميين في التمكين لأنفسهم، وهيأت لهم الظروف النجاح أيضا، العناصر المغربية التي استقرت بالإسكندرية، تحت ستار التجارة وطلب العلم(³)، ودون تنسيق موجه أو تخطيط مرسوم، انبث المغاربة في أرجاء الكنانة من أطراف الدلتا شمالا إلى الصعيد الأعلى، ومن مشارقها غربا إلى الصحراء الشرقية وساحل البحر الأحمر، فكانت منازلهم وزواياهم وربطهم المتواضعة، مقامات عليية ومدارس شعبية عامرة بالمريدين، ومجالس ذكر وتربية ومجاهدة، وقد استقر المغاربة بالبلاد المصرية، كغيرهم من الوافدين من

¹ - مايسه محمود داود: المسكوكات الفاطمية، دار الفكر العربي، 1991م، ص:25.

² - المقرئزي، تقي الدين احمد بن علي اتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيبان ج 1، ط2، القاهرة 1996، ص:79.

³ - لقبال موسى، دور كتامة في الخلافة الفاطمية من تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الشرطة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص:473.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

مختلف مناطق العالم الإسلامي، محافظين كل على مكوناتهم، وثقافتهم⁽¹⁾ كما سيأتي:

أ- بالقاهرة:

القاهرة⁽²⁾ مدينة بجنب الفسطاط، الفاصل بينهما سور واحد بناها جوهر الصقلي سنة (358هـ/970م) بعد دخوله على مصر التي هي الفسطاط⁽³⁾، وأطلال العساكر، وما جاورها⁽⁴⁾، فلم يشأ جوهر أن يتخذها عاصمة للدولة الناشئة لتأصل المذهب الشافعي فيها⁽⁵⁾، أو للاتفاق الحاصل بينه وبين المصريين ساعة المفاوضات وتسليم البلاد.

¹ - كغيرهم من الطوائف الأخرى، وجدوا كجنود كالأكراد والترک والمغاربة، يراجع

Jacque Pouttin et Dontella Calabi, les étragers dans la ville, minorités et espace urbain du bas Moyen âge Al'époque modernene, éditions De La maison des sciences de l'homme, Paris,, p;22

² -جمال حمدان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ص4-6، وأيضاً فاروق عسكر، دليل مدينة القاهرة، ج 1، مشروع بحثي مقدم إلى موقع الشبكة الذهبية، أبو ظبي، سبتمبر 2002م، وأيضاً حسن الباشا وآخرون، القاهرة، تاريخها- فنونها- أثارها، ص:25 وما بعدها، وأيضاً المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج1، ص285، ج2 ص204، 273، وأيضاً ابن الأثير، مصدر سابق، ج8، ص:240، وكذا ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص375-376، ومحمد عبد الله عنان، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، هيئة الكتاب، القاهرة 1998م، ص30، و أيضاً عبد الرحمن زكي، بناء القاهرة في ألف عام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1986م، ص:7،8، وعبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، مكتب الأنجلو المصرية، القاهرة 1987م، ص180-181، وكذا أيمن فؤاد السيد، التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، 1997م، ص:34.

³ - مصر والفسطاط والقطائع، لم يدخلها المعز، وقد زينت له، واستعد أهلها للقائه ضنا منهم أنه سيدخلها، فدخل القاهرة التي لم يستعد أهلها للقائه، يراجع ابن خلكان، ج5، مصدر سابق، ص:227، ومصر هي بقايا الفسطاط اليوم بأحد أحياء القاهرة دائرة المعارف، مرجع سابق ص8035، وهي أكثر أرزاقا وارخص أسعارا من القاهرة لقربها من شاطئ النيل، هذا ما لاحظته ابن سعيد المغربي لاحقا، صلاح الدين المنجد، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص:91.

⁴ - مختصر دائرة المعارف الإسلامية، المرجع السابق، مادة القاهرة، ص8035.

⁵ - عائشة عبد العزيز محمد التهامي، "الأزهر الشريف ودوره في توثيق العلاقات المشرقية المغربية منذ العصر الفاطمي حتى العصر المملوكي"، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق كتاب جماعي، مرجع سابق، ص:253.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

يقع سور القاهرة الأول إلى الشمال من الفسطاط والعسكر والقطائع، واعتبرت المدينة التي يدور عليها السور مركزا حكوميا معزولا عن السكان وفيها بنا قصرًا لسيده الخليفة المعز لدين الله الفاطمي الذي كانت خلافته من (341هـ-356هـ/952م-952م)⁽¹⁾ وثكنات الجيش الفاطمي وسكنات للمغاربة أنصار الفاطميين⁽²⁾.

كان قد فات على جوهر الصقلي إقامتها على شاطئ النيل كما نبيه سيده المعز⁽³⁾، أصبحت القاهرة فيما بعد المدينة العظمى التي تركز فيها المؤسسات السياسية والإدارية والثقافية والعلمية، استرعت انتباه الرحالة الفارسي ناصر خسرو، الذي سجل إعجابه بها، وهو يتجول في شوارعها في منتصف (ق5هـ/10م)، تحديدًا بين سنتي (434-437هـ/1064-1069م) على أن المدينة قل نظيرها، وفي وسطها يقع قصر السلطان⁽⁴⁾، وما يهم البحث هنا، هو معرفة أماكن إقامة المغاربة التي اشتهرت بالخطط، أو الحارات.

خطط المغاربة: خطط المغاربة، الحارات:

لم يكن يطلق مصطلح الحارة على الطريق المعبد كما هو اليوم، وإنما هي مجموعة المساكن التي يقيم بها سكان معينون، فيها محلاتهم وتتجمع بها مساكنهم، تحوي مساجدهم وأسواقهم ومدارسهم، وهي بمثابة أحياء بالمفهوم

¹ - ومدة أيامه ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبع عشر يوماً، المقريزي، اتعاظ، مصدر سابق ج1، ص:38، وكذا ابن خلكان، مصدر سابق ج 5، ص224، 228.

² - محمد جمال الدين سرور الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي 1965، ص:68.

³ - ربما على عادة العواصم الإسلامية في العصور الإسلامية، كانت داخلية بعيدة عن البحر، مثلها مثل دمشق وبغداد .

⁴ - ناصر خسرو علوي، سفرنامه، ترجمة يحيى خشاب، تصدير عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص:104.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

الحالي⁽¹⁾، وكل خطة أو حارة تنزل بها مجموعة من عساكر الجيش، كالحارات التي أقام بها المغاربة وهي أكبر معسكرات القاهرة في تلك الأحياء أو الحارات⁽²⁾، وقد انتظم بها، وعرفت بأسمائهم، أذ حافظوا على مميزاتهم كمجموعة بشرية⁽³⁾، وانتشرت هذه الحارات في مناطق مختلفة من القاهرة، عمل علماء الآثار لاحقاً على إبرازها⁽⁴⁾، كحارة الكتامية حارة زويلة، وحارة البرقية، وحارة المحمودية وحارة العدوية⁽⁵⁾.

وقد أمرهم المعز أن يخرجوا من مصر، وأن يسكنوا القاهرة وألا يغادروها في الليل وقد جعل لهم واليا وقاضيا⁽⁶⁾ وهي:

حارة زويلة:

هي إحدى حارت القاهرة الكبرى، وسبب التسمية، أن القائد جوهر أنزل أهل زويلة هذا الموقع فسمي باسمهم⁽⁷⁾، وبها البابين المشهورين؛ الذين بنى في موضعهما، وزير الخليفة المستنصر "بدر الجمالي" باب زويلة الكبير⁽⁸⁾.

حارة الباطلية :

وجدت هذه الحارة زمن المعز لدين الله الفاطمي، سكنتها طائفة من المغاربة الذي سمو بهذا الاسم وسبب التسمية، كون الخليفة المعز الداخل لمصر قسّم

¹ - عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش، دار الثقافة، 1991م، ص:197.

² - تعريفها عند المقرئزي، في الإتعاض، مصدر سابق، ج، 1، ص 98، ونفسه، في الخطط، مصدر سابق ج 2، ص 289، وكذا ابن تغري بردي، مصدر سابق ج 4، ص 49.

³ - *Jacque Pouttin et Dontella Calabi, op.cit p22.*

⁴ - أحمد عبد الرزاق أحمد، تاريخ وأثار مصر الإسلامية من الفتح حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، مصر، 1999م، ص:219.

⁵ - يراجع الملحق 1

⁶ - إن شدة استيلاء المغاربة على مساكن المصريين، جعلهم يرفعون أمرهم للخليفة المعز فأنصفهم من المغاربة، راجع المقرئزي، اتعاض، مصدر سابق، ج 1، ص:140.

⁷ - علي مبارك، مرجع سابق، ج 1، ص:7، وأيضا نفسه، ج 3، ص:5.

⁸ - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، مج 2، ج 3، ص:405.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

العطاء، فجاءوا يطلبونه، ف قيل أنه فرغ منه، فقالوا: رحنا في الباطل، فعرفوا
"بالباطلية" وأقاموا بحارتهم المعروفة بحارة الباطلية⁽¹⁾.

حارة كتامة:

لعل المغاربة لم يسكنوا القاهرة بشكل كامل لجميع طوائفهم مرة
واحدة⁽²⁾، كان في مقدمتهم الكتاميين قادة الجيش والأمرء والمشايخ، منهم
وانتظموا بتلك الحارات هم وأسرهم، ثم التحق بها سائر المغاربة الواصلين مع
المعز الذين تبسطوا في القرافة والمعافر، المعروف أن تاريخ كتامة مهم في نصرة
الفاطميين وإقامة دولتهم بالمغرب، وأقاموا بهذه الحارة زمن دخول القائد
"جوهر"، كما لحقهم فوج آخر مصاحبين للخليفة المعز الداخل للقاهرة التي
أخذها حاضرة لدولته، وكانت حارتهم تجاور حارة الباطلية وتقع بينهم حارة
البرقية⁽³⁾.

قصر بن عمار:

وهو جزء من حارة كتامة، ينسب لصاحبة بن عمار الكتامي، وهو واحد
من القادة الكتاميين، الذين خدموا الفاطميين، وشارك في صنع أحداثها، منذ
الخليفة المعز، حتى نهايته المأسوية في (390هـ/1000م)، في عهد الخليفة الحاكم
بأمر الله (387-411م/980-1020م)، وقد وصل إلى مرتبة الوساطة أو الوزارة

¹ - ابن أبيك، أبو بكر بن عبد الله الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج6. الدررة المضيئة في أخبار الدولة
الفاطمية، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة، 1961م، ص: 140، وأيضا، المقرئ، الخطط، مصدر سابق، مج 2،
ج3، ص: 312.

² - البنداري مرجع سابق، ص: 29، 30.

³ - عبد الله محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص: 201.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

وقدم خدمات جليلة لطائفته على حساب الأتراك والديالمية⁽¹⁾، لكنها لا ترقى للتنفذ والسلطة.

حارة البرقية:

البرقية طائفة من طوائف الجيش الفاطمي، الداخلة لمصر بصحبة الخليفة المعز، وهي جماعة كبيرة من أهل "برقة"، ودعامة للتواجد الفاطمي بمصر، أقامت حارتها بجانب الكتاميين⁽²⁾.

حارة الحمزيين:

وهي الطائفة الداخلة مع الجيش الفاتح لمصر، عرفت بهذا الاسم نسبة لقريّة يقال "حمزة"، ولعلها، سوق حمزة "البويرة" أغلب الضن أنهم نزلوا تلك الحارة وأقاموا بها، كبقية الطوائف الأخرى⁽³⁾.

حارة المصامدة:

غيرها من طوائف العساكر الذين قدموا مع الخليفة "المعز لدين الله"، خطت حارتهم وسكنوها، فأقاموا بها وأخذت تسميتها منهم، حتى عرفت بهم، على اعتبارهم جزءا مهما من عناصر الجيش الفاطمي⁽⁴⁾.

ولعلمهم لم يسكنوا القاهرة بشكل كامل بجميع طوائفهم مرة واحدة⁽⁵⁾، كان في مقدمتهم الكتاميون قادة الجيوش والأمراء والمشايخ والدعاة منهم

¹ - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص:443 وما بعدها.

² - ابن تغري بردي، مصدر سابق ج4، ص:48، وكذا عبد الله محمد جمال الدين، مرجع سابق، ص:201.

³ - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، مجلد2، ج3، ص:426.

⁴ - نفسه، ص:426.

⁵ - ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، مصدر سابق، ج1، ص:35.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

وانتظموا بتلك الحارات هم وأسرههم⁽¹⁾، ثم التحق بها سائر المغاربة الواصلين مع المعز الذين تبسطوا في القرافة والمعافر، إن هذه الحارات والدروب التي تؤرخ للفسطاط والقاهرة، تؤرخ للمغاربة أيضا؛ فأسمائهم التي حملتها في الحارات السابقة، وحارت أخرى، كحارات ابن عشرات الكتامي ومسجد توبة بن ميسرة الكتامي الذي يقع في القرافة الكبرى⁽²⁾، وهي ترتبط بعلوشأن الكتاميين في العصر الفاطمي، وامتدادا لذلك حتى القرن 9هـ/15م، شأنهم شأن المصامدة؛ وإن ظهرت حاراتهم، متأخرة قليلا بعد منتصف القرن 6هـ/12م، في زمن الخلفية الأمر بالله (495-524هـ/1101-1130م)، ومن ثم آثارهم العمرانية بانتشار جوامعهم، الأكثر تمثيلا جامع ابن المغربي⁽³⁾، ومدرسته أيضا، والتي أنشئهما صلاح الدين بن يوسف بن جمال الدين المغربي رئيس الأطباء، بما توفر له من رفاه، وهو تأكيد على أن هذه المنشآت الثقافية والدينية في تلك الفترة؛ قام ببنائها المغاربة أنفسهم في العصر المملوكي⁽⁴⁾.

ب- المغاربة بالإسكندرية:

ارتبط تاريخ مدينة الإسكندرية بالغرب الإسلامي وفق ثلاث محاور، كان الموقع الجغرافي للمدينة، سبب الاتصال السريع بين الطرفين بدءا من التواجد الأندلسي المبكر، بعد أحداث الريح، ولجوء طوائف أندلسية أخرى بعد تساقط مدتهم في يد النصارى، كما أن المدينة ثغور رباط ومجاهدة وجهاد لزمه

¹ - المقرئزي، اتعاظ، مصدر سابق ج 1، ص: 140، يصور المقرئزي في نفس الصفحة شدة المغاربة في الاستيلاء على مساكن المصريين الذي رفعوا أمرهم للخليفة المعز فأنصفهم من المغاربة.

² - محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، مرجع سابق، ص: 51.

³ - ابن حجر العسقلاني، الدرر، مصدر سابق، ج 4، ص: 464، والسيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج 1، ص: 546، السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 10، ص: 321، ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، مصدر سابق، ج 1، ص: 35.

⁴ - لطف بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 306.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

جمهور المتصوفة، وهي مدينة يغلب عليها المذهب الشافعي، ومقر المدارس الناشئة لاحقا، لبت حاجات المغاربة واحتياجات المصريين.

فالمحور الأول الذي أتاح لجماعة من غزاة البحر الأندلسيين كانت قد اعتادت الرّسوّ بسفنها في الموانئ المصرية، للتموين والتزود بالمياه، لغرض الجهاد البحري، ومهاجمة السواحل الأوروبية في حوض المتوسط؛ "فاستغلت" الظروف السيئة التي مرت بها الإسكندرية، فاستولت عليها في (192هـ/808م)، ثم ما لبث أن لحق بهم الرّبضيون المطرودين في (202هـ/818م). رغم أن تلك الأحداث بعيدة زمانيا عن فترة البحث، إلا أن أهميتها تكمن في تطور الوجود الأندلسي المهاجر، أو المهجّر، لمعرفة سوسولوجيا تصدير الأزمات التي تخلقها مثل هذه الحركة الإنسانية في فلك التاريخ الإسلامي، في غياب الحدود السياسية بين الدول؛ خاصة بعد فشل تجربتهم الإصلاحية هناك، مما ولّد لديهم شعورا بالإحباط بعد القتل والنفي الذين تعرضوا لهما رغم الصراع الإثني، المذهبي والجغرافي بين غرب العالم الإسلامي وشرقه⁽¹⁾، فكوّن الجميع كيانا سياسيا في الإسكندرية، مستقلا حتى عن الحكومة المركزية؛ معبرين عن رفضهم الانصياع لحكم القوى المحلية، بل أكثر من ذلك تحالفوا تعبيرا عن ميولهم الدينية مع القوى الصوفية، واختاروا زعيما لهم من المتصوفة ليكون لهم حاكما وهو "أبو عبد الرحمن الصوفي"، ثم انقلبوا عليه، ومكثوا بالإسكندرية حتى أخرجهم منها، جيش المأمون العباسي بقيادة عبد الله بن طاهر بن الحسين سنة (212هـ/827م)، بعد حصاره الإسكندرية فاختر زعيمهم أبو حفص جزيرة

¹ - يراجع سحر عبد العزيز سالم الهجرات الأندلسية المورسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط (النتائج الديمغرافية والسوسولوجية والحضارية)، أوراق تاريخية، مرجع سابق، ص: 231-249، وأيضا عبد الحميد سعد زغلول، مرجع سابق، ص: 137.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

اقريطش "كريت" التي انتزعوها من البيزنطيين، بذلا للجهاد المقدس وحكموها حتى سنة (350هـ/961م)⁽¹⁾.

وقد زادت صلة الإسكندرية بالمغرب توثقا منذ أن أتى الفاطميون بجيوشهم من المغرب وفتحوا مصر⁽²⁾ واتخذوها مقر الخلافة، فقد أصبح المغرب كله ومصر والشام دولة واحدة، في فترة كان التفوق السياسي الشيعي منذ ق(4هـ/10م) في شرق العالم الإسلامي وغربه، ساد الفاطميون على المغرب ومصر والشام واليمن والحجاز، والبويهيون سادوا العراق على حساب سلطة الخلافة، في حين كانت ردة الفعل القوية من المذاهب السنية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادي والثاني عشر الميلاديين، بعد ضعف السلطة الفاطمية و البويهية⁽³⁾.

ونتيجة لهذا كثرت وفادة المغاربة والأندلسيين إلى مصر، والإسكندرية تحديدا، للحد من التأثير المذهبي في أواخر عهد الفاطميين وسيادة نفوذ الوزراء، فكان المذهب السائد إذك هو المذهب الشيعي، لكنها ستتحوّل لاحقا كدار قرار وملجأ لهجرات مغربية، ارتبطت بالمدينة واندمجت بساكنها ثرت تراثها وأثرت فيها ولونت مدينة الإسكندرية باللون المغربي⁽⁴⁾، رغم اهتمام الفاطميين بالإسكندرية، قد تعادل أو تزيد عن اهتمامهم بالقاهرة، وجعلوا منها قاعدة لأسطولهم في البحر المتوسط، وثرها محط للأساطيل القادمة من

¹ - يراجع، هشام قيتشاح، جزيرة كريت خلال العصر الوسيط، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2010م.

² - 309هـ/821م، عندما تهيأت لهم الظروف، سعد زغلول، مرجع سابق، ص:170 وما بعدها.

³ - السلاجقة والأتابكة في الشرق، والأيوبيون والمماليك في مصر والشام، والموحدون في المغرب، إذ ترى هذه الدول أن الجنوح للاهتمام بالأراء الكلامية والفلسفة، هو فرصة ثانية للتوسع الشيعي، يراجع، الشيال، مرجع سابق، ص:162 وما بعدها.

⁴ - العبادي، التأثير مرجع سابق، ص:64.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

الغرب الإسلامي خلال العصر الإسلامي⁽¹⁾، والقادة أيضا من بعض المدن الإيطالية كالبندقية وجنوة، وقد أشار أبو عبيد البكري إلى أهمية ثغر الإسكندرية في العصر الفاطمي، وذكر أن السفن كانت تفد من ثغور المغرب إلى الإسكندرية حاملة التجارة المغربية إليها⁽²⁾، وهو ما يفسر الرحالة الفارسي "ناصر خسرو"، في قوله، "أن بحر الإسكندرية يمتد حتى القيروان"⁽³⁾، ولعل ذلك مبتدأ لتأصل التقاليد المغربية في جميع مناحي الحياة في الإسكندرية أدبية فكرية أو مادية، مما عجل بتهاطل وفود من أئمة المغرب والأندلس إلى الثغر السكندري⁽⁴⁾.

خلال العصر الأيوبي، وما بعده أيضا؛ ترسخ صورة الإسكندرية في أذهان المغاربة، غدت أصبحت الظروف أكثر انسجاما وملائمة بعد زوال الخلافة الفاطمية، من مصر اعتبارا من تاريخ (569هـ/1114م)، بداية الحكم الأيوبي، والاستعانة بالمغاربة لمحاربة المذهب الاسماعيلي في مصر خلال قرنين وخمس سنوات، ومنه العمل على إحياء الثقافة السنية التي كان ميدانها مدينة الإسكندرية للمعطيات المسرودة سابقا، والوقوف في وجه الخطر الأجنبي المهدد للدولة ، خاصة بعد سقوط بغداد في يد المغول (656هـ/1258م)⁽⁵⁾.

فالإسكندرية هي رباط للجهاد لا بد من سد ثغره، فالمغاربة يعتقدون أن الإقامة في هذه الرباطات والحياة في الثغور نوع من الجهاد على المسلم واجب، فامتلت هذه الأربطة بالعلماء والزهاد وطلبة أيضا، فانطبق ذلك على

¹¹ - Iram. Lapidus ; muslim cities in the later middle ages; Cambridge University Press; London, p;77

²² - البكري، المسالك والممالك، مصدر، سابق ج 2، ص:160 وما بعدها.

³³ - ناصر خسرو، سفرنامه، نقله على العربية يعي الخشاب- دار الكتاب الجديد بيروت، 1983م، ص:100.

⁴⁴ - فتحي أبو عيانه، "شخصية المدينة الإسلامية عند عبد العزيز سالم"، أوراق تاريخية، المقدمة، مرجع سابق.

⁵⁵ - خلفات مفتاح، مرجع سابق، ص:433.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

الإسكندرية، التي استأثرت بالمغاربة، فاتخذوها وطنا ودار مقامة، نالوا شرف المرابطة في الثغر والاستشهاد دفاعا عنه، أو حصلوا على علم رغبوه، أو نشروا علما حصّله، فأصبحوا أئمة كبارا، من أبرزهم الشيخ، أبو بكر الطرطوشي، الذي سبق أبا الحسن الشاذلي الذي نزل بالإسكندرية في (642هـ/1244م)، مؤسس مدرسة صوفية اشتهرت بها الإسكندرية⁽¹⁾، لذلك كان اهتمام صلاح الدين بها كبيرا، فعمر أسطولها وأنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة ومدرسة، كما جدد حفر خليج الإسكندرية⁽²⁾.

كما أن موقع الإسكندرية الجغرافي، كان له الدور المهم في توثيق أواصر العلاقات بينها وبين بلاد الغرب الإسلامي؛ حتى عرفت الإسكندرية بـ"باب المغرب" المغرب الإفريقي والمغرب الأندلسي⁽³⁾، ولأنها المحطة الأولى لرحلة المغاربة واتصالهم بعالم الشرق، من طلبة وتجار استهواهم هذا "الشرق" للتعلم أو الحج، أو الجهاد، فأول خطواتهم نحو الشرق، هي هذه المدينة؛ التي تمغربت حتى في مذهبيتها، في كونها "مدينة سنية تعصبت لمذهب مالك، بالرغم من أن أكثر المصريين على مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي⁽⁴⁾، ولهذا نرى أن عددا كبيرا من علماء الإسكندرية في العصر الإسلامي؛ المصريين منهم والمغاربة كانوا مالكيو المذهب، كما أنها تأثرت أيضا بالمؤثرات المعمارية المغربية، بسبب كثرة وفود المغاربة والأندلسيين عليها فانعكس ذلك على المنشآت الدينية،

¹ - سبقته جهود الجزولي قبلا، وعليه من الضروري بسط الحديث عن صوفية الغرب الإسلامي في الإسكندرية، ربما

للحد من مظاهر لتشييع، في الفصل الرابع من هذا البحث.

² - ابن جبير، الرحلة، مصدر سابق، ص: 8-9.

³ - أحمد مختار، العبادي، التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، السنة 1995، العدد 27، ص: 63.

⁴ - الشيال، مرجع سابق، ص: 52، وكذا العبادي أحمد مختار، التأثير مرجع سابق، ص: 63.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

حيث كان جامع العطارين أحد أبرز المساجد السكندرية، وهو أكثر تأثراً بهذا الاتجاه الأندلسي فقد زرع في صحنه روضة خضراء مليئة بالأشجار⁽¹⁾.

و للإسكندرية مكانة علمية وثقافية، قبل عصر المماليك، إذ توافد عليها العلماء عليها من كل صقع، كما كان لإنشاء دار المغاربة ومدرستهم على يد صلاح الدين الأيوبي، أثره في وفود عدد كبير من علماء المغرب والأندلس، الذين نزلوا الإسكندرية وأسهموا في الحركة العلمية بها كما سنوضحه لاحقاً، وحتى في الفترة الفاطمية!.

إن لحركة الإصلاح الديني والمذهبي "للموحدين، ضرره على المذهب المالكي، باعتماد هؤلاء على سياسة الترهيب لفرض آرائهم ومبادئهم، ومحاربتهم فقه الفروع، والعودة إلى أصول المذهب المالكي، فكان أن تعرض الفقهاء والعلماء للقتل والسجن، كما لحق بمؤلفاتهم التلف والحرق كما حدث في عهد يعقوب بن يوسف الموحيدي(580-595هـ/1184-1198م)⁽²⁾، فأى سبيل سيختاره طلبة العلم والفقهاء من المالكيين غير الاختباء، أو الهجرة نحو المشرق.

كما كان للعامل الخارجي المتمثل في تقدم نشاط الممالك النصرانية، وتساقطت حواضر المسلمين في أيدي القوى المسيحية، في عصري الطوائف والمرابطين، في حركة الهجرة، رغم أن المصادر العربية لم ترصد هجرات أندلسية كبيرة وجماعية حتى نهاية عصر المرابطين وحتى الشطر الأول من

¹¹ - سحر عبد العزيز سالم، "أضواء على الأوضاع البيئية في مدن مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العصر الفاطمي(21-567هـ)" أوراق تاريخية، مرجع سابق، ص:208.

² - عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص:231، وما بعدها، تم إحراق مدونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادير ابن أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، والواضحة لابن حبيب، وما جانس من هذه الكتب ونحوها، شاهد المؤلف حرق حرقها بفأس إذ يؤتى بالأحمال فتوضع في النار، نفسه، ص:231.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

العصر الموحدى سنة (609هـ/1212م)⁽¹⁾، وربما مرد ذلك لكفة موازين القوى فى الصراع التى لم تحسم بعد لأى طرف؟ مع فارق التقدم النسبى لصالح المسلمين، فإن سقطت مدينة أندلسية هاجر سكانها لمدينة أخرى قريبة منها آملين العودة مجدداً.

لكن ذلك لم يحدث إذ عرفت الهجرة الجبرية بعد عام من سقوط مدينة شاطبة وما يتبعها من مدن الأندلس نهائياً فى (644هـ/1247م)، وشاطبة هى إحدى أكبر الهجرات الأندلسية، لم تحدد المصادر الأندلسية عددها إلا أنها وصفت فى "عدة آلاف"، وتفرقوا فى قواعد الأندلس والمغرب وتونس وبجاية وإسكندرية⁽²⁾، بعد نقض ملك أراغون عهوده مع المسلمين وأجبرهم على الخروج⁽³⁾، ويكفى باستعراض سلم تاريخى لسقوط هاتيك المدن فى الأندلس؛ والبالغ عددها سبعة عشر مدينة تهاوت فى ظرف قياسى خلال تسع وعشرين سنة، بمعدل مرعب، فى سرعة تساقطها تباعاً بسنتين بين مدينة وأخرى⁽⁴⁾.

¹¹ - وتوافق معركة حصن العقاب التى انهزم فيها المسلمون وهى بمثابة الانحدار السريع، للوجود الأندلسى والضعف الكبير للعائلة الموحدية، مما أفسح المجال لتقدم حركة الاسترداد وسقوط الحواضر الأندلسية تباعاً، يراجع سحر عبد العزيز، "الهجرات"، ورقات مرجع سابق، ص: 252. نفسه، ص: 259، 260. منذ أوائل ق7هـ/13م، بدأت مدن الأندلس تهاوى، فسقطت مدينة بياسة فى (623هـ/1226م)، ومدينة ميورقة وبطليوس فى (627هـ/1229م)، وماردة فى (628هـ/1230م)، وأبدة فى (630هـ/1235م)، ومرسية فى (640هـ/1242م)، ودانية فى (641هـ/1243م)، وقرطاجنة وجيان فى (643هـ/1245م)، وشاطبة فى (644هـ/1246م)، واشبيلية فى (646هـ/1248م)، وشنتبرية الغرب فى (647هـ/1249م)، ولبلة فى (655هـ/1257م)، وقادس وطلبيرة وشلب فى (659هـ/1260م)، وشريش فى (662هـ/1263م)، لتبقى قرطاجنة تقاوم السقوط الذى ينهى الوجود الأندلسى ليظهر لاحقاً مصطلح المورسكيين.

²² - المقري، نفح الطيب، مصدر سابق، ج4، ص: 147-148. وهى عند

Maria Jesusn, I Mikel De Eplaza, Xativa Muslumana, Jatiba, 1987, p, 103,

وصل عددهم عنده بنحو 1509 الف من النساء والرجال

³³ - سحر عبد العزيز، "الهجرات"، ورقات مرجع سابق، ص: 253.

⁴⁴ - منذ أوائل ق7هـ/13م، بدأت مدن الأندلس تهاوى، فسقطت مدينة بياسة فى (623هـ/1226م)، ومدينة ميورقة وبطليوس فى (627هـ/1229م)، وماردة فى (628هـ/1230م)، وأبدة فى (630هـ/1235م)، ومرسية فى (640هـ/1242م)، ودانية فى (641هـ/1243م)، وقرطاجنة وجيان فى (643هـ/1245م)، وشاطبة فى (644هـ/1246م)، واشبيلية

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

وهذه الأحداث تصب في عمليات التوافد المغربي الأندلسي عبر خارطة مناطق الغرب والشرق؛ منها المصرية، والتي يرتبط نشاطها بتواجد أسربعينها، فمن خلال كتب التراجم للعلماء والفقهاء فإننا نستطيع رصد تواجد أندلسي كثيف يواكب تقدم المد المسيحي، وسقوط المدن الأندلسية، وكانت هذه الهجرة فردية، أو على هيئة هجرة أسر متفرقة على أقصى تقدير⁽¹⁾، كهجرة أسرة ابن حديد الأندلسية، التي تولى أحد أفرادها منصب قاضي الإسكندرية في العصر الفاطمي⁽²⁾، وهو الذي مكن للفقهاء العالم الصوفي الكبير أبو بكر الطرطوشي (ت 520هـ/1126م)⁽³⁾، المنسوب لمدينة طرطوشة التي توافد العديد من علمائها للإسكندرية وعموم البلاد المصرية، فكان تأثير الطرطوشي كبيرا على أحداث الإسكندرية نهاية العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي.

و الطرطوشي من كبار علماء المالكية الذين رحلوا من الأندلس إلى الإسكندرية واستقروا بها في أواخر القرن الخامس الهجري حوالي (490هـ/1097م)، أواخر الدولة الفاطمية فاتخذها وطنا ودار مقام⁽⁴⁾، بعد رحلة

في (646هـ/1248م)، وشنترية الغرب في (647هـ/1249م)، ولبلة في (655هـ/1257م)، وقادس وطلبيرة وشلب في (659هـ/1260م)، وشريش في (662هـ/1263م).

¹¹ - نفسه، ص: 259، 260.

² - أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن حديد سليل عائلة ثرية وأسرة علمية توارثوا القضاء، الذي يرتب منصبه بعد الوالي مباشرة، في شؤون قضائية وإدارية وضريبية، وعلى الأعباس والجليل وهي ضريبة الجزية "قال عنه السلفي" قل ما يرى مثله في أبناء جنسه رئاسة دينية وسياسية وفضلا ونبلا، وكان سنيا مالكي المذهب عريق الرياسة"، وقد تذر القاضي، هذا من الطرطوشي ونشاطه لاحقا، يراجع، السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد، معجم السّفر، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، 1993م، ص: 54.

³ - وهو الإمام الزاهد العلامة شيخ المالكية عالم الإسكندرية، ولد هذا العالم الجليل في مدينة طرطوشة (TORTOSA) بشمال شرق اسبانيا في سنة (450هـ/1058م) وأخذ العلم أولا على علماء المغرب والأندلس بسرقة منهم، أبو الوليد الباجي (ت 474هـ/1081م)، وقرأ الحساب الفرائض بوطنه، كما قرأ الأدب على محمد ابن حزم باشبيلية، وكانت وفاته بالإسكندرية، الذهبي، مصدر سابق، ج 11، ص: 490، وكذا ابن خلكان، مصدر، ج 4، ص: 262، وما بعدها يذكر كراماته،، السيوطي، مصدر سابق، ج 1، ص: 452.

⁴ الشيال، مرجع سابق، ص: 53.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

علم وحج للمشرق ، ومجاورة بالقدس الشريف⁽¹⁾، ثم مجاورة بمكة، ليزور بغداد، في الوقت الذي كانت تبني بها المدرسة النظامية كان أن تتلمذ على أساتذتها، وزار مدنا أخرى كثيرة في العراق والشام⁽²⁾، ليصل الطرطوشي لمصر في عهد الوزير الأفضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي سنة(487هـ/1094م)⁽³⁾، وهو تاريخ يقترن ببدء الهجمة الصليبية.

كان الطرطوشي يقيم برشيد، حتى خلت الإسكندرية من الفقهاء الذين قتلهم العبيدي، وجاء وفد من السكندريين يقودهم القاضي ابن حديد(529هـ/1135م)، وعاشت المدينة حالة من المجاعة في عهد الخليفة المستنصر، فكثرت الغلاء واشتد الوباء وقد أجلس الوزير بعد وفاة المستنصر أبا القاسم احمد اصغر أبناء الخليفة على عرش الخلافة، مما أثار حفيظة نزار الابن الأكبر للمستنصر، وذهب مغاضبا للإسكندرية، مع القائد ابن مصال، وطلب من واليها افتكين، أن يبايعه بتأييد من سكان المدينة، على شرط منحه الوزارة إن استقر له الأمر، واقنع سكان المدينة بمبايعته، وكانت فوضى وحروب بينهما، ليلقى نزار مصيره بعد أن تخلى عنه ابن مصال، والقي عليه القبض وقتل في القاهرة، وانتقم الأفضل من المدينة وسكانها بسبب مبايعتهم لنزار واعمل فيهم مجزرة، وفي علمائها العدد الأكبر فتعطلت الشعائر الدينية⁽⁴⁾، وخلت المدينة من العلم والفقهاء.

¹ - "رحلة ابن العربي إلى المشرق كما صورها قانون التأويل"، مجلة الأبحاث ج3، 2، بيروت، 1968م، ص:81،80.

² السيوطي، مصدر سابق، ج 1 ، ص:452.

³ - استدعاه الخليفة لما كان واليا على عكا واستعان به للقضاء على الفتن والشغب، وعينه وزيرا، منذ(467هـ/1074م)، وبعد وفاته تولى الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، استقام له الأمر بعد أن قضى على الفتن وتسكينها بسبب انحصار مياه النيل سبع سنوات، لكنه اغتيل في عهد الأمر(525هـ/1131م)، يراجع، الذهبي، مصدر سابق، ج 19 ، ص507.

⁴ - محمد بن عزوز، علماء المغرب والأندلس في مجالس الحفاظ أبي طاهر السلفي بالإسكندرية، دار ابن حزم، بيروت، 2011م، ص21-22.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

واستقر الطرطوشي بالإسكندرية مدة بلغت ثلاثين سنة، في إقامة دائمة(1)، إذ تزوج من سيدة تقية فاضلة دينة، من بيت بني عوف وهي من بيوتات الإسكندرية علما وفضلا وجاها وثراء، فهي خالة فقيه الإسكندرية وكبير علمائها أبي الطاهر بن عوف، تلميذ الطرطوشي وورث علمه وفضله، وهبته هذه "الزوجة" أموالها فأقام ببيت في الطابق العلوي مسكنه وفي الطابق السفلي مدرسة (2)، يلتقي فيها بطلبة العلم، وقد ابتدع طريقة حديثة للتعليم؛ مبنية على الخروج في حلق للفضاء، بعد الدرس النظري في المدرسة قد تتعدى 400 فردا كأنهم وفد حجاج، كما ألف العديد من الكتب منها "سراج الملوك"، وكتاب الحوادث والبدع(3)، وتعلم عليه الكثيرون من أهلها ومن الوافدين عليها مدة ثلاثين عاما في نشر خلالها علما كثيرا وأصبحت الإسكندرية بفضلها محجا يحج إليها طلاب العلم من كل حدب وصوب، إلى أن توفي إلى رحمة الله سنة (520هـ/1126م)(4).

إن حركة الطرطوشي الإصلاحية، فقهيا ستصطدم بصراعها السياسي الإداري، باعتباره يوجه انتقادات لتصرفات القاضي بن حديد المالية ومآخذه عليه، وهي في نظر الفقيه، بعيدة عن أصول الشريعة ومعاملاتها، لتصل أسماع القاضي، وتقض مضجعه وتهدد الساكنة التي خرجت توا من الحراك الدامي،

¹ - كان قد دخل على ملك مصر "الوزير" الأفضل بن شاهنشاه ونصحه، كما أنه لم يقبل القدوم لمصر القاهرة، وفضل بدلها الإسكندرية لتدريس المذاهب الأربعة، وتدريس الحديث، يراجع ابن سعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، محمد أحمد الديباجي، دار صادر بيروت، 2011م، ص: 253.

² - كما جعل من داره مسجدا يجمع الناس فيه للصلاة، يراجع السلفي، مصدر سابق، ص: 402. ابن سعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل، النجم الثاقب لما لأولياء الله من مناقب، تحقيق، محمد أحمد الديباجي، دار صادر بيروت، 2011م،

³ - العبادي، التأثيرات، مرجع سابق، ص: 64.

⁴ - كان الطرطوشي مقدما لعلمه وفضله في الإسكندرية على كثير من العلماء حتى أبي طاهر السلفي، الذي ذكر أنه صلى خلف الطرطوشي في جنازة عظيمة للفقيه أبي شبل، يراجع السلفي، مصدر سابق، ص: 319.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

تعامل معها القاضي بذكاء كيّف المسألة وأرسل للوزير شاهنشاه يعظم الموقف ويقدر خطورة الخطوة، فبعث لوالي المدينة بإسراع إحضار الطرطوشي وعرضه على الوزير في القاهرة، وبعد مقابلة الطرطوشي للأفضل ابن شاهنشاه، رأى أن يعتقله ويحد من حريته في الفسطاط، ومنع الناس من التقرب إليه، وطالت مدة الحبس حتى قضى الله أمره في الأفضل وقتل⁽¹⁾، وولى الوزارة بعده المأمون البطائحي، ليفرج عن الشيخ ويكرمه ويقربه إليه، فعاد إلى الإسكندرية يشعها علما وفضلا⁽²⁾، وتخرج على يده متصوفة كما نرى ذلك في وقته.

كما أن الفقيه الزاهد أبي عبد الله محمد بن سليمان المعافري الشاطبي (ت672هـ/1274م)، وهو الذي هاجر إلى الإسكندرية عقب سقوط شاطبة في (644هـ/1246م) في يد الأراجونيين، وعاش بها منقطعاً للعبادة في رباط سوار، حتى وفاته بالإسكندرية ودفن بتربتها⁽³⁾، كما كان من طلبته المغاربة الطارئين، أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد العربي المعافري الأشبيلي، الذي دخل الإسكندرية بعد مغادرة بغداد في (493هـ/1100م)، حيث التقى الإمام الغزالي بها من (485-493هـ/1092-1100م)، وهي مدة ليست بالقصيرة، كما التقاه أيضا بالحجاز، مع غيره من المغاربة⁽⁴⁾، لم يطل مقام أبي بكر بن عربي الإسكندرية،

¹ -الظاهر أن الوزير الأفضل لا يلايد شرا بالطرطوشي لما اعتقله لفرط حبه لأهل السنة، بحسب ابن سعيد، أن الأفضل بن شاهنشاه، كانت الإسماعيلية تكره، لأمر منها: "عدوله عن إمامهم نزار، إلى أخيه المستعلي، وتركه معارضة أهل السنة في معتقداتهم، فكثير الغبراء في بلاده"، ابن سعيد المغربي، النجوم الزاهرة في حضرة مصر والقاهرة، القسم الخاص بالقاهر، م كتاب المغرب في خلى المغرب، تحقيق حسين نصار، دار الكتب، مصر، 1970م، ص:216.

² - محمد بن عزوز، مرجع سابق، ص:24.

³ - سحر عبد الزيز سالم، الهجرات، ورفقات مرجع سابق، ص:260-262.

⁴ - التقى الغزالي بأبي محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حرزهم ببيت المقدس، والتقى في الحجاز بأبي الحسن علي الكتاني من مدينة فاس، يراجع، التميمي الفاسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فأس وما يليها من البلاد، تحقيق، محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تيطوان المغرب 2002م، ص:183، 184، وأيضا ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، 1997م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ص:94، 95.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

إذ غادرها سريعا في (493هـ/1100م)، خوفا من تهديدات بإهدار دمه ومحاكمة أفكاره، بتهمة العمل بالكيمياء⁽¹⁾.

وهو ما كان من المهدي بن تومرت (485هـ/1092م)⁽²⁾، الذي كانت له إقامة قصيرة، أو مؤقتة بمصر، حيث المذ على الطرطوشي، بعد عودته من المشرق غي رحلته العلمية، وياشر دعوته ب"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، فرجّل من مصر.

علما بأن جهود الطرطوشي تكاتفت مع نشاط الحافظ أبو الطاهر أحمد ابن محمد بن أحمد السّلفي، وهو واحد من كبار علماء الحديث في التاريخ الإسلامي، إذ اشتغل منذ نزوله بالإسكندرية بالتدريس، وتدريس الحديث بوجه خاص، فكان يعقد حلقاته أول الأمر في مساجد المدينة، ثم ما لبث أن أقبل الطلاب عليه من جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ وفي حدود سنة (540هـ/1145م) بنا له العادل بن السلار- الوزير الفاطمي- مدرسة خاصة به، عرفت أول الأمر بالمدرسة العادلية؛ نسبة إلى بانها، ثم عرفت فيما بعد باسم المدرسة السّلفية، نسبة لأستاذها وشيخها أبي طاهر السّلفي، وله في معجمه الذي وضعه تراجم لكثيرين من أهل المغرب والأندلس ممن تتلمذ على يده، أو ممن التقاهم⁽³⁾.

¹ - طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص: 15-58، وكذلك الغبريني، مصدر سابق، ص: 79، 78.

² - رحل للمشرق طلبا العلم فدخل العراق، وانتظم في المدرسة النظامية، بعدها تفرغ لإداء مناسك الحج، وأخيرا دخل مصر واتجه نحو الإسكندرية الذهبية، مصدر سابق، ج 19، ص: 539.

³ - هل يقتصر الحديث عن "الجالية المغربية" من منظور التجار الميسورين، وصغار الحرفيين، والفقراء المتواجدين، دونما التركيز على الإداريين والعلماء، يراجع لطفي بن ميلاد، إفريقية والمشرق المتوسطي، من أواسط القرن 5هـ/11م، إلى مطلع القرن 10هـ/16م، تونس، 2011م، ص: 304، وما بعدها.

ت- في بنيوية الجالية المغربية بمصر⁽¹⁾:

إنه من الضروري في ختام هذا المبحث أن نكد على أن التواجد المغربي بمصر، لم يكن مجاله الحواضر، بقدر ما تجاوز ذلك من انتقال قبائل مغربية بكاملها بحكم الجوار المغربي بين مصر و برقة، فحضور قبائل هوارة المغربية بالريف المصري، خاصة بالصعيد من قوص جنوبا حتى الهندسا شمالا، في (782هـ/1380م)، فتلونت هذه المنطقة بلون النشاط المغربي، وأثرت على باقي القبائل المصرية، حتى من حيث فرض سيطرتها وبسط نفوذها، فدانت لها باقي القبائل بالولاء والانتظام، حتى اعترفت لها سلطة المماليك بالإشراف الإداري على المنطقة والإمارة عليها مما خلق شبه اتحاد فدرالي تحت حكم قبيلة هوارة⁽²⁾.

لكن في فترات لاحقة، تسوء العلاقة بين الطرفين بسبب السطوة المغربية، وما لحق بالفلاحين المحليين من النهب والتخريب، لممتلكاتهم، فتسوء أحوالهم فيلجئون إلى الهجرة خارج المجال الجغرافي⁽³⁾

أما في المجال الحضري فإن عموم الوافدين المغاربة، وعلى اختلاف مستوياتهم، فلئن ارتفعت مكانة التجار والساسة والعلماء، بسبب ارتباطهم بخدمة الدولة على مراحلها بمصر، وما حصلوا عليه من ثراء وجاه وسكن.

إن الحرفيين منهم والتجار، في المجال الحضري المصري، فكما كانت سمعتهم جد محترمة، بسبب إخلاصهم وأمانتهم، فهم أيضا يخضعون لهيكل تنظيمي، كباقي الطوائف في الحياة المصرية، والقائم على الأساس الطائفي، في ميدان

¹ - ابناء السبيل من المغاربة، عند ابن جبير، وحي المغاربة عند الدوداري، والطائفة المغربية عند الحنبلي، الأنس الجليل، منشآت المغاربة، الجالية، جماعة من الناس تعيش في وطن جديد جديد غير وطنهم الأصلي، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص:

² - علي مبارك، مرجع سابق، ج10، ص:53-55.

³ - عيفة حاج، مرجع سابق، ص:342.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

المهمن أو الخدمات "التجارة"، بخضوع كل طائفة لأمينها، أو رئيسها، أو شيخها، فهو ممثلهم والمتحدث باسمهم وراعي شؤونهم والمدافع عن مصالحهم، لدى السلطة والهيئة المشرفة على الطائفة كلها، بحيث يتواجد أمين الطائفة المغربية في الأسواق، كأسواق طولون و الحمزاوي⁽¹⁾

كما كان بمسجد الأزهر رواق خاص بالمغاربة، يتولى شؤون الأساتذة والطلبة المغربية به، متولمهم أو شيخهم والمشرف العام عليهم، بما توافر عليه من علم ونشاط وتقوى⁽²⁾

غير أن كثرة المغاربة بمدينة الإسكندرية؛ خاصة الفقراء منهم يستدعي على الدولة مباشرة الاهتمام بهم، بتخصيص معونة لهم لكفّ سؤالهم وتطمين نفوسهم وتعزيز تواجدهم بها، وقد يصل عدد الفقراء بالإسكندرية نحو ألف أو أكثر⁽³⁾، فأنشأ لهم مارستانا ودارا للمغاربة في (573هـ/1170م)⁽⁴⁾.

ليكتمل الحي المغربي بالإسكندرية في أواسط القرن (9هـ/14م)، وهو القريب من ثغر الإسكندرية⁽⁵⁾، الذي يأوي العديد من المغاربة الزهاد و المشاغلين والعلماء الذين لعبوا دورا مهما في الحياة المصرية⁽⁶⁾، وقد تنوعت أصولهم التي مازالوا ينسبونهم لها؛ منهم بدر الدين المغربي الجربي، و الجاح

¹ - فهرست أرشيف المحكمة الشرعية، محكمة كولون، سجل، 224، مادة 288، ص: 401، 402.

² - مجاهد توفيق الجندي، "الرحلات العلمية المغربية إلى مدينة القاهرة، من خلال وثائق رواق السادة المغربية بالجامع الأزهر بمصر"، بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق، مرجع سابق، ص: 393، وما بعدها

³ - لظفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 304، وما بعدها.

⁴ - المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج 1، ص: 76، في وصف علاقة صلاح الدين بالفقيه أب الطاهر بن عوف.

⁵ - عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، "الوثائق المتعلقة بالمغاربة في محكمة الإسكندرية الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، السنة 11، ع 35-36/1984م، ص: 137.

⁶ - لظفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 307.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

محمد بن عبدا لله المغربي المنستيري، والكتامي، والتونسي، والسوي والتلمساني، وغيرهم إليها كما تبينه وثائق محكمة الاسكندرية الشرعية⁽¹⁾.

كما شمل اهتمام الأيوبيين أيضا المغاربة بالقاهرة؛ بجامع أحمد بن طولون الذي أضحي مأوى للمغاربة يلجئون إليه إقامة، وتحلقوا فيه للدرس أو للعبادة، لتوزع عليهم الأرزاق، وأن السلطان جعل أحكامهم، إليهم ولم يجعل يدا لأحد عليهم، فقدّموا من أنفسهم حاكما يتمثلون أمره ويتحاكمون في أمورهم عنده⁽²⁾، واستمر ذلك حتى نهاية ق10هـ/16م أن محتسب الثغريها هو شهاب الدين بن سعيد الصنهاجي المحتسب بالثغر⁽³⁾، كما أوضحت في نفس المنحى وثيقة مؤرخة، على "أن النوري علي بن المغربي السفاقي كان ملتزما بجهة بيت المال بالثغر السكندري⁽⁴⁾.

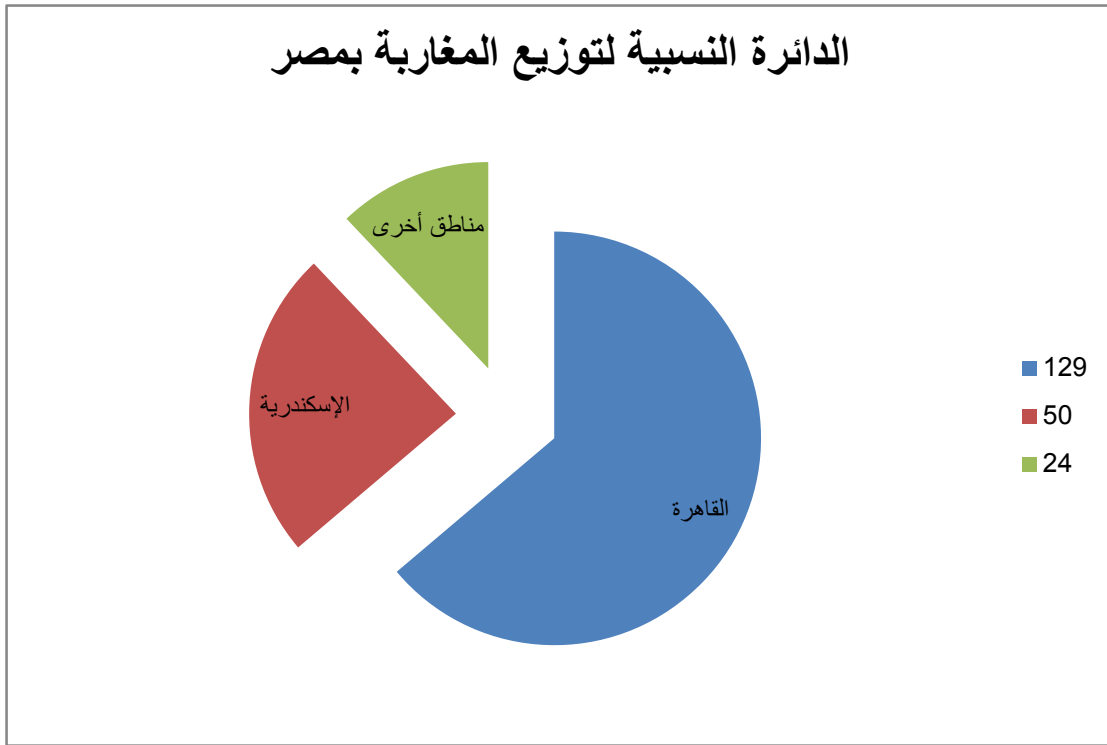
فضلا عن تواجد المغاربة في حواضر مصر الكبرى، فإنهم توزعوا كذلك في باقي البلاد المصرية، كفاعلين اجتماعيين، مارسوا التعليم والقضاء، وحتى التصوف وباقي الحرف، مثلما سنقف عليه لاحقا ارتفعت فيها منشئاتهم، وحيوا تواجدهم بالحضور الفعال، من حيث ما أنجزوه في فلك الحضارة الإسلامية، مع المصريين وبقية الطوائف، وبحساب بسيط لعدد الشخصيات المذكورة في البحث التي وصلت إلى 203 فردا، فإن نسبة 12.06%، تواجدوا بدمياط، والأقصر، وقوص، والمنيا، والفيوم، كما توضحه هذه الجداول

¹ - عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، مرجع سابق، ص:123-137.

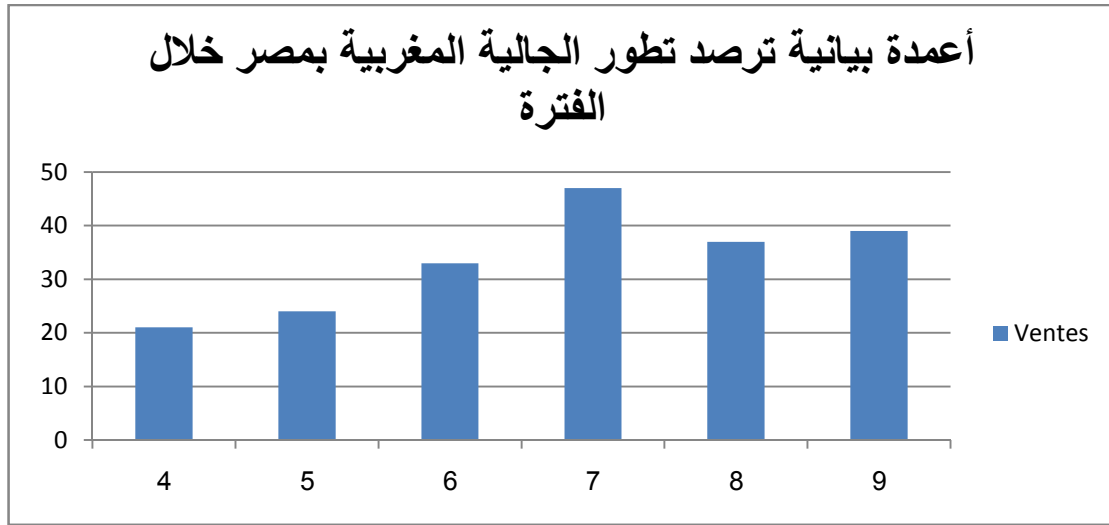
² - ابن جبير، مصدر سابق، ص:18.

³ - عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 137، إذ تبين الوثيقة رقم 17 من وثائق محكمة الإسكندرية تعود لسنة 977هـ/1569م،

⁴ - نفسه، ص:129، والوثيقة مؤرخة 20 ذي القعدة 965هـ/3 سبتمبر 1558م،



تعداد المغاربة المستقرين بمصر المذكورين في البحث ونسبة توزيعهم 100/203%، بحسب توزيع المغاربة المستقرين بمصر، تكون مدينة القاهرة الإقامة الأكثر جذبا للمغاربة بنسبة 63.81%، لاعتبارات سياسية وإدارية، وثقافية، فيما تأتي مدينة الإسكندرية، ثانية، بنسبة 24.12%، وهي نسبة مريحة لاعتبارات تاريخية، ليتوزع المغاربة في باقي المناطق بنسبة 11.06، وللتحليل أكثر من خلال هذه الأعمدة:



- أ- تواجد المغاربة بمصر في كل العصور مشاركين، في الحياة المصرية العامة، سياسة وإدارة وجيشا، ونخبة عالمة، ومشتغلة في الأنشطة الاقتصادية.
- ب- تطور التواجد المغربي بمصر تطور تصاعدي، خلال فترة الدراسة.
- ت- تسجل ارتفاع عدد الوافدين المقيمين خلال القرون 7-8-9 الهجرية، 13-14-15 الميلادية، وتبلغ الذروة خلال القرن 7هـ/13م، لاعتبارات تاريخية، تتعلق بالمغاربة أنفسهم (عوامل طاردة، من هجمات الأسيان، تبدل الأسرات الحاكمة بالمغرب)، كما تتعلق أيضا بمصر، (عوامل جاذبة، ازدهار الحياة العلمية، وتشجيع السلاطين لها، رغبة المغاربة في المشاركة في عمليات الجهاد، وحركات التصوف، ومركزية مصر في العالم الإسلامي...)، وستترجم هذه المعطيات من خلال أدوار الجالية المغربية بمصر.

ثالثا: ألقاب المغاربة وأسماءهم وأصولهم (الجغرافية، الإثنية، القبلية)⁽¹⁾

عرفنا سابقا أن غياب الحدود الجغرافية السياسية بالمفهوم المعاصر، ساعد كثيرا التواجد المغربي رحلة وإقامة، بالبلاد المصرية من حيث مدنها الكبرى، أو حواضرها الصغرى وأريافها، منذ بداية مرحلة الدراسة حتى نهايتها، ولتسهيل تثبيت المعلومة لابد من الإحالة التاريخية، لبعض الشخصيات المغربية المؤثرة في الوسط المصري، وعلى جميع الأصعدة، إذ يغلب النسب المغربي، في عموم الفترة تمييزا له عن المشرقي، أو يذكر الإسم ملحقا بالأندلسي، أو بالصقلي، ويضاف إليهم في بعض الحالات، اسم البلد أو نسبه القبلي، أو المدينة التي جاء منها، وكانت بنوية ألقاب المغاربة مرتبطة أيضا بالنشاط الذي يقوم به المعني في البلاد المصرية مضافا إليه نسبه للبلد، وأما المغاربة الذين ولدوا بالديار المصرية، فعلى الأكثر يذكر بالمصري مولد والمغربي أصلا.

والأسماء تحمل دلالات للفرز الإقليمي، في البلاد الإسلامية لسعة انتشارها ولعزو الفضل لأهله، علما بأن مصر أو غيرها من مناطق العالم الإسلامي تعج بالجاليات المختلفة ويعلو جبين مصر ذلك، بعد سقوط الخلافة العباسية (565هـ/1258م)، وانتصاب الخلافة الإسلامية في مصر ناهيك عن الفترات السابقة للفترة بعد نقل الخلافة العباسية إليها، إن الأسماء والألقاب تفتح للقارئ نافذة يتأكد من خلالها تفاعل الجاليات المختلفة في الفضاء الواحد، على أن أصولها توجي بالقاعدة النشطة والحركية في الفضاء المصري،

¹ - أمثلة في الموضوع مرتبة ترتيبا أبجديا، فيما يراعى الترتيب التاريخي، بحسب ورود الأسماء وفق نشاطهم بمصر في مختلف المجالات .

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

أو المكان المستقبل، في حين يكون التفعيل بالمشاركة والممارسة والإبداع، وهذا الذي نروم إليه في هذا المبحث.

التلمساني، تلمسان (1):

اعتباراً من دورها المركزي في المغرب الأوسط كحاضرة علمية، انتسب لها علماء، انتشروا في المشرق وأقاموا بها، كما أقام معظمهم بالبلاد المصرية، فاشتغلوا في فنون عدة، كحال يحيى بن محمد بن موسى أبوزكريا التجيبي التلمساني (ت: 652هـ/1254م)، الذي رحل للمشرق، فكان مقامه بالإسكندرية، وكان أفضل مما يوجد به على طلبة العلم، تفسيره لكتاب الله الحكيم، فطالت إقامته بالإسكندرية حتى حضرته الوفاة (2).

في حين ارتفع نجم من أعلام تلمسان، بمصر، ودمشق حيث زواج بينهما في العطاء والخدمة والرحلة، يتعلق الأمر بابن أبي حجلة التلمساني (778هـ/1376م)، أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، أبو العباس، شهاب الدين بن أبي حجلة، عالم بالأدب شاعر من أهل تلمسان، سكن دمشق، وتولى مشيخة الصوفية بصهرج منجك بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون، كان حنفياً يميل لمذهب الحنابلة، له أكثر من ثمانين مصنفاً، أغلبها في الفقه واللغة والتصوف منطلق الطير وديوان الصبابة، وسكردان السلطان (3).

¹ - تلمسان: قاعدة المغرب الأوسط وحد المغرب الأوسط من واد يسمى مجمع إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وهي مدينة قديمة عظيمة، كثيرة الخصب والرخاء والخيرات، لها قرى كثيرة وعمائر متصلة، أنظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تج: إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، لبنان، 1975، ص 135.

² - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تج: بشار عواد معروف، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص: 140.

³ - المقرئ، نفع، مصدر سابق، ج7، ص 395.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

كما كان لابن مرزوق التلمساني محمد بن أحمد (ت781هـ/1380م)، حضوره وإسهامه في القاهرة، لدى مقدمه لها واستقراره بها حتى وفاته، فكانت قدراته ومشاركته في السياسة والتدبير مدعاة لأن يوكل له القضاء والخطبة في العديد من مساجد القاهرة⁽¹⁾، من طرف الأشرف شعبان ، ومن ثمرات ما أنتج كتابه "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن"⁽²⁾.

كما تبوأ تلمساني آخر منصب قاضي القضاة المالكية بالإسكندرية أحمد بن سعيد التلمساني (ت845هـ/1442م)، نزع إلى تحقيق العدل والمساواة، في وقت انتشار فساد القضاء بمصر زمن ابن خلدون، لذلك فلا مفرّ أن يوصف هذا التلمساني المغربي بقلة العلم والزاد⁽³⁾.

التونسي، تونس⁽⁴⁾:

تونس الحاضرة الكبرى، كانت من أهم مراكز العلم والمعرفة بالمغرب، فكان منها فضلاء كبار، وعلماء أجلاء، كانت لهم مشاركات في مختلف حقول العلوم بوجودهم بمصر، فهذا علي بن عبد الجبار بن سلامة الهذلي التونسي(ت519هـ/1225م)، الذي اشتهر بسعة علمه في اللغة، كان ينظم الشعر، ويجادل به، حتى أنه قيل ردّ على مرتد ببغداد بأحد عشر ألف بيت على قافية واحدة⁽⁵⁾، وكانت إقامته بالإسكندرية.

¹ - ابراهيم بن علي بن محمد المالكي ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدى أبو النور ، ج2 ، د.ط ، دار التراث ، القاهرة ، 1972 ، ص 290-292 .

² - ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الإمام أبي الحسن، تحقيق، ماريّا خيسوس بيغيرا، دارالأمان، الرباط، 2012م.

³ -علي احمد، "المغاربة العاملون"، مرجع سابق، ص:286.

⁴ - تونس : مدينة بافريقية في سفح الجبل ، سميت بتونس لأن المسلمين كانوا لما فتحوا افريقية ينزلون قرب صومعة ترشيش راهب كان هناك و يأنسون بصوت الراهب فيقولون هذه الصومعة تؤنس فلزموها هذا الاسم ، أنظر: الحميري : المصدر السابق ، ص 143-144.

⁵ - القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، تحقيق أبو الفضل محمد بن إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة 1986م، ص:292 .

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

بينما أظهر محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام أبو عبد الله التونسي(715هـ/1257م)⁽¹⁾، مقدرته الإدارية والتزامه بالعدل لما أسندت له كما تولى نيابة الحكم بالحسينية بالقاهرة، وتولى قضاء الإسكندرية سنة(709هـ/1310م)، ثم كانت تنحيته عن الوظيفة، فكان رجوعه للقاهرة خيرا على اهل العلم، الذين تحلقوا حوله، وقد تخرج على يده ثلة من علماء القاهرة⁽²⁾، وكان إماما مفتيا فقيها مفسرا بارعا في فنونه له كتاب مختصر التفريغ⁽³⁾.

خارج مجال النخبة العاملة يربط تونسي آخر للعمل في تجارة نقل الركاب، يتعلق الأمر بعبد الله التونسي، الذي يذكره ابن بطوطة، أنه كان بمدينة جدة سنة(732هـ/1332م)، قيل أنه كان يمتلك مركباً يعمل فيه لحسابه الخاص، وينقل الركاب والمسافرين من مدينة جدة إلى ناحية القصير التابعة لمدينة قوص المصرية⁽⁴⁾. كما ك اشتغل أيضا في التجارة محمد بن عبد الرحمن التونسي (870هـ/1466م)، الذي كان يتكسب منها بمدينة دمياط لكنه على ما يبدو لم يفلح في هذا الميدان، بدليل أنه تحول إلى عمل آخر كان أقل شأنًا، وظل هكذا حتى وفاته⁽⁵⁾.

كما اشتهر من الأولياء ممن حمل لقب التونسي أيضا، أبو المواهب شرف الدين محمد بن أحمد التونسي(882هـ/1477م)، من أصل تونسي، ألف في الموشحات الربانية له كتاب القانون في الطائفة وكتاب الأذكياء في أخبار

¹ - من أهل ريغة، يراجع ابن بطوطة في الرحلة، مصدر سابق، ج1، ص:39، وفي مخطوط مختصر تفسير بالتنوير في التفسير لأبي القاسم الريغي، مخطوط، ملحق.

² - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج4، ص 244.

³ - ابن فرحون : المصدر السابق ، ج2، ص 317 ؛ و ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج4، ط2، دار الكتب الحديث، حيدرآباد، 1385هـ/1960م، ص 149 .

⁴ - ابن بطوطة، مصدر سابق، ج1، ص 281.

⁵ - نفسه، ج8، ص:44-45.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

الأولياء، انتقل إلى القاهرة أخذ عنه جماعة منهم الشمس اللقاني وانتفع به، توفي بالقاهرة، ودفن بغرفة الشاذلية بغرفة القرافة⁽¹⁾.

الزواوي، زاوة⁽²⁾:

قبيلة زاوة كغيرها من قبائل المغرب التي شاركت في التجربة الحضارية، رحلة ومقاما، وكان أفرادها ممن شق طريقه لطلب العلم مرورا ببجاية، ثم تحدد المسارات نحو الشام، او مصر، أو حتى الأندلس، بمصر لم يكن أفراد هذه القبيلة منكفيين، فهم على جنسهم البربري، وبلسانهم، تذوقوا خلاوة العربية، ورفعوا التحدي للإبداع، بلغة العرب، فكان يحي بن معطي الزواوي(ت628هـ/1231م)⁽³⁾، أصله من آيت فرساون الزواوية، تفقه على مشايخ بلده على المذهب المالكي، وانتقل لمصر، ليتحول للمذهب الحنفي⁽⁴⁾، حيث تصدرت تدريس النحو بجامع عمرو بن العاص، ثم شد الرحال لدمشق⁽⁵⁾، وانتفع به خلق كثير في دروس النحو، وبدمشق تولى مصالح الجامع الأموي والمشيخة العلمية فيه، ثم عاد لمصر برغبة من الملك الكامل، فعاد للتدريس بالجامع العتيق، وتحلق به الناس وانتفعوا من

¹ -محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف:شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ،ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1424هـ/2003م، ص 371.

² -نسبة لقبيلة زاوة إحدى بطون البرانس، وهي فرع من فروع كتامة ، وقد اعتبرها البعض مثل قبيلة زواغة، البتيرة من ضريسة ، وهي تنتشر بين بحاية شرقا ودلس غربا وسفوح جرجرة، ومواطن عجيسة جنوبا، وهي إحدى عشرة بطنا ابن جزم جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص:496، وابن خلدون ، العبير، مصدر سابق، ج6، ص:171، 175. ، وأيضا، مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص:56.

³ - ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج5، ص:125.

⁴ - سبب التحول لغرض تولية المنصب، يراجع مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص:469، سنناقشه لاحقا .

⁵ - ابن خلكان، مصدر سابق، ج6، ص:197.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

أبرزهم الحافظ المنذري(ت 656هـ/1258م)⁽¹⁾، صاحب كتاب "الترغيب و الترهيب"، كما أَلَّف ابن معطي له كتاب الألفية في النحو التي أَلَّف ابن مالك لاحقا⁽²⁾.

وكانت سيرة مواطنه شرف الدين وهو عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى، شرف الدين الزواوي(743هـ/1326م). من بني منقلات، حميدة ذات دلالات المثابرة، فبعد أن تلقى علومه الأولى ببلده، انتقل لبجاية، وتفقه هناك خلال عشرين سنة، ثم رغب في الاستزادة فقصده المشرق مرتحلا، لمصر والإسكندرية ودمشق، والخليل⁽³⁾. ومكث بدمشق سبع سنين، يشتغل بين نيابة القضاء، والإقراء في المسجد الأموي، لكنه أثر العودة لمصر قرب أسرته، واجتمعت فيه عدة عوامل أهلتة⁽⁴⁾، أن يكون مفتيا ونائبا للقاضي تقي الدين الأحنائي، فاخترت التدريس والتصنيف عن الوظيف، فكانت له مساهمة كبرى في حلقات جامع الأزهر، وتولى مشيخة الزاوية المالكية، ودرّس بالمنكوتيرية⁽⁵⁾، كما عمل أيضا بالناصرية⁽⁶⁾، والصالحية⁽⁷⁾.

¹ - مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص:470.

² - الذهبي، العبر في خبر من غير، مصدر سابق، ج5، ص:112، والسيوطي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج2، ص:533.

³ - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج3، ص:125.

⁴ - قال فيه ابن فرحون، الديقاج، مصدر سابق، ص:183: "....كان إماما في الفقه، وإليه انتهت رئاسة الفتوى في مذهب مالك بالديار المصرية والشامية معا"

⁵ - بناها الأمير سيف الدين منكوتر الحسامي نائب السلطان لاجين المنصوري، في حارة بهاء الدين في القاهرة، وانتهت بناؤها في عام (698هـ/1298م) ، ورتب بها درسا للمالكية و آخر للحنفية، وزودها بخزانة كتب، وأوقف عليها أوقافا كثيرة. المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص 387.

⁶ - تقع بين القصرين شرق القبة المنصورية، بدأ بناءها الملك العادل كتبغا المنصوري، ثم خلع قبل إتمامها وتولى مكانه الناصر محمد بن قلاوون فأكمل بناءها في عام (703هـ/1303م)، القلقشندي : المصدر السابق، ج3، ص:415.

⁷ - تقع هذه المدرسة بين القصرين بالقاهرة أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (639هـ/1241) وانتهى من بنائها سنة (641هـ/1242م) وتتكون من أربع أروقة معا واحد لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، وهي أول مدرسة بمصر أنشأت على هذا النمط وأوقف عليها أوقافا كثيرة ، وجعل الملك الصالح للمدرسة ايوانين يحتوي أولهما على مدرستين للحنفية والحنابلة والثاني على مدرستين للمالكية والشافعية ودرس فيها عدد من الفقهاء في المذاهب الأربعة، يراجع، المقريزي، الخطط، مصدر سابق، ج2 ، ص 374 ؛ وابن تغرى بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج6، ص 341، وأيضا، السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مصدر سابق ، ج3 ، ص 19.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

وبعيدا عن النخبة العاملة كانت مساهمة أسرة الزواوي المغربية حضورا لها بمدينة القاهرة خلال القرن 9هـ/15م، وذلك في صنف جديد من أصناف الخدمة العامة، الذي يقدم للمجتمع خدمات في مجال صناعة القبان⁽¹⁾، وهي تدخل في عادة لمعرفة الأوزان المختلفة، ويوضع في السوق لوزن المحاصيل الزراعية، ومهرفي هذا الفن، شعبان بن علي بن أحمد المغربي الزواوي القباني المتوفى سنة (895هـ/1490م)، حيث ورث الحرفة عن أبيه وأخيه، وطورها وأصبح شيخها ورئيس الحرفة والمحتكم إليه في حال الخلاف⁽²⁾.

الشاطبي، شاطبة⁽³⁾:

غيرها من مدن الأندلس وازدهر عمرانها، واشتهر علماؤها، وكن منهم ممن كانت له رحلات علم وحج وتجارة، غير أن البلاد المصرية استهوتهم، فتواجد، واستقر بها كحال أبو القاسم محمد بن فيرة الشاطبي (ت590هـ/1194م)⁽⁴⁾، بعد 570هـ/1196م، ومكث بها حتى حضرته الوفاة، مما يجمع عليه المترجمون نباهته، واشتهاره بعلم القراءات الذي، كان مشهورا بالأندلس، ووجه عنايته له، وألف "حرز الأمانى ووجه التهاني" و"العقبة"، وكلها في القراءات، كما استفاد من سلفه الأندلسي، أبي عمر الداني، واختصر قواعدها في القصيدة المشهورة بالشاطبية، تعدت أبياتها ألفا

¹ - القبان، القسطاس، وهو الميزان لوزن المحاصيل الزراعية. براجع، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق، محمد نعيم العرقسوسي، وآخرون، ط8، مؤسسة الرسالة، 2005م، ص:1222.

² - نفسه، الضوء اللامع، ج3، ص300.

³ - وهي مدينة في شرقي الأندلس وشرق قرطبة، كبيرة قديمة خرج منها خلق من الفضلاء، كأبي محمد السعدي الشاطبي الأندلسي، الذي رحل طالبا للعلم ووصل حران التي بها توفي، الحموي، مصدر سابق، ج3، ص:309، وكذا الحميري، عبد المنعم الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، 1984م، ص:337، وعقب سقوطها بيد النصارى غادرها خلق كثير،

⁴ - يراجع المقري، مصدر سابق، ج2، ص:196-198، وكذلك وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص:301.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

وثلاثة وسبعون ومائة⁽¹⁾، كانت المدرسة الفاضلية⁽²⁾ بالقاهرة هي مأواه، ومرتقى نشاطه ومدار جهده ناشرا هذا العلم متفننا فيه منظرا له.

في حين أهلت مقدرات شاطبي آخر لتصدر مشيخة الحديث ورئاستها علما بأن هذه الوظيفة لا تمنح إلا للمقتردين النابهين فكان محمد بن أبي بكر محي الدين الشاطبي (ت662هـ/1264م)، رئيس مشيخة مدرسة الحديث الكاملية بالقاهرة والبهائية بحلب شارك في التدريس، كانت وفاته بالقاهرة⁽³⁾.

للإشارة فإن ثلة الشاطبيين بالقاهرة، تولوا تقريبا إدارة مشيخة مدرسة الحديث، تباعا متتاليين، ومرد ذلك المقدره العلمية في تبليغ الفائدة، وسيرهم المحموده، إذ غدت رئاسة المشيخة للحسن ابن القسطلاني محمد بن أحمد الشاطبي (ت686هـ/1288م)⁽⁴⁾ بالقاهرة، واعتكف كسابقين للمشاركة في التدريس، تخرج على يديه علماء كبار، منهم ابن جماعة الدمياط⁽⁵⁾، و البرزالي، وفي الحديث ألف كتاب الإفصاح المعجم من الغامض والمهم في أسانيد رجال الحديث، بالقاهرة، الذي كان زاد كبير لطابة علم الحديث.

¹ - أنخل بالنثيا، مرجع سابق، ص:406.

² - المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة 786هـ/1348م، يراجع، المقرئزي، الخطط، المصدر السابق، ج 2، ص 418.

³ - الصفدي، مصدر سابق، ج 1، ص:134، وأيضا ابن خلكان، مصدر سابق، ج 3، ص:254-256، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 5، ص:310-311، وأيضا المقرئزي، مصدر سابق، ج 2، ص:63-64، والذهبي، العبر في خبر من غير، مصدر سابق، ج 5، ص:270، وابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 7، ص:216، وابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص:243.

⁴ - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 7، ص:373.

⁵ - عبد العزيز الضعيفي، "علاقة العلماء المغاربة بنظرائهم المصريين بين الإفادة والاستفادة نماذج من العصر المريني" مجلة التاريخ العربي ع29، السنة 2004م، ص:398، ولشرف الدين الدمياطي، ترجمة له عند العبدري، الرحلة، مصدر سابق، ص:132-138.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

الصقلي، صقلية⁽¹⁾:

كانت صقلية صقعا مهما مشاركا في حضارة الإسلام، لما كانت البلاد مرتبطة بسلطة المسلمين، وكانت لطبيعتها الجزرية، شبكة اتصال بافريقية وشرق المتوسط، كما كانت رافدا مهما من روافد الحضارة الإسلامية التي غدت أوروبا لاحقا، في حين كان أعلاهما من المسلمين من كانت له أدوار في خلق مسارات، العطاء الفكري والمشاركة الحضارية، وممن كانت لهم إقامة بمصر زادت خضوتهم حتى عند السلاطين والوزراء، ابن القطاع علي بن جعفر السعدي الصقلي(ت515هـ/1121م)الذي عُدد من أكابر المشاركين المنتجين في حقول المعرفة الوسيطية، حتى أن مواهبه تلك جعلت من الوزير بدر الجمالي، ينتدبه مربيا لأبنائه ملقنا لهم محاسن اللغة وأدابها، ودامت إقامته بالفسطاط التي دخلها في تمام 500هـ/1107م، كما كانت فائدة شاملة لما يقدمه من دروس وتآليف⁽²⁾.

في حين لاءمت الظروف لأحد رجالات صقلية، وهو أبو عمر عثمان بن علي الصقلي السرقوسي(كان حيا قبل 576هـ/1180م)⁽³⁾، لإبراز مواهبه المتعددة، إذ حصل له الاشتغال بالإقراء، كما أنه من كانت له دراية بالنحو، وألف في بعض شأنه، ك"الحاشية على كتاب الإيضاح"، ومختصر على العمدة لابن رشيق القيرواني⁽⁴⁾،، كان جل مساهماته التعليمية بالجامع العتيق بالفسطاط، وقد حمدت سيرته، واستفيد من علمه ومشاركاته،

¹ - من جزائر البحر المغرب مقابلة لأفريقية، وهي جزيرة خصيبة كثيرة البلدان والقرى، والأمصار، اشتهر الكثير من أعلامها، ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج3، ص:416، وما بعدها .

² - له كتاب الدررة الخطيرة في شعراء الجزيرة"صقلية"وهو كتاب تراجم، وله أيضا كتاب الأسماء في اللغة، وكتاب الأفعال، وله كتاب تاريخ صقلية، السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:533. وما بعدها، محمد كامل حسن في أدب الدولة الفاطمية، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1963م، ص:118، والسيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:532

³ - نفسه، ج2، ص:342.

⁴ - البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص:653-654.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

كان ارتباط الصقليين بمصر من قبيل المشاركة في العلوم، نفعاً وانتفاعاً كباقي العلماء، غير أنهم خلال القرن 6هـ/12م، اهتموا كغيرهم بالقراءات وانتصبوا لهل بالقراءات العشر، كحال عبد الرحمن بن عتيق الصقلي الأندلسي (ت516هـ/1123م)⁽¹⁾، الذي شق طريقه نحو مصر، أهلتها قدراته، ومواهبه في أن يتولى رئيس الإقراء، بالإسكندرية، كما كانت عنايته كبيرة أيضاً بالتأليف، بكتاب التجريد في القراءات⁽²⁾.

1- الصنهاجي⁽³⁾:

أفرادها ينتسبون للقبيلة الكبيرة صنهاجة، وحافظوا على اللقب أو عرفوا به في الديار المصرية، واستمر معهم حتى نهاية الفترة الوسيطة، وبقيت بعض آثارهم في العصر العثماني، وقد اشتغلوا كغيرهم من المغاربة في الإدارة كحال الأمير أبو فراس يحيى بن علم الملك، المعروف بابن النحاس (ت598هـ/1194م) من سلالة تميم بن المعز الصنهاجي، حيث كان في خدمة دولة ابن رزيق، وولده، ثم شاور، ثم خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي⁽⁴⁾.

وتولى بعضهم مناصب أمنية مهمة، في عهد المماليك، كحال الحسن علي بن عثمان الصنهاجي اللمتوني المغربي (ت694هـ/1259م)، الذي اشتغل

¹ - السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص:495.

² - شرحه ابن الجزري في كتاب أسماه التقييد في الخلف بين الشاطبية وتجريد في القراءة، يراجع ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج1، ص:374 وما بعده، ومقدمة تقريب النشرفي القراءات العشر لنفس المؤلف، تحقيق عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص:7.

³ - واحدة من القبائل البربرية التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ المغرب الوسيط، أسس الجيل الأول الدولة الزييرية و الحمادية، والجيل الثاني دولة المرابطين، تضم كتامة وأوربة ومصمودة، وعجيسة، وبطونها كثيرة، ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص:180، وما بعدها.

⁴ ابن سعيد المغربي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ص:228

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

أمينا لسجن القاهرة، وهو منصب، مهم نظرا لخصوصية وحساسيته، بسبب ارتباط ذلك بالقضاء والحقوق⁽¹⁾، علما بأنه لم يغادر منصبه حتى الوفاة.

كما كان حظهم من الإدارة كبيرا، فلقد عرفها الصنهاجي صاحب البردة محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت697هـ/1296م)، المغربي أصلا والمصري مولدا، فمع شهرته بجودة الخط، كان إداريا ناجحا، في القاهرة أو بعض أقاليم مصر، إلا أنه اصطدم ببعض مساوئ المشتغلين عليها، فتركها، وعاد للتدريس أصيل قلعة حماد⁽²⁾..

كما أسندت إلى بعضهم مناصب عليا في القضاء أحمد بن محمد الشهير بابن المخلطة الصنهاجي (ت756هـ/1358م)، الذي ولد بمدينة الإسكندرية، وبها تكوّن، وفيها أسند له منصب قضاء الإسكندرية مرتين⁽³⁾.

في حين من النخبة العاملة نجد منهم الفقهاء المجددين، والذي على نجمه الفقه والتأليف، و طبقت شهرته الآفاق، يتعلق الأمر، بأبي العباس بن ادريسي الصنهاجي القرافي (ت684هـ/1286م). صاحب كتاب الذخيرة، وقد أجمع عليه علماء عصره، من مالكية وشافعية على أنه أفضل الثلاثة في مصر آنذاك، "القرافي، وناصر الدين بن المنير، وابن دقيق العيد"⁽⁴⁾.

¹ - علي احمد "المغاربة العاملون في مصر، مرجع سابق، ص:282، أيضا:

Tourneau (R. Le), L'occident Musulman du VII à la fin XVe , Algérie,1958, P 123

² - السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:571، وأيضا ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج7، ص:753،754، و، أيضا وابن شاكر، مصدر سابق، ج3، ص:88-94.

³ - ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص:28، وأيضا، ابن فرحون، مصدر سابق، ص:138.

⁴ -، يراجع، ابن فرحون، مصدر سابق، ج1، ص:188-189، وابن مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص:62-188،188،67، وكذا الزر كلبي، مصدر سابق، ج1، ص:95،94،90 والسيوطي، حسن

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

كما كان لتاج الدين بن محمد الصنهاجي (807هـ/1403م)، الفقيه والمدرس مكانا له في المدرسة الظاهرية، وبالجامع الأزهر لإلقاء دروس في النحو⁽¹⁾.

الطرطوشي، طرطوشة⁽²⁾

وقد اقترن اسم أبو بكر الطرطوشي (ت 520هـ/1126م)⁽³⁾، الفقيه العالم، و الصوفي الكبير بمدينة الإسكندرية، وحل بها في مقتبل الهجمة الصليبية الأولى وفي عهد الوزير الأفضل بن شاهنشاه كما تقدم، غير أنه قدم خدمات جليلة للمجتمع السكندري، وقام بحركة إصلاحية كبرى، ارتاح لها المجتمع وأغضب السلطة في نهاية الفترة الفاطمية، غير أنه مضى بحزم، وبنا نهضة كبرى مع فقهاء ومصالحين آخرين كان ثمرتها، الثبات على المذهب السني،

المحاضرة، مصدر سابق، ج3، ص:316، والصفدي، مصدر سابق، ج1، ص:147، ابن راشد الكتبي، مصدر سابق، ج6، ص:233.

¹ - ابن خلكان، مصدر سابق ج7، ص:61.

² - مدينة بالأندلس ذات ميناء مشهور، ازدهر منذ القرن 4هـ/10م، تتصل بكورة بلنسية وقرطبة، سقطت في يد ممالك النصارى في 462هـ/1118م، ورغم إعادتها من طرف المرابطين إلا أنها سقطت نهائيا في المسيحيين، سنة 492هـ/1148م، من أشهر أعلامها ابن أبي رندقة وأبو بكر الطرطوشي المالكي، ابن عذارى، مصدر سابق، ج3، ص:97، وأيضا، محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ج4، القاهرة، 1997م، ص:82، ومياقوت الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ج4، ص:30.

³ - وهو الإمام الزاهد العلامة شيخ المالكية عالم الإسكندرية، ولد هذا العالم الجليل في مدينة طرطوشة (TORTOSA) بشمال شرق اسبانيا في سنة (450هـ/1058م) وأخذ العلم أولا على علماء المغرب والاندلس بسرقسطة منهم، أبو الوليد الباجي (ت474هـ/1081م)، وقرأ الحساب الفرائض بوطنه، كما قرأ الأدب على محمد ابن حزم باشبيلية، وكانت وفاته بالإسكندرية، الذهبي، مصدر سابق، ج11، ص:490، وكذا ابن خلكان، مصدر، ج4، ص:262، وما بعدها يذكر كراماته،، السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص:452.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

قبل زوال التشيع من الوسط المصري، كما أنه استفاد من خدمات المحمودة للوزير المأمون البطائحي، الذي أكرم الشيخ وقربه إليه دون حجر أو قيد⁽¹⁾.

الغرناطي، غرناطة⁽²⁾:

وينسبون لمدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس، والتصقت بهم النسبة للمدينة غرناطة طوال إقامتهم بمصر، ولازمتهم مثل الحاصل مع، "أبو" حامد الغرناطي(565هـ/1170م)، الذي يعد من المؤرخين أصحاب الرحلة والجغرافية، فلقد دخل مصر، في رحلته المشهورة، سنة(511هـ/1118م)، وتحدث عن الحياة العلمية بها، وهو صاحب المؤلف المشهور تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، نقل عنه المقرئ في الخطط⁽³⁾، كما أن هذه الرحلة لا تزال محل الإعجاب والدراسة لدى شعوب آسيا.

كما اشتهر منهم أيضا، أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي(ت745هـ/1348م)⁽⁴⁾، فهو الفقيه المالكي، المتحول إلى الشافعية، كان إماما مشهورا في النحو، درّسه وبرع فيه وألف أيضا، كما قام بشرح "ابن مالك وسمائها

¹ - الذهبي، مصدر سابق، ج 11، ص: 490، وكذا ابن خلكان، مصدر، ج 4، ص: 262، وما بعدها يذكر كراماته،، السيوطي، مصدر سابق، ج 1، ص 452 يراجع السيوطي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 1، ص: 452، وأيضا، محمد بن عزوز، مرجع سابق، ص: 24.

² - وهي أقدم مدن الأندلس، وأعظمها وأحسنها، وأحصنها، يشقها نهر عظيم، وبها أرباض، وحمائم قريبة من قرطبة والبيرة، راجع الحموي، مصدر سابق، ج 4، ص: 195.

³ - المقرئ، الخطط، مصدر سابق ج 1، ص: 115-161، 118.

⁴ - لم يقتصر على النحو فقط، إذ بل شارك وأبدع في عدة علوم في غير العربية، كما سترى ذلك في مجال القراءات، والتفسير والحديث، وكان لا يدرس الطلبة إلا من ثلاث مصادر وهي كتب ابن مالك وكتب سيبويه، وألف أيضا، شرح كتاب سيبويه، وكتاب التجريد لأحكام سيبويه، وكتاب المبدع في التصريف، وكتاب الملحمة، وكتاب الشذرة، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وكتاب نكت الأمال، وكتاب تحفة الندس في نحاة أهل الأندلس، يراجع الصفدي، مصدر سابق، ج 4، ص: 175 وما بعدها، السيوطي، بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة، ج 1، تحقيق أو الفضل محمد ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998، ص: 280، وأيضا ابن عماد، مصدر سابق، ج 6، ص: 145، وكذا ابن شاکر الكتبي مصدر سابق، ج 2، ص: 556، وكذا ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 10، ص: 111، وما بعدها.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

التسهيل وسماه"، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك⁽¹⁾

الفاسي، فأس⁽²⁾:

تعتبر فاس من حواضر المغرب الأقصى، كانت عاصمة الأدارسة، اشتهر منها علماء وفقهاء وزهاد، منهم أخذ هذا الاسم ولازمه بمصر حتى الوفاة، فلقد اشتغل، ابن الخُطَيْئة أبو العباس أحمد بن عبد الله الفاسي (ت560هـ/1164م)، بالقراءات السبع وله حظ وافر فيها، ونفع بها خلق كبير بالقاهرة، حيث تصدر للإقراء بها حتى وفاته⁽³⁾. وقد اقتسم معه أيضا لمواطنه، محمد بن عمر بن مالك الفاسي (ت574هـ/1178م). نفس المهام والدور، فلئن كانا مشتركين في تصدرهما للإقراء، إلا أن الفاسي الثاني كانت إقامته بمدينة الإسكندرية خلافا لسلفه⁽⁴⁾

لكن تبقى الإشارة إلى اسم مشهور، لابن مدينة فاس، لما له من شهرة عارمة ومكانة محترمة خلال القرنين 7 و8 الهجريين، يتلق الأمر؛ بابن الحاج العبدري الفاسي المالكي (ت737هـ/1337م)، الفقيه العارف بمذهب الإمام مالك، والمحدث الذي لزم

¹ - تخرج على يديه ثلثة من مشاهير النحويين في القاهرة يراجع العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:145، وابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج2، ص:285، وكذا الحاج عيفة، مرجع سابق، ص:182.

² - مدينة كبيرة على بر المغرب، من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجل مدينة قبل اختطاط مراكش، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، دار صادر، بيروت، ص:230.

³ - ابن الجزري، غاية النهاية، ج1، مصدر سابق، ص71-72، وأيضا الذهبي، الأعلام، مصدر سابق، ج20، ص344، والسيوطي مصدر سابق، ج1، ص453، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص:188.

⁴ - ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج2، ص192-193.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

مدينة بالقاهرة، وسابر أغوارها الاجتماعية، محللا لأوضاعها، منتقدا لبعض التصرفات البدعية محدثا إصلاحا عن طريق ملفاته ، خاصة "كتاب البدع"⁽¹⁾.

القرطبي، قرطبة⁽²⁾:

اعتبارا من أن قرطبة حاضرة كبرى كانت قاعدة بني أمية وسرير ملكهم ، فقد اشتهرت بعلمائها وفقهائها ومن المرتحلين لمصر والمقيمين بها والحاملين للنسب القرطبي كثير، فكان منهم كانت منذ بداية القرن 4هـ/10م، الفقهاء والحفاظ للمسائل والذين كانت لهم بالغ التأثير في حقل التدريس والقضاء المالكي، كحال، الحسن بن وليد بن نصر القرطبي(367هـ/978م)، الذي لم تسند له مهام غير أنه شارك في حياة مصر الفكرية فهو الفقيه والنحوي المتقدم يعرف بأبي بكر العريف، فقيها في المسائل حافظا للرأي نحويا متقدما⁽³⁾، فيما كان منهم من أقام بمصر وكان يمقت الفاطميين بل يذمهم ، كحال محمد بن القاسم العنسي، الشهير بابن القرطبي، أبو إسحاق(355هـ/966م)، وهو رأس فقهاء المالكية بالديار المصرية ، اشتهر بمقدرته العجيبة في حفظ، كما اشتهر بالفتوى، ووصل إلى رتبة شيخ البلد، يقال عنه أن له صلوات وطيدة بأمويي الأندلس يتلقى جرايات للدعوة لأهل السنة ، وكان آية في التأليف في فنون مختلفة من تاريخ ، ومناقب، وعناية بأحكام القرآن⁽⁴⁾.

¹ - كتاب البدع والمدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثه والعوائد المنتحلة ي مجلدين وأربعة أجزاء، مكتبة دار التراث، القاهرة.

² - مدينة أندلسية كبيرة، عاصمة ملك بني أمية (138هـ/422م) ، تتكون من خمس مدن يتلو بعضها بعضا، اشتهرت كحاضرة ثقافية وسياسية، خرجت مئات العلماء، الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط.1984، 2م، ص:455-456.

³ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:98.

⁴ - له مؤلفات كثيرة في الفقه، وأحكام القرآن، والمناقب و التاريخ، يراجع، ابن فرحون، مصدر سابق، ص:345-346، سامي مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص:11.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر(4-9هـ/10-15م)

وتبقى عناية القرطبيين بالحديث كبيرة، فكان منهم بمصر، الكثير، غير أن "أبا" العباس احمد بن عمر القرطبي(ت656هـ/1258م)⁽¹⁾، كانت له بالغ الاهتمام، واختصر الصحاحين، كانت إقامته ومدار مشاركته بمدينة الاسكندرية خلال القرن 7هـ/13م..

القسنطيني، قسنطينة⁽²⁾:

كانت مدينة قسنطينة من الحواضر العامرة في تاريخ الغرب الإسلامي، بما قدم علماءها في حقل الثقافة الإسلامية، كحال سالم بن عبد الله بن سعادة بن طاجين القسنطيني الذي استقر بالإسكندرية، ولازم القاضي برهان الدين ابن جماعة، برع في فنون عديدة، وكان مدار العلم والتأليف إنذاك، حضرته الوفاة بالإسكندرية سنة (820هـ/1417م)⁽³⁾.

غير أحمد بن محمد القسنطيني(ت 872هـ/1467م)، تقي الدين أبو العباس، المعروف ب"الشمي" عدّ من أعظمهم، ورغم تحوله من المالكي إلى لحنفية في(834هـ/1431م)⁽⁴⁾، شيخ النحاة، فساهم بشكل كبير في شرح كتاب المغنى لابن هشام، وله العديد من المساهمات في مجاله، كتأليفه في النحو ب"منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك" كما كتب أيضا في الحديث، شرح نظم نخبة

¹ - السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص:457، وكذا الذهبي، العبر في أخبار من غبر، مصدر سابق، ج7، ص:473، وأيضا ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد بن شعبان بن أحمد، ومحمد بن عيادي بن عبد الحليم، ج13، مكتبة الصفا، القاهرة، 2002م، ص:182، والمقري، مصدر سابق، ج3، ص:212-213، وكذلك ابن فرحون، مصدر سابق، ص:130.

² - قسنطينة: مدينة وقلعة عالية حصينة من حدود افريقيا مما يلي المغرب حولها مزارع كثيرة، أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 48.

³ - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، د.ط، دار الجيل، بيروت، ص 242.

⁴ - السيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، ج9، ص:203.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

الفكر في مصطلح أهل الأثر، وغيرها⁽¹⁾، أخذ عنه السيوطي، و السخاوي وثلة معهما.. وهو إسكندري المولد قاهري الدار والوفاة.

المغربي:

يرتبط اسم المغربي بعائلة ابن حيون محمد، بالخدمات الجليلة التي قدمتها القبيلة للخلافة الفاطمية في مرحلتها المغربية، أو المصرية، لذلك كانوا في مرحلتها الأولى قد استأثروا بالمناصب الإدارية، كالقضاء الذي اشتهرت به عائلة النعمان المغربي، إذ تداول على القضاء هو، وعقبه مدة تصل إلى القرن، ذهب أثرهم مع ذهاب ربح كتامة، كان أولهم، القاضي النعمان محمد بن حيون (ت363هـ-973م)، ثم ابنه، ابنه عليا المكنى بأبي الحسن (ت374هـ/984م)، والذي توسعت صلاحيته، بقضاء مصر وما يليها، ولم يغادر منصبه حتى حضرته الوفاة (في 374هـ/984م)⁽²⁾، ثم جاء بعده أخاه محمد بن النعمان (ت389هـ/999م)⁽³⁾، علما بأن رغبة الخليفة العزيز بالله هو توليه آل النعمان لهذا المنصب⁽⁴⁾، وآخرهم حسب صاحب السيوطي، هو أبو القاسم بن عبد العزيز بن النعمان، الذي مكث به حتى 441هـ/1049م⁽⁵⁾،

الكتامي، كتامة⁽⁶⁾:

¹ - ابن القاضي المكناسي، مصدر سابق، ص:50، وأيضا السيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، ج1، ص375.

² - شمس الدين الذهبي الحافظ، العبر في خبر من غير، حققه، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص:143، وأيضا، ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص:365.

³ - الصديقي، مصدر سابق، ج5ص:89.

⁴ - قال له: أن القضاء لك بعد أخيك، فلا تخرجه عن هذا البيت"، يراجع ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص:419 وما بعدها، وذكر أنه أخرج القضاء من هذا البيت في (رجب 398هـ/1008م)، وعنده أيضا، مصدر سابق، ج5، ص:522.

⁵ - السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص:148.

⁶ - قبيلة كتامة من ولد كتام بن برنس، أرجعهم نسبة العرب لأصول حميرية، وأن أول ملوكهم كان من إفريقيش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة، وانبثوا في افريقيا لكثرتهم، وهما جذمان، هما

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

كانت كتامة من القبائل التي أمدت الخلافة الفاطمية بمقومات نجاح الدعوة، وتأسيس الدولة في المرحلة المغربية، وتجاوزت ذلك حتى خلال انتقال الخلافة لمصر، أين أسندت المناصب السيادية للكتاميين ، جعلتهم مقربون في البلاط، وكانت لهم الوساطة، والإنشاء، وأداره الأقاليم، وبعض المناصب العسكرية ، كحال أبي الحسن محمد بن عمار الكتامي أمين الدولة، وكبير شيوخ كتامة الذي كان حظيت عند الحاكم بأمر الله الفاطمي (383-411هـ/996-1026م)⁽¹⁾، كما أسندت لبعضهم وظيفة المحتسب للإشراف على الأسواق والسواحل، كما جاء من بعده أيضا وفي نفس الوظيفة أو الخطة فتح بن نصر الكتامي⁽²⁾.

اليهودي، الطائفة اليهودية⁽³⁾:

كانت مصر محط كثير من الطائفة اليهودية، والمغربية منها خاصة، إذ تواجدت في مناصب حساسة، قربتهم من السلطة، في الطب والصيدلة منذ العهد الفاطمي، كما تعززت مكانتهم لاحقا، وأشهر هؤلاء يوسف بن أحمد بن حسداي اليهودي (ت522هـ/1128م)، صاحب المعرفة الواسعة والإطلاع الكبير على مؤلفات سابقه في الطب ، فخدم الخليفة الأمر بأحكام الله في 516هـ/1122م، الذي أكرمه وقربه إليه ، واعتمده رئيسا لأطبائه، وسعى

غرس ويسودة أبناء كتم بن برنس، فمن يسودة فلاسة ودينهاجة ومتوسة وورسن كلهم أبناء يسودة ومن غرسن مصالة وقلان ومعاد؛ وحدودها من جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة، زحفوا مع المعز للمشرق وامتلكوا الإسكندرية ومصر والشام، واختطوا القاهرة ، واستفحلت الدولة هنالك، وهلكوا في ترفها وبذخها، يراجع ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص:175.

¹ - كان جوادا سفاكا للدماء؛ في سيرته من أعجب السير، يخترع كل وقت أحكام، يحمل الناس على العمل بها، ثم يتراجع عنها، للمزيد يراجع المصدر نفسه، ج 5، ص:374 وما بعدها.

² - موسى لقبال، مرجع سابق، ص:492، وأيضا فاتن البنداري مرجع سابق، ص:54-55 والمقريزي، الخطط، مصدر سابق ج1، ص:486

³ - وهم من الطائفة النشطة التي برعت في التجارة كما تكشف وثائق الجنييزة، المذكورة سابق، كما كانت لهم مساهمات في الطب والصيدلة خصوصا، كما سنرى في الفصل الرابع.

الفصل الثاني.....المغاربة ومناطق استقرارهم بمصر (4-9هـ/10-15م)

لتجديد مظاهر العناية بالشأن الطبي، من حيث تدريب الطلاب وتكوينهم ، بالمحاضرات والتأليف (1).

في حين تربع الرئيس موسى بن ميمون القرطبي اليهودي، أقام بالفسطاط ، وبرع في الطب ومهر به، مكنه ذلك من أن يصبح الطبيب الخاص للسلطان صلاح الدين الأيوبي، و من بعده ابنه علي(2).

غير أن أهم مجال مكن للطائفة اليهودية من الحركة، ممارستهم للتجارة وبفعالية كبيرة، وساهموا بشكل كبير في تجارة مصر الخارجية، علما بأن هؤلاء أصيلو الغرب الإسلامي(3)، وزادوا من مكانة مصر في تجارة، كما أدوا دور الوسيط التجاري العالمي بمحطاته في القاهرة والإسكندرية، و عيذاب، وقوص، وتونس والمهدية(4)، أشهر هؤلاء عروس بن يوسف، وأبو ذكري كوهين، ومحروس بن يعقوب اللبدي، ويوسف اللبدي(5).

من خلال ما سبق تبين لنا أن المغاربة الذين احتضنتهم البلاد المصرية، وعرفوا بعموم نسبتهم المغربية، فالمغربي عادة، وتضاف إليه مدينته، أو قبيلته من قبيل التفصيل، فيقال الطرطوشي الأندلسي، أو الزواوي المغربي، كم أنه وتبعاً لتفعيل قاعدة التواجد، تبعاً لأنشطتهم، تتوسع دائرة النسبية للمهنة أو الوظيفة.

¹ - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص:499.501.

² - نفسه، ص:582،583.

³ - Hed, Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, t1, Leprizig, 1923; P

105.

⁴ - Goitein : Ibid., p. 194

⁵ - زبيدة محمد عطا، اليهود وتجارهم في مصر الإسلامية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007م،

ص:74-77.

الفصل الثالث

دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية

بمصر ق 4-9هـ / 10-15م

- الدور السياسي والإداري للمغاربة
- ابن خلدون بمصر في الوسط المصري بين الكد والمكائد
- الدور العسكري للمغاربة - الجهاد والمرابطة-

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

أولاً: الدور السياسي والإداري للمغاربة بالبلاد المصرية:

1- المغاربة في الإدارة الفاطمية: وزراء السيف والقلم:

احتاج الفتح الفاطمي لمصروقتا وجهداً كبيرين، ومحاولات متكررة، وشن هجمات متوالية على مصر، فضلاً على ما مرت بها مصر من ظروف، فأمال الكفة لصالح الفاطميين، فضلاً لما أبداه دعاة الشيعة من إخلاص ومثابرة فكان لهم التمكين، وهيأت لهم الظروف نجاح العناصر المغربية التي استقرت بالإسكندرية، تحت ستار التجارة وطلب العلم⁽¹⁾.

فمنذ الفتح، كان للفئة المغربية دوراً كبيراً، من حيث عناصر الجيش أوقادتهم؛ فكان لجعفر بن فلاح، دوراً مركزياً في الحملة الكبرى على مصر في قيادة الجيش وعبور النيل نحو الشام، وتلقيه بشري من جوهر في قوله: "لهذا اليوم أراذك المعز"، فتتبع فلول الإخشيديين وخضد من شوكتهم في الشام التي أصبحت تحت قيادته، بعيداً عن أعين جوهر فلا يزاحمه، وإن تجاوزه حيناً، إذ تأقت نفسه الاستقلال عنه فخاطب المعز مباشرة في رسالة له، لكن الأخير أمره بالرجوع لقائده جوهر⁽²⁾، وبعد استقرار الفتح مكن للمغاربة من المشاركة في تسيير شؤون الدولة الفاطمية في المناصب الإدارية والقيادية التالية:

¹ - موسى لقبال، دور قبيلة كتامة في الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5هـ(11م)، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ص:473.

² - ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص:361، وكذا موسى لقبال، مرجع سابق، ص:477، 487.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

منصب الوزارة والوساطة:

لم يكن مصطلح الوزارة، أو منصب "الوزير" معروفا لدى الفاطميين بهذا الاسم، فقط أشير إليها بالوساطة، على الأقل في العصر الأول، فقد كتب المقرئ أن المعز لم يوقع اسم الوزارة على أحد في أيامه بل كانت الوساطة فيما بين الخليفة والرعية(1)، والوزارة نوعان تفويض لصاحبها كامل الصلاحيات المخولة له، بينما تنحصر سلطة النوع الثاني وزير تنفيذ، وقد تقلدها لاشك أن أي ازدهار حضاري في أي بلد يتطلب الوزراء المتنفذون، بسبب نوعية العلاقة بينهم وبين الخلفاء كما ظهرت شخصيات من ديالمة وأتراك، تناوئ المغاربة وتنصب لهم العدا من الوزراء الآخرين(2)، ورغم ذلك فالمغاربة تقلدها على مدى قرنين من الزمن وتحديدا من استمر المغاربة من(363هـ/973م - 544هـ/1149م)(3).

وكانت بدايتها مع عسلوج بن الحسن وزير المعز يشاركه، ويحاييه وكان ممن اخلص الخدمة للمعز فقربه إليه دون سائر الناس، وكان في موكبه رفقة القاضي النعمان، محمد بن حيون(4)، غير أن الوزير يعقوب بن كلس شاركه الوساطة تلك في(368هـ/1154م)، فولدت منافسة كبيرة بينهما(5)، ضيق على جوهر في صالح ابن كلس، فهمت أنه انتقام من هذا الأخير(6).

¹ - المقرئ، الخطط، مصدر سابق ج 1، ص:434، 439.

² - تاج الدين محمد بن علي بن يوسف، المنتقى من أخبار مصر، الذي انتقاه المقرئ، حققه أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1981م، ص:4.

³ - فاتن البنداري، مرجع سابق، ص:44، 43.

⁴ - ابن خلكان، مصدر سابق، ج 1، ص:44، وكذا فاتن البنداري، مرجع سابق، ص:43.

⁵ - وهو يهودي نشأ ببغداد ثم رحل إلى الشام مع والده، ومنها إلى مصر حيث اتصل بكافور الإخشيد فأعجب به وعينه في ديوانه الخاص وعندما أظهر إسلامه في شعبان 356هـ-966م زادته حظوته عند كافور، يراجع ابن خلكان، مصدر سابق، ج 7، ص:27 وما بعدها.

⁶ - موسى لقبال، مرجع سابق، ص:484.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق 4-9هـ/10-15م

كما جمع الخليفة العزيز بالله، في (365هـ-976م) في المنصب بين ابن كلس، و الحسن بن عمار، فيما تولى جبير بن القاسم الوساطة في عهد العزيز مدة ثلاثة أشهر من شوال (373هـ/983م) إلى محرم (374هـ/984م)⁽¹⁾.

ليفسح المجال للحسن بن عمار⁽²⁾ ثانية؛ في عهد الحاكم مدة 11 شهرا من شوال سنة (386هـ/996م حتى رمضان 387هـ/997م)، وهو رابع الوزراء والوسطاء المغاربة، فكان كبير كتامة وشيخها، ويحظى بوافر الاحترام⁽³⁾.

ثم كانت الوساطة لعلي بن جعفر بن فلاح⁽⁴⁾، وكان وزيرا للحاكم، من شوال 406هـ/1015م حتى مقتله، في 409هـ/1017م، ورغم صرامة الحاكم وشدة بأسه، إلا أنه لما مرض وزيره هذا ركب إليه وحمل له هدية كبيرة، وهي مما جرت عليه العادة عند الخليفة الحاكم⁽⁵⁾.

¹ - المقرئزي: الخطط، مصدر سابق، ج 2، ص: 28.

² - خاطبه جوهر لكل زمان دولة ورجال، أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا، موسى لقبال، مرجع سابق، ص: 488.

³ - ابن خلكان، مصدر سابق، ج 3، ص: 201، قتل ابن عمار في 390هـ/1000م، يراجع، المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج 3، ص: 3، وكذا الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق، عبد الله مخلص، القاهرة، 1924م، ص: 26، واكتشفت مقابر عائلة الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي المغربي الذين قتلهم الحاكم سنة 400هـ/1010م، يراجع مختصر دائرة المعارف الإسلامية مرجع سابق، مادة القاهرة، ص: 8043.

⁴ - هو قطب الدولة أبو الحسن علي بن فلاح والي الإسكندرية ودمشق، ثم ولي السفارة بين الخليفة والكتاميين، عندما كان مقدا علمهم سنة 403هـ/1212م، المقرئزي، اتعاظ الحنفيا، مصدر سابق، ج 2، ص: 93. ونفسه، الخطط، مصدر سابق، ج 2، ص: 288. وابن سعيد، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ص: 66.

⁵ - الصيرفي، مصدر سابق، ص: 31.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

بعدها جاء دور عمار بن محمد، زمن الحاكم (411هـ-1020م/412هـ-1021م)، استمر في عهد الظاهر وأخذ له البيعة.

فيما كان سليمان بن محمد بن مصال نجم الدين اللكي⁽¹⁾، وزيرا في خلافة الحافظ في(544هـ/1149م)، وهو مغربي أصله من قرية "لك" ببرقة، وهناك كان يعمل بيطريا ثم قدم مصر، وترقى في مناصبها حتى تسلم وزارتها، مستقلا في أواخر الخلافة الفاطمية.

كما عاد منصب الوزارة في عهد الخليفة الظافر بالله (544/549هـ/1174-1154م)، لمغربي آخر؛ وهو عباس الصنهاجي، إذ كان يشتغل خياطا في صغره، وكان محبوبا مقربا للوزير ابن السلار الذي عمل على تنشئته وأحسن تربيته، علما بأن الوزير تزوج أم عباس الصنهاجي⁽²⁾.

و الملاحظ أن منصب الوساطة-الوزارة- كان للمغاربة فيه حظا وافرا، حتى نهاية القرن 5هـ/11م، وذهبت ربح كتامة، لتنقلب الموازين لصالح الأتراك، فيما كانت مدة العمل في الوزارة قصيرة؛ لا تتجاوز في أغلب الأحيان فصلا، وقد تصل بهم حد التنكيل والقتل.

¹ - وهو نجم الدين أبو الفتوح سليمان بن محمد بن مصال اللكي، المفضل ، من مواليد لك قرب برقة، عمل بالبيطرة ، وكان عالما بأصول الدين، وعرف بالتواضع ولين الجانبين وقد عينه الحافظ ناظرا للمصالح في 5 من جمادى الآخرة 544هـ/ 13 سبتمبر 1149م، ولقبه بالأفضل ، وأمير الجيوش، وسعد الملوك ، وليث الدولة، فغضب منه العادل ابن السلار، لتولي ابن مصال الوزارة، ونجح بطرده من القاهرة، وتبعه جيوش العادل وقتلوه في 9 شوال 544هـ/ فيفري 1150م، وسيلقى ابن مصال مصرعه لاحقا، ويبدو هذا الصراع فصلا من فصول التنازع بين السنة و الشيعة ، ابن خلكان مصدر سابق، ج3، ص:416ن وانظر أيضا، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصدر سابق، ج28، هامش 2، ص:199.

² - ابن الأثير، الكامل، مصدر سابق، ج11، ص:70، وتكلم الناس بأنه: "...كان يفعل به كما يفعل في النساء"

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

كما أن الوزراء كانوا على مرتبة كبيرة من الثراء والوجاهة، ويحضون بتقدير كبير من الخلفاء والعامّة، فحال وفاتهم تقدر ثرواتهم بأرقام مذهلة، من الجواهر والعقارات والمركوبات والملبوسات⁽¹⁾.

ديوان الإنشاء:

بالرغم من أن أعمال الكتابة لا تسلم عادة إلا للمشاركة، وقليل ما يضطلع بها المغاربة، إلا أنهم تواجدوا فيها، بدءا بعمار بن محمد أبو الحسن الذي باشر رئاسة ديوان الإنشاء (411هـ-1020م)⁽²⁾ لدى الفاطميين؛ كما ولي الوزارة للحاكم كما سبقت الإشارة؛ وأخذ البيعة للظافر، لكنه مات مقتولا⁽³⁾، ويغيب الأثر المغربي في الإدارة المصرية طيلة القرن 6هـ/13م، ثم يعود للانتعاش خلال القرن اللاحق، بوجود مغربي كموظف بسيط في ديوان الإنشاء، يتعلق الأمر بـ"رضي الدين محمد بن حمزة المغربي (ت615هـ/1219م)⁽⁴⁾.

كما سمحت الظروف لواحد من المغاربة المولودين بمصر، محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري (ت697هـ/1296م)، أصيل قلعة حماد من بيت حنون، الذي اشتهر بجودة الخط الذي أخذ قواعده على يد "إبراهيم بن أبي عبد الله المصري" كغيره من أتباعه، كما تقلب البوصيري في العديد من

¹ - يعطي أمثلة بثراء ابن عمار وابن كلس، وبدر الجمالي، ويراجع الصيرفي، مصدر سابق، ص:23، 22، 30.

² - فاتن البنداري، مرجع سابق، ص:45.

³ - المقرئ، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص:167.

⁴ - علي أحمد، "المغاربة العاملون في مصر"، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، مرجع سابق، ص:289 وما بعدها.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

المناصب في القاهرة والأقاليم؛ فعمل في شبابه في صناعة الكتابة، إذ أسندت له مهمة كتابة ديوان منطقة الشرقية، و مساوئ الإداريين فهجاهم بقصائد:⁽¹⁾،
منها هذه الأبيات:

فقدت طوائف المستخدمين فلم أرفيهم رجلا أمينا
فقد عاشرتهم ولبثت فيها مع التجريب من عمري سنينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا بهم فكأنما سرقوا العيونا
وكان صادقا نزيها وأميننا، وتألّم لفساد أخلاق الإداريين، فكان أن ضايقوه
فاضطر لترك منصبه⁽²⁾.

ولم يكد ينته القرن(7هـ/13م)، حتى تعزز التواجد المغربي في الإدارة
المصرية، إذ اعتلى الأمير بدر الدين المغربي (ت698هـ/1299م)، منصب
الداوادية⁽³⁾ بمدينة القاهرة، وهو منصب لا يتسلمه إلا القريب من حاشية
السلطان أو مقربيه، وقد عينه السلطان "المنصور لاجين" فيه، وأضاف له
تكليفا شريفا بتجديد عمارة جامع ابن طولون⁽⁴⁾.

فيما تولى ابن منظور الإفريقي (ت711هـ/1311م) عملا بديوان الإنشاء
بالقاهرة، ثم ولي قضاء الشافعية بطرابلس، وعاد إلى مصر ومها توفي، كان
محدثا وفقها، وهو من مواليد القاهرة في(630هـ/1232م)⁽⁵⁾.

¹ - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط،
وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج3، 2000م، ص:100 وما بعدها.

² - السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:571، وأيضا ابن عماد الحنبلي،
مصدر سابق، ج7، ص:753،754، وأيضا وابن شاكر، مصدر سابق، ج3، ص:88-94.

³ - وظيفة يشرف صاحبها على مصالح السلطان، وينفذ ما يأمر به، المقرئزي، السلوك،
مصدر سابق، ج2، ق3، ص:316.

⁴ - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص:243.

⁵ - هو أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي،
وهو صاحب معجم لسان العرب، ويتميز ابن منظور بكونه الإمام اللغوي الذي يُحتج بلغته،
يراجع السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص:534، وأيضا الزركلي، مصدر سابق، ج7، ص:108.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

كما وصل مغربي آخر أعلى مراتب المناصب الإدارية بمصر، إذ شغل بالقاهرة عبد الواحد بن إسماعيل الإفريقي (786هـ/1384م)، منصب كتابة السر لدى السلطان، وهو منصب مهم وحساس لما يرتبط بالسلطان نفسه والأمور الخاصة وعلاقتها بالدولة، ويعول عليها في كثير من الأمور التي يطلع عليها كتاب السر⁽¹⁾.

وتدرج عبد الواحد الإفريقي هذا في المناصب، إذ عمل شاهدا في ديوان أحد الأمراء الطبلخاناه، ثم شاهدا لبرقوق الذي أصبح أمير الطبلخاناه⁽²⁾، وتولى وظيفة موقع الدست⁽³⁾، ليصبح كاتب السر للسلطان برقوق الذي تسلم السلطنة، وسار فيها سيرة حميدة أرضت الجميع، ولم يمكث بها طويلا حتى كانت وفاته من مرض أصابه وهو في الأربعين⁽⁴⁾.

ويبدو أن السلطان برقوق ارتاح لعمل المغاربة في تسيير شؤون إدارته وبلغوا ثقتهم لديه، فعندما تولى السلطنة للمرة الثانية، عين علي بن عيسى

¹ - علي أحمد، "المغاربة العاملون"، مرجع سابق، ص:283.

² - المقرئ، الخطط، مصدر سابق، ج 2، ص:243.

³ - كاتب الدست، أو كاتب السر، ورتبته تلي رتبة صاحب ديوان الإنشاء والمكاتبات، يجالسه الخليفة أكثر أيام الأسبوع يذاكر في القرآن الكريم، وأخبار الأنبياء، وهو الذي يجلس بجوار صاحب السيف يوقع ما يأمر به في المظالم، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، هامش 2، ص:75.

⁴ - ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 8، ص:501 وما بعدها، وابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، مصدر سابق، ج 1، ص:295، وأيضا نفسه في الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج 2، ص:421، باتفاق المصادر السابقة أنه حنفي المذهب، وأنه سبط القاضي كمال الدين ابن التركماني.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

العامري المعروف بالكركي (ت794هـ/1392م) أمين سره⁽¹⁾، وهو في حقيقة الأمر مكافأة وردُّ له للجميل الذي صنعه له الكركي، عندما كان السلطان منفيًا بقلعة الكرك، ومدة مهمته لم تطل إذ عاجلته الوفاة⁽²⁾.

كما تولى أحمد بن شرف الدين عبد الهادي بن أحمد المغربي(887هـ/1385م)، والمعروف بابن الشيخ، إدارة منطقة الوجه البحري كلها⁽³⁾، وحمدت سيرته وحسنت سمعته خلال مدة عمله⁽⁴⁾.

مما سبق يلاحظ تطور التواجد المغربي في الإدارة المصرية، خلال القرون، 6 و7 و8هـ/12،13،14م، مشاركة واسعة بدءًا بديوان الإنشاء، من إداريين عاديين، حتى بلغوا منصب الداودار الذي يعادل الوالي أو العامل، ناهيك عن تسيير الأقاليم والجهات، كما زادت حظوتهم من سلاطين المماليك، وأصبحوا كتاب سر، ودست وطلبجانه.

صاحب بيت المال :

وهي من الرسوم والخطط المهمة خلال الفترة الفاطمية، كان الحسن بن مهذب المغربي أول من تولاهها منذ عهد جوهر حتى المعز، وقد تداولها، أيضا ابن دواس المغربي زمن الحاكم⁽¹⁾.

¹ - السيوطي، مصدر سابق، ج2، ص:235.

² - وابن قاضي شهبة، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين لدمشقي، طبقات الشافعية، حققه عبد الحلیم خان، ج3، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن الهند 1979، ص:446.

³ - وهي ستة أعمال، عمل البحيرة المتصل ببر الإسكندرية وبرقة، وعمل الغربية، والمنوفية وقيلوب، والدهقلىة، والمرتاحية، ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ج3، ص:345.

⁴ - ابن حجر، الدرر، مصدر سابق ج19، ص:207-208.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

الحجابه :

تولاها جعفر بن علي للمعز، بعد وفاة أبيه صاحب رسالة الخليفة؛ وهي وظيفة خاصة بخدمة القصر والمكلف بإيصال رسائل الخليفة للوزراء وكبار الموظفين، التي كانت لمحمد بن تميم الكتامي صاحب رسالة المستنصر من والي اليمن⁽²⁾، لكن الخلفاء الفاطميين رأوا من الصواب إبعاد القادة الكتاميين خوفاً على سلطانهم، وحداً لطموحاتهم، واستبداهم بالفتيان الصقالبة، وهي من مظاهر تجديد القيادة⁽³⁾، ونهاية الدور الكتامي.

صاحب شرطة:

لقد جمع عسلوج بن الحسن بين الوساطة والشرطة في زمن المعز في(363هـ/973م)، في القاهرة المعروفة بالشرطة العليا، ثم تولاها جبر بن القاسم سنة(368هـ/978م)⁽⁴⁾، كما تولاها علي بن جعفر بن فلاح، ويرشح صاحب الشرطة عادة للوزارة، وبلغت عناية الخلفاء الفاطميين في مهتم وجودهم بمصر شدة اهتمامهم باستشارة المغاربة كما حدث مع الخليفة العزيز بالله (365-386هـ/974-996م)⁽⁵⁾، لما شعر بدنو أجله وهو في مرض الموت أن استدعى كلامن أبي الحسن محمد بن عمار الكتامي أمين الدولة، كبير شيوخ

¹ - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق ج 2، ص:243

² - المجالس المستنصرية، تحقيق كامل حسين، القاهرة، 1947م، ص:332.

³ - موسى لقبال، مرجع سابق، ص:489،490

⁴ - وعبر عنها صراحة بالوزارة، بقوله: وفيها أي 363هـ / 973م، وعسلوج ويعقوب إليهما أمر الوزارة شركة ..، يراجع ابن أبيك، الدرّة المضيئة، ج6، مصدر سابق، ص:159.

⁵ - كان جوادا كريما ميالا للسلم متعقفا في سفك الدماء أكثر من العمارة والبناء أديبا، هجاه المستنصر صاحب الأندلس، فرد عليه "عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك والسلام"، ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص:372.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

كتامة والقاضي محمد بن النعمان، كما صحح عن ابن خلكان قوله: "....ثم خاطبهما في أمور ولده الملقب بالحاكم (383-411هـ/996-1026م)⁽¹⁾.

والظاهر أن عهد العزيز استمرار لعهد المعز في تقريب المغاربة والتعويل عليهم في شتى المناحي، وهي فترة ستعقبها فترات يرتخي حبل الود بين الحاكم والمغاربة؛ باستعانة هذا الأخير بالديلم والأتراك، وعليه فإن فترة الخلفاء الفاطميين بمصر حتى زمن الحاكم بأمر الله، كانوا قد بسطوا ووسعوا للمشاركة المغربية الكتامية في الإدارة المصرية، وربطوهم بهم ليشدوا عضدهم الإداري، وليشركوهم في التسيير، غير أنه لا بد من الإشارة إلى مخضرم مغربي، الأمير أبو فراس يحيى بن علم الملك، المعروف بابن النحاس (ت 598هـ/1194م) من سلالة تميم بن المعز الصنهاجي، حيث كان في خدمة دولة ابن رزيك، وولده، ثم شاور، ثم خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي⁽²⁾، كم تولى ديوان الإنشاء، يتعلق الأمر ب"أبو المعالي بن الحباب عبد العزيز بن الحسين" المعروف بالجليس المكين (ت 561هـ/1166م)، وهو ينتمي لبيوتات بني الأغلب سلاطين إفريقية بمصر، وكان يجالس الخليفة الفائق (549-555هـ/1154-1160م) يعلم الخليفة وأولاده وإخوانه، القرآن والأدب مؤدبا لأبنائه⁽³⁾.

¹ - كان جوادا سفاكا للدماء؛ في سيرته من أعجب السير، يخترع كل وقت أحكام، يحمل الناس على العمل بها، ثم يتراجع عنها، للمزيد يراجع المصدر نفسه، ج 5، ص: 374 وما بعدها.

² ابن سعيد المغربي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ص: 228

³ - الذي تولى له ديوان الإنشاء مع الموفق أبي الحجاج، كما جالس ابن رزيك "كثيرا، وأيضا المقريزي، 1. - تعاط الحنفا، مصدر سابق، ج3، ص: 338، وأيضا نفسه، الخطط، مصدر سابق، ج1، ص: 402، ص: 254، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ص: 487.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

وبمجيء الأيوبيين تراجع دور المغاربة السياسي، قليلا عما كان عليه في ظل الفاطميين، على الرغم من استمرار تدفق هجراتهم إلى مصر بصفتهم طلاب علم أو تجارا، أو حجاجا أو حتى مجاهدين منذ ق(7هـ/13م)، واندماج الكثير منهم في الوسط المصري الاجتماعي وكانت لهم إسهامات طيبة في الجوانب الحضارية سنها في حينها⁽¹⁾، وهذا لم يمنع البعض منهم البروز، والتدرج في مناصب إدارية حساسة، بعد العصر الفاطمي؛ إذ استعمل أبو الحسن علي بن عثمان الصنهاجي اللمتوني المغربي (ت694هـ/1259م)، أمينا لسجن القاهرة، إذ أدى عمله بكل أمانة وإخلاص للدولة، ولم يصرف عن عمله إلا بموته⁽²⁾، فيما كان عمل المغاربة خلال هذه الفترة عملا خلقيا خاصا وفقهيا سنيا لإزالة مظاهر التشيع في الوسط المصري، وتوحيد جبهته الداخلية لمواجهة الأخطار الخارجية كالصليبيين.

القضاء والمظالم:

شغل المغاربة⁽³⁾ هذا المنصب في الفترة الفاطمية، قرابة قرن من الزمن من سنة(362-441هـ/973-1041م)، وكان الخليفة الفاطمي هو الذي يعين من يتولى المنصب، وكان أولهم القاضي النعمان محمد بن حيون (ت363هـ-973م) الذي شارك القاضي أبي الطاهر الهذلي السني سلطاته، وكان قاضي المغاربة و هو علي بن ولي الأشبيلي، وتولاه، أي " القضاء"، وبعد وفاة النعمان في سنة

¹ - خالد ابتسام، وشوكت محمد عارف الأتروسي، التركيبة الإثنية للمجتمع المصري خلال العصر الأيوبي، مجلة جامعة زاخو، المجلد،1(B)، ص:326-344. 2013م

² - علي احمد"المغاربة العاملون في مصر، مرجع سابق، ص:282، أيضا:

Tourneau (R. Le), L'occident Musulman du VII à la fin XVe , Algérie, 1958, P 123

³ - استمرت هذه الوظيفة في ستة من عائلة بني النعمان قرابة 60 سنة، تخللها بعض الانقطاع، يراجع فؤاد أيمن السيد، مرجع سابق، هامش 6، ص:265.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

(363هـ/973م) ولي محمد ابن أبي ثوبان المغربي مظالم المغاربة وقد اختص في الحكم بين الجند والتجار فقط في عهد الخليفة المعز، ثم زيد له أيضا قضاء المصريين حتى سنة (362هـ-973م)، ويكتب في سجلاته، قاضي مصر والإسكندرية، واستمر على وضعه حتى وفاته سنة (364هـ/974م)⁽¹⁾.

وكان من مهام القاضي فضلا عن وظيفته النظر في الأحكام الشرعية و المظالم، يكلف بالخطبة والإمامة في حضرة الحليفة، وتولي الضرب والنظر في أحباس الجوامع والمساجد ووجوه البئر، كما يجري على يديه تعيين النواب له في الأقاليم، وتارة الجمع بين القضاء والدعوة⁽²⁾.

تولى القضاء بعد النعمان، ابنه عليا المكنى بأبي الحسن (ت374هـ/984م) ويكلف بقضاء مصر وما يليها منذ سنة (367هـ/977م)⁽³⁾، ومكث بالمنصب غير مصروف منه حتى حضرت الوفاة (في 374هـ/984م) وبين العهدين كان "أبو" الطاهر الهذلي القاضي المالكي، منذ عهد المعز يجمع في القضاء مع ابن حيون، حتى عهد ولاية ابنه العزيز بالله نزار⁽⁴⁾، الذي ردّ لأبي الحسن القضاء كله مستقلا في الجامعين القاهرة؛ وجامع عمرو بن العاص حيث قرئ سجله، وأضيف إليه دار الضرب منذ (366هـ/973م) حتى (374هـ-

¹ - موسى لقبال، مرجع سابق، ص: 493.

² - عبد المنعم عبد الحميد سلطان، الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي، دراسة تاريخية وثائقية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 1999م، ص: 50.

³ - قاضي قضاة الديار المصرية، وكان شيعيا غالبا وشاعرا مجودا، يراجع، الذهبي الحافظ، العبر في خبر من غبر، حققه، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، وآخر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص: 143، وأيضا، ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص: 365.

⁴ - كانت مدة حكمه تمتد من (365-385هـ/975-996م)، أما القاضي أبو طاهر فكانت وفاته في ذي القعدة 367هـ/977م)، وأيضا ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص: 423.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

984م)، ليخلفه، أخاه محمد بن النعمان (ت389هـ/999م)⁽¹⁾، الذي أرسل إليه العزيز، وذكره بـ"أن القضاء لك بعد أخيك، فلا تخرجه عن هذا البيت"⁽²⁾، وكان يلقب بـ"سيدنا"، ويصفه ابن زولاق عند الذهبي: "...لم نشاهد بمصر تغاضي من الرئاسة ما شاهدناه له ولا بلغنا عن ذلك القاضي بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والهيبة وإقامة الحق" وعلت مرتبته، وكثرت أعماله، حتى وفاه إثر مرض النقرس الذي لازمه⁽³⁾.

وهكذا كان العصر الفاطمي الأول عصر تواجد مثمر للمغاربة، وللكتاميين؛ لما بقي منصب القضاء متوارثا فيهم، وفي عائلة ابن حيون حتى نهاية ق5هـ/11م. مع ما كان من مشاركة إدارية وسياسية محدودة إلا أنها معبرة عن وصل التعاون وردّ الجميل.

أما في منصب والي المظالم، ففي الفترة الفاطمية تولّاها أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن حيون سنة (389هـ-998م)، وكان قد عينه بـبورجواني وزير الخليفة الحاكم بأمر الله وفي سنة (391هـ-1000م)، جلس الحاكم بأمر الله نفسه لإدارتها ثم ردها لعبد العزيز.

وكما هو الحسبة، فإن القائم عليها، كوسيط بين القاضي وناظر المظالم، وقد تولى المغاربة هذا المنصب بكثرة منهم، سليمان بن عزة المغربي

¹ - الصديقي، مصدر سابق، ج5ص:89.

² - ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص:419 وما بعدها، وذكر أنه أخرج القضاء من هذا البيت في (رجب 398هـ/1008م)، وعنده أيضا، مصدر سابق، ج5، ص:522.

³ - الصفيدي، مصدر سابق، ج5، ص:260-261.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

الذي ولاه جوهر سنة (359هـ-969م)⁽¹⁾، الذي اشتهر بالشدة مع فئة التجار والصيارفة، حتى أظهروا عداؤهم للنظام، ولذلك عزل من المنصب أكثر من مرة، ليبعد نهائيا في (363هـ/973م)، ثم وليت لابن كلس، بالاشتراك مع عسلوج بن الحسن، حتى محرم (364هـ/974م)⁽²⁾، ثم الحسين بن عبد العزيز زمن العزيز بالله (367هـ/977م) ثم علي بن سعد زمن الحاكم (370هـ/990م)⁽³⁾، ثم داوود بن المفلح في عهد العزيز سنة 383هـ/993-994م)، وعلي بن جعفر زمن الحاكم (408هـ/1017م)⁽⁴⁾، ثم داوود بن يعقوب الكتامي، مع الأسواق والسواحل، وقد ظهر في أبهة عظيمة⁽⁵⁾ ثم فتح بن نصر الكتامي⁽⁶⁾.
أما حكم الأقاليم فكان للكتاميين حظ منها وافر في تسييرهم متولون لأسوان، وطرابلس وسرت واجدابية، ومناطق من بلاد الشام⁽⁷⁾.

وعموما سيغيب الدور المغربي في الدولة الفاطمية، بعد مجيء الوزير بدر الجمالي (في 466هـ/1073م)، ويباشر إصلاحاته بالقضاء على سيطرة الجند السابقين، وتعويضهم بالأرمن، الذين صار منهم يومئذ معظم الجيش، وذهبت

¹ - المقرئزي اتعاط الحنفاء، مصدر سابق، ص169، ونفسه، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق كرم حلمي بركات، دارعين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2007م، مصدر سابق، ص:89، وينظر أيضا فتن البنداري، مرجع سابق، ص:53.

² - موسى لقبال مرجع سابق، ص:492.

³ - كان الخليفة الحاكم بأمر الله يتولى الحسبة بنفسه في القاهرة ويلبس جبة صوف ابيض ويركب حمارا قديرا يغل ويطوف في أسواق القاهرة ومعه عبدا سودا طويلا عريض يمشي في ركابه يقال له مسعود، يراجع الذهبي، العبر في أخبار من غير، مصدر سابق، ج 3، ص:106.

⁴ - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج 1، ص:387.

⁵ - موسى لقبال، مرجع سابق، ص:492.

⁶ - فتن البنداري مرجع سابق، ص:54-55 والمقرئزي، الخطط، مصدر سابق ج1، ص:486.

⁷ - موسى لقبال، مرجع سابق، ص:495.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

ريح كتامة وصاروا من جملة الرعية بعدما كانوا من وجوه الدولة وأكابر أهلها؛
على رأي المقرئزي⁽¹⁾.

غير أن بعض المغاربة ممن تدخل، ودعا للعباسيين، في آخر عهد
الخلافة الفاطمية بمصر، يتعلق الأمر "باليسع بن علي بن حزم"، وهي بيعة
للعباسيين السنة، وقد علت مرتبته لدى صلاح الدين الأيوبي، بسبب جرأته
وبأسه، أمام الجند الفواطم⁽²⁾.

بعد الفترة الفاطمية، كانت المشاركة المغربية في هذا الميدان واسعة
خاصة بإسناد منصب قاضي المالكية بمصر، في القاهرة والإسكندرية على
السواء⁽³⁾، بسبب وجود أعداد مهمة من المغاربة على المذهب المالكي، يمتلكون
أهلية عالية وثقافة مميزة، وأخلاقاً متزنة⁽⁴⁾، فضلا عن سيادة القضاء المالكي
في الإسكندرية حتى سنة (768هـ/1367)، تاريخ استحداث منصب قاضي
المالكية⁽⁵⁾، إذ أسند منصب نيابة القضاء المالكي لمحمد بن الحسن بن عبد
السلام أبو بكر الصفاقسي (ت654هـ/1256م)، والشهير بابن المقدسية، وهو
مصري المولد أسكندري النشأة، وقد مكث في القضاء المالكي بالإسكندرية حتى
وفاته⁽⁶⁾.

¹ - الخطط، مصدر سابق، ج 2، ص: 101-103.

² - أحمد عبد اللطيف حنفي، مرجع سابق، ج 1، ص: 132.

³ - هل ستتحول المدينتين، أو الإسكندرية على الأقل إلى مستوطنة ثقافية مغربية مثل
دمشق.؟. Pouzet à.op.cit.p167. (Louis).

⁴ - علي أحمد، "المغاربة العاملون" مرجع سابق، ص: 238.

⁵ - ليصبح في الإسكندرية قاضيان، يراجع المقرئزي السلوك، مصدر سابق ج3، ص: 128.

⁶ - الصفدي، مصدر سابق، ج 2، ص: 262، وأيضا الذهبي، العبر في خبر من غير، مصدر
سابق، ج 2، ص: 178، وكذا سامية مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص: 36.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

كما تولى محمد بن محمد بن يحيى بن محمد البدر(ت670هـ/1272م) قضاء الإسكندرية بعد الجلال البكري مستقلا، ولم يطلبه مثل أبيه، فقد رحّب به سكان الإسكندرية، وزاد من نشاطه أيضا بتدريسه المالكية بالمؤيدة، وأيضا بالصالحية والقمحية، وناب عن أبيه في نظر البيمارستان⁽¹⁾.

ثم كان محمد بن الحسين بن عتيق بن الحسين بن عتيق الربيعي (ت680هـ/1281م)⁽²⁾، الملقب بعلم الدين، الفقيه والمفتي، ولّى قضاء المالكية بثغر الإسكندرية، وكان من سادات المشايخ، إذ جمع بين العلم والعمل والورع والتقوى، وكان من ذريته القاضي زين الدين بن محمد⁽³⁾.

ثم جاء بعده قاضي القضاة محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام الربيعي التونسي (715هـ/1257م)⁽⁴⁾، الذي تولى نيابة الحسينية بالقاهرة مدة، ثم أسندت له وظيفة قاضي القضاة بالإسكندرية سنة(709هـ/1310م)، وهو من تعداد القضاة المغاربة المستقلين، غير أنه لم يحمّد في منصبه، ولم يطل به المقام فعزل⁽⁵⁾، وعاد للتدريس في مدارس بالقاهرة وقد تخرج على يده ثلة من علماء القاهرة⁽⁶⁾.

¹ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج10، ص:8-9.

² - يلقب بابن شيخ المالكية، وهو أبوه وجده بيت علم، يراجع ابن فرحون، مصدر سابق، ص:414.

³ -الصفدي، مصدر سابق، ج3، ص:16.

⁴ - ضُبط الاسم عند ابن بطوطة في الرحلة "بابن الريغي" من أهل ريغة، ص:39، وفي مخطوط مختصر تفسير بالتنوير في التفسير لأبي القاسم الريغي، مخطوط، ملحق.

⁵ - له كتاب مختصر التفرّيع، يراجع ابن فرحون، مصدر سابق، ص411.

⁶ - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج4، ص 244، وهذا لا يطابق وصف ابن فرحون، في المصدر السابق في نفس الصفحة، على أنه كان عفيفا فقيها عالما أصوليا سريع الدمعة، مما يروى عليه هذين البيتين:

ولو أني جعلت أمير جيش-----لما قاتلت إلا بالسؤال

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق 4-9هـ/10-15م

وكان من أسرة الزواوي ممن تسلم القضاء محمد بن سليمان (ت 717هـ/1318م)، يحمل لقب جمال الدين، وكان قد قدم الإسكندرية، ودرس على علمائها ومشايخها، وعلى كعبه في العلم والقضاء، فكان كثير التنقل بين القاهرة والشرقية والغربية، بعدها أسندت له مهام نائبا لقاضي المالكية، ثم عين في منصب قاضي قضاة القاضي فترة طويلة، لكنه غادر مصر متوجها لدمشق في ظروف غامضة ، ليتسلم منصب قاضي القضاة بها، ليكمل مسيرته، حتى وفاته هناك.

كما كان للفقير العالم أبي القاسم بن بنون التونسي نصيب من العمل في القضاء المالكي كنائب للقاضي المالكي في مدينة المحلة الكبرى، وقد أدركه ابن بطوطة أثناء زيارته في (726هـ/1326م)، لما مرّ بهذه المدينة وحمدت سيرته⁽¹⁾.

في مدينة القاهرة، فقد تولى بها نيابة القضاء المالكي شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي (743هـ/1326م)، عن القاضي زين الدين بن مخلوف، ثم عن القاضي تقي الدين الأحنائي⁽²⁾، كما اشتهر بالتدريس بالأزهر الشريف، فهو من تعداد الفقهاء والمحدثين وإليه انتهت رئاسة الفتوى في مذهب مالك بالديار المصرية والشامية⁽³⁾، علما بأن الزواوي كان قد بدأ عمله في

لأن الناس يهزمون منه---- وقد صبروا لأطراف العوالي

¹ - ابن بطوطة، الرحلة، مصدر سابق ج 1، ص: 47.

² - كان شافعيًا ثم رجع مالكيًا، ولي الحسبة ونظر الحزينة، ترجم له التنبكتي، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ص: 60، و ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج 3، ص: 210، وابن بطوطة، مصدر سابق، ج 1، ص: 60-61.

³ - ابن فرحون، مصدر سابق، ص: 283، وأيضًا مفتاح خلفات ، مرجع سابق، ص: 455، وما بعدها.

الفصل الثالث.... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

القضاء كنائب بمدينة دمشق، ليندشغل بالتصنيف بعد ترك المناصب الإدارية⁽¹⁾.

في حين تولى أحمد بن محمد الشهير بابن المخلطة الصنهاجي (ت756هـ/1358م)، قضاء الإسكندرية وهو عائد من دمشق التي استقر بها يسيرا، ويبدو أنه كان محمود السيرة، فقد تولى القضاء مرتين إحداها التي توفي فيها، علما بأنه ولد بالإسكندرية في حدود 696هـ/1297م، وبها تربى ونشأ⁽²⁾.

في عهد السلطان برقوق زادت ثقته بالمغاربة فعمل تعيين محمد بن يوسف شمس الدين الركاكي المغربي (ت793هـ/1391م)، قاضي قضاة المالكية بالقاهرة، كان قد قدم من المغرب صغيرا، وأخذ منها العلوم حتى برع، تدرج في التدريس لفته المالكية بالمنصورية، بعد أن نازع قاضي القضاة الأحنائي، وكان الركاكي قبلُ قد امتنع عن الفتوى ضد السلطان برقوق أثناء مقدم يلبغا الناصري من الشام وخلعه له.

فضلا عن وظيفته في القضاء، فقد اهتم أيضا بالتدريس بالشيخونية، و بالكاملية مدرسا وناظرا، كما اهتم بأمور الناس في الأزهر، ودرس بالقمحية، وكان وجهها عند برقوق، مشاركا متعدد الاهتمامات⁽³⁾.

¹ - شرح صحيح مسلم، "المسمى بإكمال الإكمال"، شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه، يراجع ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج3، ص:210-211، وأيضا ابن فرحون، مصدر سابق، ص:283.

² - ابن القاضي المكناسي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص:28، وأيضا، ابن فرحون، مصدر سابق، ص:138.

³ - المقرئ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، ج3، تحقيق، محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص:53-55.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق 4-9هـ/10-15م

كما تولى من المغاربة القضاء بمصر؛ قاضي القضاة العالم تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز (ت805هـ/1403م)، كان إماما في الفقه والعربية، تصدر للإفتاء والتدريس عدة سنين انتفع به المنتظمون من طلبة الفقه المالكي، وحمدت سيرته، وانتهت إليه رئاسة المذهب المالكي في وقته⁽¹⁾.

وبمصر أيضا يتولى قضاء القاهرة شمس الدين محمد بن قرموز الزرععي (ت807هـ/1404م)، كان فقيها ميالا لنظم الشعر، كان قد تولى قضاء القدس، ثم الكرك، واستقر بقضاء القاهرة حتى وفاته⁽²⁾.

غير أن عبد الرحمن بن خلدون (ت808هـ/1406م)، عدّ أعظم المغاربة من تولى منصب قاضي القضاة المالكية، كفاءة وثقافة وتحضرا وأهلية، وحتى أنه حافظ على زيه المغربي ولم يتزى بزى القضاة⁽³⁾، وكل هذه المحصنات لم تشفع له بالاستمرار في هذا المنصب، إذ تعرض للعزل منه وإعادته مرات عديدة آخرتها السنة التي كانت فيها وفاته⁽⁴⁾، لاعتبارات الميول والأمزجة لدى رجال الحكم المملوكي، وحساسية المنصب التي غالبا ما تكون أحكامه مضرّة بمصلحة الأشخاص، مع ما كان لابن خلدون من صرامة، تتجاوز رفض وساطة السلطان، كما أن منصب القاضي معرض للبيع كباقي المناصب، مما يبعده

¹ - ابن خلكان، مصدر سابق ج7، ص:43.

² - نفس المصدر والجزء، ص:61.

³ - ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج9، ص:115.

⁴ - سنة 808هـ/1406م، ينظر السيوطي، مصدر سابق، ج2، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج9، ص:114-115.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

عنه، بالرغم من حرصه على العدل بين الناس بعيدا عن طرائق الحيل والمحاباة⁽¹⁾.

لقد عمل ابن خلدون على إصلاح قطاع القضاء وإحداث تغييرات به من حيث المساعدين والشهود، غير أنه اصطدم بوحشة بينه وبين السلطان، بإيعاز من فئة مَنَعَهَا العدلُ من السلطة والتسلط، وصادف ذلك كله حادث السفينة التي غرقت وهي في الطريق لمصر، والتي كانت تقل عائلة ابن خلدون ومكتبته⁽²⁾.

واعتبر أحد الدارسين⁽³⁾ أن ابن خلدون، وهو يمارس مهامه المتنوعة والمتعددة، من قضاء وتدريس، فهو يباشر مهام أخرى، تحت رعاية الطنبغا الجوباني⁽⁴⁾، تدخل في إطار أعمال السفارة والعلاقات الخارجية بما وقر للماليك من ارتباط ديبلوماسي واقتصادي بينهم وبين سلاطين المغرب والأندلس، إذ كان عمله تحقق في خلق وتمتين العلاقات بين مصر وبلاد المغرب والأندلس، خاصة بما تحقق له من مراسلات مع العلماء والوزراء رجال الدولة بالمغرب، وقد تدخل ابن خلدون لدى السلطان برقوق لصالح بعض المغاربة، بل سعى لديه

¹ - علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمن بن خلدون حياته وأثاره ومظاهر عبقريته، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مكتبة مصر، ص: 97 وما بعدها.

² - ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج6، ص: 565 وما بعدها، تفاصيل ما غرق في السفينة وما ضاع منها، عند ابن حجر، إنباء الغمر، مصدر سابق، ج1، ص: 291.

³ - عيفة حاج، مرجع سابق، ص: 249، وما بعدها.

⁴ - الخدمات التي قدمها له "الطنبغا الجوباني"، والذي لم يذكره ابن خلدون في كتاباته، خاصة الرحلة علاء الدين الطنبغا بن عبد الله الجوباني، اليلبغاوي الأميركان من خيار الأمراء دينا، وعقلا وشجاعة، كان صديقا لابن خلدون، وقد عرف به وأثنى عليه، توفي في الواقعة بين منطاش والناصرى، في 792هـ/1390م. يراجع، ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج5، ص: 462، ترجم له ابن تغري بردي، المنهل الصافي، مصدر سابق، 49، والسغاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج4، ص: 146.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

لحماية قوافل الحج المغربية، وفصل ابن خلدون عمله، كوسيط سياسي، أساسه "السعاية في المهادة، والألطف بين ملوك المغرب والملك الظاهر"⁽¹⁾.

بعد ابن خلدون بمدة طويلة يتحقق لمغربي الوصول لمنصب قاضي القضاة المالكية بالإسكندرية أحمد بن سعيد التلمساني (ت845هـ/1442م)، وحقق في مساره الاستقامة وإحقاق الحق، رغم ما وصف بقله العلم والزاد⁽²⁾.

وبالقاهرة اشتهر نائب القاضي قضاة المالكية نور الدين الرهوني المغربي (ت870هـ/1466م)، إلا أنه لم تحمد سيرته، وصف بالتهور والظلم، وتنفيذ أحكاما في غاية الرعونة⁽³⁾.

في أرياف مصر كما في حواضرها أيضا يتسلم مغربي قاضي قضاة المالكية يتعلق الأمر بمحمد بن محمد المعروف حريز (ت883هـ/1469م)، بمدينة منفلوط، كان مطلعاً على العلوم والمعارف، مسلحاً بالأمانة والحرص على الحق ونصرته، وابتهج به الناس لما خلف القاضي ولي الدين السنباطي بمدينة القاهرة، كما كان من هذه الأسرة قاض آخر كعمر بن سراج الدين

¹ - يراجع، عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية (ق7-9هـ/13-15م)، النشر الجديد الجامعي، 2016م، ص:85، وما بعدها.

² - علي احمد، "المغاربة العاملون"، مرجع سابق، ص:286.

³ - رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويست الطنجي، دارالكتيب العلمية، بيروت، 2002م، ص:262. سنفرد مبحثاً لابن خلدون في نهاية هذا الفصل كنموذج مغربي، من خلال وظائفه ومهامه، ومن خلال التأريخ لنفسه كما يراه، أو كما يريد أن يراه الناس، وهي الصورة التي اختلفت في نظر معاصريه، كما أرادوا أن يروها، ويراها معهم الناس، نفسه ص:11.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

المغربي المنفلوطي (ت 892هـ/1487م)، كان منصفا وحياديا في إصدار أحكامه، وصف بالقاضي الحق⁽¹⁾.

إن عمل المغاربة في القضاء المالكي عُدَّ ذلك من المهام والأدوار التي يقومون بها إداريا واجتماعيا وحتى أمنيا، ويناط بهم المهام الصعبة الملحقة بالقضاء، والتي لا تجد لها طريق الحل على المذاهب الأخرى، فيتكفل بها قضاة المالكية، كقضايا الخروج عن الملة من كفروزندقة، وإلحاد⁽²⁾، كما أحيل على القضاء المالكي في سنة (785هـ/1384م)، جماعة ممن أتهموا بالزندقة، فحكم عليهم بالقتل⁽³⁾.

¹ - السخاوي، مصدر سابق، ج6، ص:76.

² - إتهام علي الطنبغا الحلبي، والطنبغا داودار، بالكفر فخُكم عليهما بالقتل، يراجع ابن حجر، إنباء الغمر، مصدر سابق، ج1، ص:274.

³ - نفسه، ج1، ص:274.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق 4-9هـ/10-15م

2- ابن خلدون في الوسط المصري، بين الكدّ والمكائد:

كانت الإشارات السابقة التي تم الحديث فيه عن ابن خلدون⁽¹⁾ ومقامه بمصر طيلة ثلاث وعشرين سنة، أقلها حوادث وأقلها إنتاجا، عاشها في دعة⁽²⁾، حيث دخلها في (784-808هـ/1382-1406م)، وكان هدفه المعلن قضاء فريضة الحج، ثم اتجه من الإسكندرية نحو القاهرة، التي سبقت شهرته، فتصدر لإلقاء دروس بالأزهر⁽³⁾، وأيضا بالمدرسة القمحية⁽⁴⁾، ليعينه السلطان برقوق (784-802هـ/1382-1399م) قاضيا لقضاة المالكية في (786هـ/1384م)، وبمصر أتحت له فرصة التنقيح والتهذيب في التاريخ والمقدمة، خصوصا فيما تعلق فيهما بمصر والشرق، كذا استمر المؤرخ في كتابة ترجمة حياته أثناء إقامته بمصر، واستمر فيها إلى قبيل وفاته، وضمها فصولا جديدة عن خواص دول المماليك المصرية، ونشأة التتار مما أشرنا إليه في موضعه. وكتب أثناء مقامه بالشام وصفاً لبلاد المغرب ورفعها إلى تيمورلنك، كذلك لا ريب في أن ابن

¹ - من مواليد تونس في أول رمضان 732هـ الموافق لـ 27ماي 1332م، وتوفي بالقاهرة في 25 رمضان 808هـ الموافق لـ 19مارس 1406م، وحفظ القرآن على يد والده، وتثقف بشغف علوم عصره على يد أكابر علماء تونس، ثم أخذ الفلسفة والتوحيد والشريعة، مكنته من إقامة علاقات لتولي مناصب في البلاط المريني، موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ج15، مادة ابن خلدون، ص: 187، وما بعدها، وأيضا عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص: 92.

² - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته، وتراثه الفكري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1933م، ص: 65.

³ - فيما بين 21شوال وأوائل ذي القعدة، كما ثبتها ابن حجر في إنباء الغمر، مصدر سابق، ج1، ص: 272، عكس ما يذهب إليه المقرئ في السلوك أنه دخلها في رمضان وتحلق حوله طلاب العلم وأعجبوا به. وأيضا ابن خلدون، رحلة ابن خلدون، مصدر سابق، ص: 201.

⁴ - كان موضع القمحية بجوار الجامع العتيق (عمرو بن العاص)، وكان موضعها يعرف بدار الغزل، وهو قيسارية كان يباع فيها الغزل، فهدمها صلاح الدين الأيوبي، وأنشأ موضعها مدرسة للفقهاء المالكية ورتب فيها مدرسين وجعل لها أوقافا كانت منها ضيعة بالفيوم تغل قمحا كان مدرسوها يتقاسمون، وصارت تعرف بالمدرسة القمحية، يراجع القرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص: 363، كما يشير أيضا المقرئ، أن "في 25 محرم، درس شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون في القمحية بعد وفاة علم الدين البساطي، يراجع، نفسه، السلوك، مصدر سابق، حوادث 786هـ/1366م.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

خلدون كان يعنى في دروسه ومجالسه ببث مذاهبه وآرائه الاجتماعية وشرحها⁽¹⁾.

لقد عمل ابن خلدون في القضاء⁽²⁾، وسعى لإصلاح شؤونه، بالعدول عن الظلم والجور وتخير الشهود وإقامة العدل بين الخصوم، فوجد معارضة حتى من قبيل المغاربة، الذين لم يتورعوا في انتقاد ابن خلدون، وانحطاط خطة القضاء التي تولاها⁽³⁾، وكان عمله بها يتراوح بين العزل والتثبيت، فالعزل بداية تزامن مع غرق أسرته في السفينة، ليقرر أداء فريضة الحج في (789هـ/1387م)⁽⁴⁾، بحثا زهد ومواساة، واستكانة ودعة وراحة تلزمه وتؤويه⁽⁵⁾.

غير أنه ولي منصب قاضي قضاة المالكية ثانية، وتخلى عنه مدة قصيرة ليستعيده لاحقا، وفي عام (803هـ/1401م)، صحب السلطان الظافر فرج بن برقوق، إلى دمشق رفقة جملة من العلماء والفقهاء، لملاقاة تمورلنك، حليف

¹ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته، مرجع سابق، ص: 66، وما بعدها.

² - الضوء اللامع، مصدر سابق، ج4، ص: 149.

³ - "كنا نعد خطة القضاء من أعلى المناصب فلما ولّمها هذا عددناها بالضد من ذلك" السخاوي، مصدر سابق، ج4، ص: 146، و"يراجع الملحق رقم ص: وكان فهم ملتقطون سقطوا من المغرب.....".

⁴ - ابن حجر، إنباء الغمر، مصدر سابق، ج1، ص: 291، غرقت السفينة التي بها عائلة بن خلدون وكتبه وهدايا جلييلة من صاحب المغرب، ذكرت تفاصيلها في حوادث 786هـ/1384م

⁵ - رحلة بن خلدون، مصدر سابق، يراجع هامش 1، ص: 246، وأيضا، العبير، مصدر سابق، ج7، ص: 565، وهو يستعرض ما لحق به من أذى بقوله: "وارتفع الصخب، وأرادني بعض على الحكم بغرضهم فأوقفت، وأغروا بي الخصوم فتنادوا بالتظلم عند السلطان..... فكثير الشغب علي من كل جانب، وأظلم الجوّ بيني وبين أهل الدولة فوافق ذلك مصابي بالأهل والولد".

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

أوروبا المسيحية ضد المماليك المسلمين⁽¹⁾، وكانت لابن خلدون مفاوضات مع تيمورلنك نيابة عن العلماء والفقهاء مدة أربعين يوماً، واضعاً نصب عينيه سلامته وسلامة أصحابه⁽²⁾، ولما عاد إلى القاهرة مكث في القضاء حتى وفاته⁽³⁾، فكان ابن خلدون القاضي الفاعل والمدرس المحنك، وهو الشاهد على العصر، حيث البحث والسؤال في الشأن الحضاري، ومصدر تاريخ المشرق عن المغرب⁽⁴⁾.

كان ابن خلدون يحكم بجرأة، ويسعى لخلق التجديد في القطاعات التي كان يدعى للعمل فيها، على أنه سابق لعصره برأي فنان مونتينييه بأفكاره وأسلوبه، وبلغته المفهومة⁽⁵⁾، غير أنه سيقع ضحية أقرانه بوشايتهم لدى علماء علماء القاهرة المملوكية بسبب فساد أخلاق ابن خلدون، وحسب عنان⁽⁶⁾، فإن ابن خلدون جاء لمصر حاملاً معه بذور الخصومة، لحكم أطلقه على مصر ، أوجد عندئذ الكثير من عوامل الخصومة والمنافسة، كما أن زعامة ابن خلدون يطبعها الجفاء والقطيعة في الوقت الذي سادت فيه الدسائس والمؤامرات، والسعائيات التي لحقت بابن خلدون، وهو لم يغادر بعض المغرب

¹ - كانت المشرق (مصر والشام) تحت حكم المماليك ، هو مجال معاينة بن خلدون للأتراك وقوتهم، وعابهم وهو في معسكر تيمورلنك، وكتابات موجبة لتخليد برقوق وابنه السلطان الناصروهي شهادة مباشرة ، يراجع، علي أومليل، الخطاب التاريخي، دراسة لمنهجية ابن خلدون، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2005م، ص:151، وما بعدها.

² - ابن خلدون، التعريف، مصدر سابق، ص:286، وما بعدها.

³ - موجز دائرة المعارف، مرجع سابق، ج15، مادة ابن خلدون، ص:189، وما بعدها.

⁴ - لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص:354-363، كما يصف ابن حجر ، أن ابن خلدون لما عزل في هذه السنة أهين كثيراً، تفصيل ذلك في الإنباء، مصدر سابق، ج2، ص:142، علماً أنه لم يؤرخ لسفارة بن خلدون في حين صرح بالإهانة له، وفي ص:323، من نفس المصدر يؤرخ لوفاة ابن خلدون، بـ"فلم ينبش أن توفي ابن خلدون في هذه السنة" 808هـ، فآية قراءة لذلك؟

⁵ - عبد القادر جغلول، الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون، ترجمة فيصل عباس، ومراجعة خليل احمد خليل، ط4، دار الحداثة1987، لبنان، ص:64، 65.

⁶ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته، مرجع سابق، ص:94.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

نحو مصر، ويصر على أن ابن عرفة⁽¹⁾، كان يزيد في إغراء البطانة متى اجتمعوا بالسلطان⁽²⁾، فهل نقل ابن خلدون أزمته وخصوماته من المغرب نحو مصر، وهجرها معه، فصارت تلاحقه دون بقية أهله المغاربة العاملين بمصر؟

ابن خلدون والمشرق:

كانت مصر في عهد نزول ابن خلدون تعج بالعلماء والأئمة أمثال الفقيه المحدث القاضي ناصر الدين الزبيدي (ت: 788هـ/1384م)، هذا بالإضافة إلى فقهاء المالكية المشهورين كالقاضي جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير الأنصاري، والقاضي ولي الدين أبو العباس أحمد بن القاضي جمال الدين وغيرها من العلماء، فابن خلدون لجماعة ثقافية تعاني سكرات الموت⁽³⁾، غير أن التشبث بالحياة أمرا واقعا، من خلال ديمومة الثقافة المفعمة بالمكتسبات الإنسانية ضمن التنظيم الاجتماعي، في غير الفصل بين "الثقافة والحضارة"، ثقافة خلاقة مغذية لكل مسار تحضير، فهو المغربي والعربي:

1- أدرك ابن خلدون المخاطر المهددة لبلاد الشام ومصر من طرف تيمورلنك، فذهب للقائه في 803هـ/1403م، ووصف بأنه فصيح العبارة يرتدي لباسا مغربيا، ذهب ليتحدث باسم أعيان دمشق، دفعا لتيمورلنك عنها، خوفا مما سيخلفه هذا الغزو البربري، من كارثة كالذي أحدثه مغول هولوكو بتدمير بغداد في (565هـ 1258م)، وما خلف من شعور بالأسى، كما كان تدمير مدينة حلب لا يزال قريب العهد إذ أحرقت المدينة عن آخرها⁽⁴⁾.

¹ - انتقد ابن خلدون مختصر الفقيه محمد بن محمد بن عرفة الورغامي التونسي (656-737هـ/1316-1401م). فحقد عليه الفقيه، وصلت به حد الوشاية والنميمة عليه، نفسه، ص: 96-98.

² -- ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 558، وما بعدها.

³ - كانت مظاهر الانحطاط هي السمة المسيطرة على العالم الإسلامي خلال القرن 8هـ/14م، من تراجع الفلسفة وركود العلوم التجريبية من طب ورياضيات ومنطق، وهو مقرون بانحطاط سياسي واقتصادي، وهو الركود الذي ولّد الشعور بالشك والخيبة، مع حوار في بنيات الدولة، مفهوم السلطة، العدالة، جغلول، مرجع سابق، نفسه، ص: 56.63.94.95.

⁴ - ابن حجر، إنباء الغمر، مصدر سابق، ج2، ص: 135، وأيضا ينظر علي أواميل، مرجع سابق، ص: 154، 157.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

- 2- مواجهة الصدمة الهولائية، لتظهر مواقف ساخطة وعنيدة، ضد من تواطأ مع هولاءكو (صليبيو الغرب المسيحي) الذين أصبحوا خدما لهم وبوابين⁽¹⁾، وبالتالي نشاط المقاومة الحرب المقدسة، وهولا يعكس ردة ابن خلدون الموسوم بعدم النشاط، غير أنه يناضل مثل مجموعات أخرى لخلق وسائل فعالة للحماية والرقي الفكري، عوض عن الشكوى في ما آل إليه الشرق والأندلس⁽²⁾.
- 3- الشعور بالآسي المتعلق بمصير المثقف ومخاطرته في إبداء رأيه وأفكاره بشجاعة باعتباره مرافقا لرجل السياسة، في فترة سيادة الطغيان في المغرب، وواستشراء الفوضى والفساد، واغتصاب للملك في المشرق، مع الاضطرابات في القاهرة⁽³⁾.
- 4- فائدة التعلق بحب الأوطان و الجماعات وإثباتها، فكان ابن خلدون يحرص عليها أثناء تقديمه لدروسه الافتتاحية، أمام هيئة التدريس وكبار الحكام القاهرة المملوكية، متمنيا الوحدة الإسلامية داعيا إليها، لخلق جبهة ضد الخطر الخارجي " مشرقا ومغربا"، الشرق "التتار"، ومن الغرب "الإسبان وحلفاؤهم".
- 5- لذا فهو يبرز فائدة التعلق بحب الأوطان و الجماعات وإثباتها، فكان ابن خلدون يحرص عليها أثناء تقديمه لدروسه الافتتاحية، أمام هيئة التدريس وكبار

¹ - قدّم بنو عمار طرابلس مساعدات كبيرة لصليبي الحملة الأولى، كما ساعدوا بلدوين أمير الرها، ليستلم تاج بيت المقدس، يراجع كمال بن مارس، الظهير الشامي في عصر الحروب الصليبية، من الحملة الصليبية الأولى إلى الحملة الصليبية الثالثة (491-588هـ/1096-1198م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، 2004م، ص:80، رغم أن الفترة تبدو بعيدة نسبيا إلا أن تبعاتها ستبقى تلاحق الأمراء المتواطئون حتى نهاية الحرب الصليبية، مع مرور فترة طويلة.

² - علي أومليل، مرجع سابق، ص:158. وانظر مراسلاته مع ابن الخطيب(ت710هـ/1374م) وتبادل أخبار بلديهما، حتى قبل الرحلة نحو مصر، في العبر، مصدر سابق، ج7، ص:534-542، كما كانت له مراسلات مع كاتب سر سلطان بني الأحمر بغرناطة عبد الله بن زمرك، نفسه، ص:566، وما بعدها، وفيها متقلبات السياسية والثقافة من وجهات نظر جغرافية مختلفة وتاريخية واحدة.

³ - علي أومليل، مرجع سابق، ص:158. وابن خلدون العبر مصدر سابق، ص:566، وما بعدها، في وقت يتعرض المثقف للنفي والسجن والقتل حالات عديدة، مقتل ابن الخطيب، تجربة ابن الخطيب التي أودت بحياته من خلال مؤلفه، "روضة التعريف بالحب الشريف"، ونهاية الغبريني أيضا.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

الحكام القاهرة المملوكية، متمنيا الوحدة الإسلامية داعيا إليها، لخلق جبهة ضد الخطر الخارجي " مشرقا ومغربا"، الشرق "التتار"، ومن الغرب "الإسبان وحلفاؤهم"، على أنه سعى لتمكين هذه الأمنيات بتكثيف مساعيه والتدخل لدى ملوك وأمراء المغرب بالرسائل والهدايا لتقريب وجهات النظر، عملا بتنمية الشعور القومي، وتحبيب السلم والإخاء للمغاربة الذين ينتمي إليهم، ويتمنى تلاحمها وازدهارها⁽¹⁾.

6- كما أنه كان مالكيًا لم يغادر فقهه، وراح يكتب انتماءه له أبا عن جد، ويعرضها مرارا في شتى المنابر، وفي القضاء بأسلوب بارع وتسامح جم دونما تفصيل التفضيل لها عن أقرانها الأحناف أو الشوافع، فابن خلدون شاهد منصف، متصلب تجاه صانعي التاريخ المقربون إليه، أم هم حكام يجب احترامهم في الظاهر⁽²⁾.

7- لقد أفاد ابن خلدون كثيرا من ابن فضل الله العمري في تاريخ قبائل التترك ومواقعهم، فهو مرشده في أصول القبائل وسيرة تيمورلنك⁽³⁾، والإدرسي الذي يسميه ابن خلدون صاحب روجار وابن الأثير دون ذكر اسمه في المقدمة،

8- يدخل تاريخ المغرب ضمن اهتمام المشاركة، والتي يستقونها من المغاربة حال ورودهم على مصر، حجاجا أو علماء، فيعدون المورد الرئيسي لأخبار المغرب، فالسخاوي يكرر في الضوء اللامع في العديد المرات كلمة أرخه بعض فضلاء المغاربة، مثل خالد المغربي، أو أفادني بعض أصحابنا المغاربة⁽⁴⁾، أو من العلماء المغاربة المقيمين بمصر كحال ابن القويحري ركن الدين، كما نقل

¹ - ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج7، ص:534، وما بعدها، وانظر أيضا جغلول، عبد القادر، مرجع سابق، ص:67.

² - ابن خلدون يرفض طلب بيار الطاغية المستولي على اشبيلية إعجابا بابن خلدون مقابل استعادة أملاك عائلته لأبيه. جغلول، نفسه ص:61.

³ - اواميل، مرجع سابق، ص:158.

⁴ - لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص:353.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

المقريزي(854هـ/1442م) عن الرقيق القيرواني(ت418هـ/1028م)، في المواعظ والاعتبار.

ابن خلدون بمصريين الوظيفة والمكائد:

تجمع المصادر أن مدة إقامة بن خلدون بالمشرق كانت طويلة ثلاث وعشرين سنة، تلحقه بعض المطارحات حول مدى ما قدم للتاريخ في الحقبة المصرية؟؟ علما أنه كتب التاريخ العام، والمقدمة المشهورة، انتقاله لمصر، وإذا علمنا أن إقامته تلك المريحة بعد التقلبات السياسية بالغرب وفرت له بعض الوقت لمعالجة بعض التواريخ، وإعادة قراءة وتصحيح ما كتب في تاريخه لينهي عمله كتاريخ كوني⁽¹⁾، بإضافة تاريخ لغير العرب والبربر⁽²⁾، فقد استفاد منه ثلة من علماء مصر المملوكية، وأخذوا عنه منهم، ابن حجر العسقلاني، الذي اعتمد عليه من خلال كتابه إنباء الغمرفي أبناء العمر، في جزئه الأول⁽³⁾، والمقريزي، من خلال كتابه السلوك في معرفة دول الملوك⁽⁴⁾، وكذلك عند السيوطي، حسن المحاضرة⁽⁵⁾، كما أن تأثير ابن خلدون ظهر جليا عند السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ⁽⁶⁾، إلا أنه لم يسلم من انتقادات المشاركة لمؤلفاته خاصة العبر، وحاولوا الإساءة إليه بالحط من سلوكياته

¹ - بجسب الدارسين لتاريخ العبر، فإنه بمقارنة ثلاث نسخ مع بعضها تختلف كل واحدة عن الأخرى بفضل إضافات المؤلف الذي ظل ينقح تاريخه حتى الوفاة، والنسخ التي ذكرها، ابن تاويت الطنجي في التعريف بابن خلدون ورحلته، مصدر سابق، ص:13، هي الأولى لأبي العباس الحفصي، والثانية للملك الظاهر برقوق، والثالثة بعثها لجامع القرويين

بفاس وقفا على طلبه العلم

² - علي أواميل، مرجع سابق، ص:168.

³ - مصدر سابق، ص:93.

⁴ - مصدر سابق، ج3، ق1، ص:324.

⁵ - مصدر سابق، ج1، ص:365.

⁶ - مصدر سابق، ص:43.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

واتهامه بأقذع الأوصاف، إذ لخص لطفي بن ميلاد⁽¹⁾، قراء ابن خلدون، في العهد المملوكي الذي لم يكن رجل العلم المنفرد صنفين هما:

أ- فريق أعجب به منهم المقريزي (766-845هـ/1365-1445م)، الذي يذكره دوما بالإكبار بقوله: قال شيخنا الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله، كما يعد المقريزي، أيضا تلميذ ابن خلدون، فلقد عاصره المقريزي وتلمذ عليه من حيث لا يدر، فهو تلميذه وقارئه الجيد⁽²⁾، ويملك تقريبا شمولية ابن خلدون، كان كثير الإطلاع محبا له، ويبحث أيضا في حقل التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، الذي بحث فيه ابن خلدون⁽³⁾، وصف المقدمة بالنادرة التي لم يعمل مثلها، وهي زبدة المعارف، ونحا نحوه وكتب في مشكلة الخلافة في "النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم"، وإغاثة الأمة بكشف الغمة، وسبب المجاعات ما كان للناس من غفلة ومن الحكام من سوء تديبرهم، وأبدى تأثرا بنظريات أستاذه وشيخه ابن خلدون في الاقتصاد⁽⁴⁾.

كما أعجب به القلقشندي (756-821هـ/1355-1418م) الذي أشاد بمنتجه، الذي يقتبس كثيرا من ابن خلدون في موسوعته صبح الأعشى، وأيضا ابن تغري بردي (813-874هـ/1410-1420م) الذي وافق خط أستاذه المقريزي وامتدحه في ولاية القضاء التي باشرها بحرمة وافرة وعظمة زائدة⁽⁵⁾.

¹ - لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 365، وما بعدها.

² - المقريزي، المواعظ، مصدر سابق، ج3، ص: 18.

³ - جغلول، مصدر سابق، ص: 35، وكذا لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 354، وأيضا محمد عبد الله عنان،

مقالات...، مرجع سابق، ص: 38.

⁴ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته، مرجع سابق، ص: 38.

⁵ - لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 365، وما بعدها.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

ب- أما الفريق الثاني، فهم خصومه، ممن عاصروه، كالجبال عبد الله البشبيشي (762-820هـ/1361-1417م)⁽¹⁾، وهو معاصر لابن خلدون، وناب عن المقريزي في الحسبة، كما أنه ألّف كتاباً في القضاء دَوّن فيه حملاته على المؤرخ، لكن الكتاب لم يصل إلينا⁽²⁾، وقد كان البشبيشي بلا ريب من ألد خصوم المؤرخ وأشدهم وطأة عليه. وقد ذكر عنه أنه كان يملك بيتاً للمتعة على النيل، يمارس فيه الشذوذ الجنسي⁽³⁾.

كذلك نجد ابن حجر (773-852هـ/1372-1449م)⁽⁴⁾، بالرغم من اجتماعه به وأخذ العلوم عليه، وطلب الإجازة منه، فهو يقول لنا في تاريخه أن ابن خلدون مؤرخ بارع ".....ولكنه لم يكن مطلعاً على الأخبار على جليتها ولا سيما أخبار المشرق"، بيد أن ابن حجر يحمل على ابن خلدون بشدة، وينقل في ترجمته كثيراً مما قيل في ذمه وتجريحه⁽⁵⁾، كما انتقص منه لما كان قاصياً بقوله: (أنه باشر القضاء بعسف وبطريقة لم تألفها مصر. وأنه لما ولي المنصب تنكر للناس وفتك في كثير من أعيان الموقعين والشهود، وأنه عزل لأول مرة بسبب ارتكابه التدليس في ورقة ثم ينقل في هذا الموطن كثيراً مما قيل في ذم

¹ - نسبة لبشبيش من أعمال المحلة الغربية، وهو من فقهاء الشافعية، برع في الفقه والعربية. والخط، وناب عن المقريزي في الحسبة، وله كتاب في قضاة مصر، وآخر في العربية، وربما جازف في الكتابة. مات بالإسكندرية، يراجع السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج5، ص:7، وأيضاً المقريزي، درر العقود الفريدة، مصدر سابق، ج2، ص:357-358.

² - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته، مرجع سابق، ص:88.

³ - تفصيل سلوك بن خلدون، عند السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج4، ص:149، علي أواميل، مرجع سابق، ص:168.

⁴ - لطف بن ميلاد، مرجع سابق، ص:345، وما بعدها.

⁵ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج4، ص:146، وما بعدها.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق 4-9هـ/10-15م

المؤرخ وتجريحه⁽¹⁾، وهذه أقوال تنم عن خصومة مضطربة ومبالغة في الانتقاص تنحدر إلى معترك السباب والقذف، ولكن ابن حجر ينقل إلينا منه تلك الفقرات الشخصية اللاذعة، ولا ريب أن في لهجته وأقواله مبالغة وتحامل⁽²⁾.

والركراكي(ت820هـ/1417م) الذي سئل عن ابن خلدون، فأجاب بأنه عري عن العلوم الشرعية، له معرفة بالعلوم النقلية من غير تقدم فيها، غير أن محاضراته إليها المنتهى، وقد امتدت آثار هذه الخصومة الأدبية طوال القرن التاسع الهجري حتى جاء السخاوي (831-902هـ/1427-1491م) في أواخر هذا القرن يردد كل ما ذكره ونقله شيخه ابن حجر في ذم ابن خلدون وتجريحه والانتقاص من أثره، ولكن في لهجة مرة لاذعة تنم عن الخبث، وقصد التشهير والهدم أكثر مما تنم عن قصد النقد الصحيح، إذ لا يصلح تقويم المنتج الفكري بالسلوك الشخصي الذي تبناه الفريق المناوئ⁽³⁾، وهذه الروح المرة اللاذعة تبدو في معجمه⁽⁴⁾، بيد أنه يعترف في كتاب آخر له (بنفاسة) مقدمة ابن خلدون ويبدو أكثر اعتدالا⁽⁵⁾.

¹ - ابن حجر، إنباء الغمر، مصدر سابق، ج 2، ص: 142، يصفه بأنه "ابن خلدون" لما عزل في هذه السنة أهين كثيرا، مصدر سابق، علما أنه لم يؤرخ لسفارة بن خلدون للقاء تيمورلنك، في حين صرح بالإهانة له، وفي ص: 323، من نفس المصدر يؤرخ لوفاة ابن خلدون، بثلاث كلمات هي: "فلم ينبش أن توفي ابن خلدون في هذه السنة" 808هـ، فأية قراءة لذلك؟

² - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، حياته، مرجع سابق، ص: 87.

³ - لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 346، وأيضا محمد عبد الله عنان، مقالات... مرجع سابق، ص: 37.

⁴ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 4، ص: 146.

⁵ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون حياته، مرجع سابق، ص: 87. وما بعدها

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

إن إقامة بن خلدون بمصر بما أنجز في فترة الهدوء، والتدرف الذي لقيه بمصر، بعيدا عن دسائس المغرب، بما نقح من منتج الفكرى، أو ممارسته لمهامه الإدارية، نجد أنه بعيد عن السياسة والزعامة، ما عدا ما قام به من سفارة، في لقاءه تمورلنك، أو محاولاته تقرب سلاطين المغرب بحكام القاهرة، ما عدا ذلك نجده يميل إلى العزلة، بسبب ما لحق به من سحائب الحزن والكآبة بعد فقدته لعائلته، وبعده عن المغرب، وهنا بمصري يعيش في أتون المكائد والدسائس والمؤامرات التي وجدها في مقدمه لما أسعفه السلطان برقوق الذي أبرم مقامه وأنس غربته⁽¹⁾.

بل أكثر من ذلك يدعو إلى العزلة كما قال: "لزم كسر البيت ممتعا بالعافية لابسا برد العزلة"، وقد صرح في أكثر من موضع المؤرخ السخاوي أنه، لازمه كثيرا في بعض عزلاته، فحسن خلقهم معه ومازحهم وباسطهم.

فأين كان بن خلدون معتزلا؟

كانت إقامة بن خلدون في الريف المصري بأرض الفيوم، بعد العزل من القضاء، ومنها أن دعي لتولي منصب القضاء بعد وفاة القاضي المالكي أحمد بن محمد التنسي (801هـ/1399م)⁽²⁾، بقوله: "وكنت مقيماً بالفيوم لضم زرعي هنالك"⁽³⁾، فهل الفيوم مبتدأ العزلة التي يتحدث عنها أقرانه، والتي تصل إلى حد النبز والتشهير؟.

¹ - ابن خلدون الرحلة، مصدر سابق، ص:201

² - سبق التعريف به، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج2، ص:192، وأيضا، وأيضا السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج2، ص:147، وأيضا، ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج7، ص:5، والتنبكتي، نيل الابتهاج مصدر سابق، ص:107-110، ونفسه، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ص:51-53.

³ - ابن خلدون، مصدر سابق، م7، ص:609، 610. وتبعد الفيوم عن القاهرة، وفق الدليل موقع اليوم السابع، بنحو 103 كم.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

لقد كانت إقامته بعد الفيوم، وتوالي مسلسل الويبة والعزل للقضاء حتى وفاه؛ منطلق كلام الخصوم، حسب عنان ، بين الصالحية وجزيرة الروضة، فهو يسعفنا بنصين غاية في الأهمية، من حيث تحديد إقامة ابن خلدون التي تترتب عنها الشبهات، من خلال ما أورده خصم ابن خلدون العنيد، جمال البشبيشي أنه " أنه كان يوما قرب من الصالحية، فرأى بن خلدون متوجها لبيته، ومعه نوابه "، أي أن بيته كانت بالقرب من المدرسة الصالحية التي تؤي مدرسيها من فقهاء المالكية⁽¹⁾.

وأما النص الثاني، ما ذكره ابن حجر أيضا عن البشبيشي، الذي ذكرناه سابقا والذي يذكر أن ابن خلدون بعد ولايته للقضاء في (803هـ/1400م) يقيم بسكن تبسط به على بحر النيل، وأكثر من سماع المطربات⁽²⁾، ومنه نصل إلى أن ابن خلدون كانت إقامته بالفيوم للزراعة، أثناء الإعفاء من الوظيفة ، ليقوم بين الفينة والأخرى في مسكن على جزيرة الروضة، علما أن جزيرة الروضة كانت قريبة من المدرسة القمحية التي يدرس بها ابن خلدون دون انقطاع⁽³⁾، وهي بناية مكتملة ألحقت بالبلاط سكنها السراة، خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، أما مثوى ابن خلدون الأخير ، فإنه كان بمقبرة الصوفية خارج باب النصر.

وقد كان أثر ابن خلدون واضحا على المدرسة التاريخية المصرية في العصر المملوكي، فقد ترك أثرا كبيرا في ميدان التاريخ من خلال مقدمته الشهيرة التي ضمنها آرائه ونظرياته من خلال تفاعل العوامل السياسية والاجتماعية

¹ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، حياته، مرجع سابق، ص96.

² - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج4، ص:146

³ - محمد عبد الله عنان، ابن خلدون، حياته، مرجع سابق، ص:100، وما بعدها

الفصل الثالث....دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

والنفسية، وبذلك وضع الأسس المنهجية العلمية للتاريخ كعلم وجعل ذلك مرتبًا ارتباطًا مباشرًا سمي فيما بعد بعلم الاجتماع⁽¹⁾.

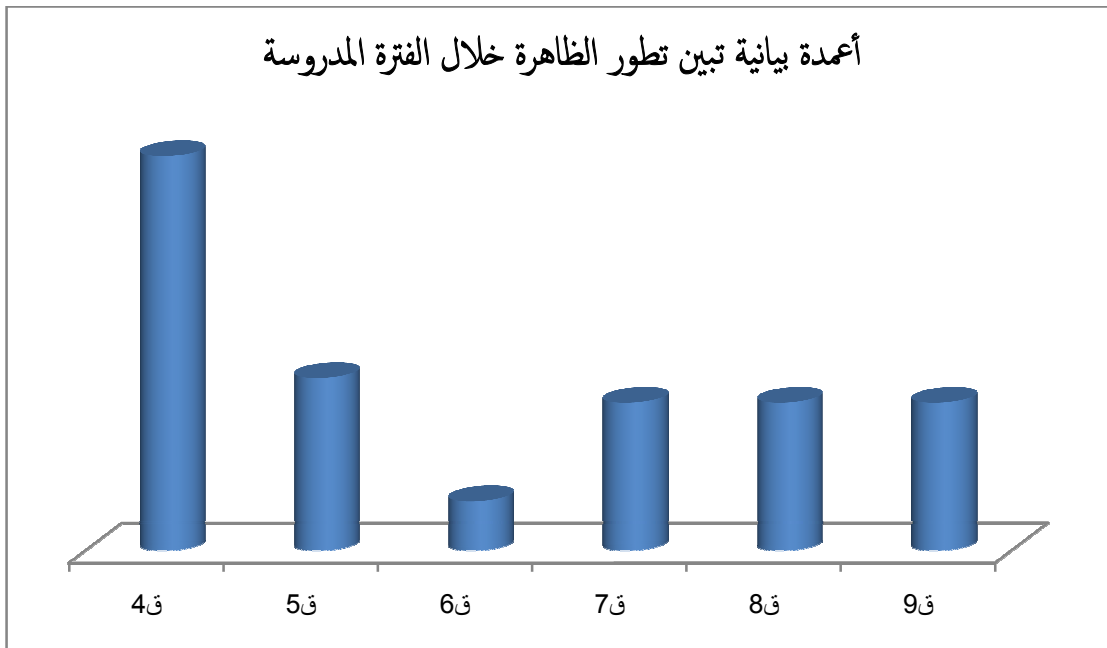
¹ - ابن تغري البردي: المصدر السابق، ج 9 ، المقدمة، ص 8 .

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

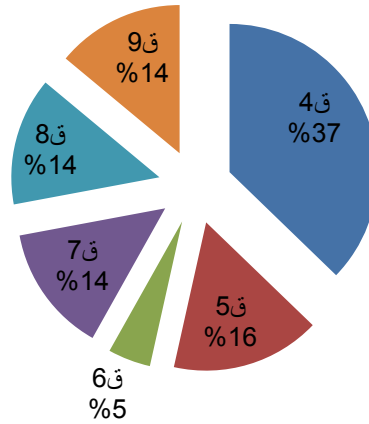
ق4-9هـ/10-15م

9	8	7	6	5	4	القرون
6	6	6	2	7	16	العدد
14	14	14	5	16	37	النسبة المئوية
						المجموع العام
						43

جدول يبين توزيع عدد المغاربة بمصر ونسبتهم خلال القرون



الدائرة النسبية لتوزيع الظاهرة عبر القرون



الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

ثانيا: دور المغاربة العسكري "الجهاد والمرابطة"

1- الإشكالات المعرفية والتاريخية:

في الوقت الذي انكفأ العالم الإسلامي على نفسه، وأشاح بوجهه عن الفتح والتوسع، لم تلقى من ضربات موجعة سددها له شرق بدوي، يركب ظهر جوداه، والفرنجة من الشمال استردوا ما كان لهم قبل الظاهرة الإسلامية في شبه جزيرة أيبيريا حيث بدأت مدن الأندلس تهاوى ومجالاتها تضيق، أمام توسع التمدد المسيحي، وحيث ملامح ذلك تتجلى في ركوب التصوف ومظاهر الزهد واتخاذ الرباط لغرض الجهاد في سبيل الله، مغربا أو مشرقا، فكان أن تواجد المغاربة في المشرق وتحديدا في جيوش مصر بعد أن تواجدوا بأرطتها، مثاغر ين جندون أنفسهم لمحاربة أو مراقبة الصليبيين في مناطق الثغور "الحدود"، فعرفوا ب"المجاهدين"، أو المرابطين نسبة للمواقع المحصنة، وهي الرباطات⁽¹⁾ يحدوهم شرف الجهاد ومحاربة الصليبيين.

لكن لا ينبغي بسط الحديث ومعالجة الإشكالية من منظور وفادة مغربية للمشاركة ضد الصليبيين مؤقتا، وهي محل توثيق لكن العناية الكبرى ستتحقق وفق إثبات صحة فرضية التواجد المغربي في الجيش المصري منذ الفتح الفاطمي حتى الحروب الصليبية⁽²⁾، خلال الأيوبيين والمماليك، والمبني على الأفراد المقيمين إقامة دائمة⁽³⁾، لاعتبارات منها:

¹ - كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، مصر، 1995م، ص:223-224.

² - *Recueil des historiens des croisades(historiens orientaux), tom1,Paris , 1869, pp ,25 ,27 ,31, 435,456,495*

³ - علي أحمد، "دور الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية على مسرح الشام ومصر"، الإطار التاريخي للحركة الصليبية، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، 1996، ص:209

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

أ- المغاربة هم في شبه حروب دائمة مع المسيحيين في بلادهم قبل أن تنشب الحروب الصليبية في المشرق⁽¹⁾، فهم بذلك أهل ربط ووثاق ومثاغرة وسواحلهم معرضة لخطر الغزو من صقلية وسردينيا وجنوب إيطاليا، فاعتبر المغاربة وجودهم على الساحل "يعد الرباط فيه جهادا في سبيل الله وقربة إليه"⁽²⁾ لذلك حرصت الدول المغربية في تعبئة السواحل وإقامة المحارس والربط، وشحنها بالحراس، فتفوقت البحرية في الغرب الإسلامي مع نهاية القرن (2هـ/8م)، وزاد قوتها أمام تراجع القوي البيزنطيين، فأصبحت السيادة للبحرية المغربية خلال القرن الثالث والرابع الهجريين، (9و10) الميلاديين⁽³⁾.

ب- تغيير الوضع السياسي في المشرق والمغرب، في أواخر ق5هـ/11م، ففي المشرق، نفذ الصليبيون هجوما كاسحا على المشرق مكونا إمارات صليبية وفقدان بيت المقدس من أيدي الفاطميين، وفي المغرب، كانت دويلات الطوائف بعد سقوط دولة الأمويين بالأندلس، أعقبتهما دولة المرابطين التي انشغلت بالجهاد ضد الإسبان في الشمال والوثنيين في الجنوب⁽⁴⁾.

ورغم ما كان من تنافر مذهبي بين الفاطميين والمرابطين فإن سبل التلاقي الشعبي كثيرة تجمع بين المغرب والمشرق، ولم يعطلها الواقع السياسي وما نتج عنه من سجلات⁽⁵⁾، فوجد الفاطميون بين أهل المغرب فئات ذات

¹ - علي أحمد، نفسه، ص:217.

² - حسين مؤنس، مقدمة كتاب رياض النفوس، مصدر سابق.

³ - وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، منشورات جامعة حلب، سوريا، 1995م، ص:34.

⁴ - أحمد مختار العبادي: "دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي"، البحرية الإسلامية في العصر الأيوبي والمملوكي، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري " 16-20 أكتوبر 1976م " مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2000م، ص:81.

⁵ - نفسه، ص:83.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق 4-9هـ/10-15م

كفاءة عالية ودراية بالملاحة والأمور البحرية المتوارثة منذ عهد الفينيقيين فكان هذا أحد العوامل في قوة بحريتهم ونجاحها⁽¹⁾ وكان لهذا الأسطول ديوان يسمى (ديوان الجهاد) وكان مقره دار صناعة الإنشاء بمصر، ويختص هذا الديوان بإنشاء مراكب الأسطول وحمل الغلال السلطانية والحطب وغيرها والنفقة على رؤساء المراكب ورجالها، ورجال هذا الديوان يسمون (المجاهدون في سبيل الله)، وكان الخليفة الفاطمي يقوم بموادعة الأسطول وتقام لذلك حفلة خاصة توزع فيها النفقة والخلع والألقاب على رجال الأسطول⁽²⁾، فهناك وقائع تدل على وجود متطوعين مغاربة في الجهاد بالمشرق، حيث سعى أمير الجيوش بدر الجمالي، وابنه الأفضل استمالة المغاربة الذين كانوا على وئام مع الفاطميين بمصر، وعلى عقيدتهم؛ لكن الأفضل نجح في استمالتهم له، واستعان بهم في حرب الفرنجة⁽³⁾

وفي عهد الدولة الموحدية التي جاءت على أنقاض المرابطين فتح باب الجهاد للمغاربة متطوعين لتحرير المقدسات برا وبحرا، أيديتها حركة عماد الدين زنكي وابنه محمود في المشرق، وقادهم نجم الدين وأسد الدين، ثم صلاح الدين الذي كانت على يده نهاية الدولة الفاطمية⁽⁴⁾.

بات دور المغاربة جليا في هذه الفترة، وذكرت أسماء ممن شارك واستشهد ودفن بفلسطين، وكان "ابن جبير" الشاهد على ذلك والمسجل

¹ - ابن الأثير، مصدر سابق، ج6، ص:334-335.

² - عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، الإسكندرية، 1968، ص270، وينظر أيضا: أحمد مختار العبادي وآخر، تأريخ البحرية، مرجع سابق ص87 و ص144-145 وما بعدهما.

³ - ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنجة إلا وشهدا حتى استشهد ملثم قصد بغداد ثم دخل مصر ومعه مغاربة حاربوا الفرنجة يراجع ابن الأثير، الكامل، ج1، دار صادر، ص414، كما كان من بينهم من حضر مع شاهنشاه بن أيوب حرب الفرنجة واستشهد على كبر سنه، الفقيه حجة الدين العالم الزاهد يوسف بن دوناس الفندلاوي المغربي، يراجع أيضا، ابن خلكان، مصدر سابق، مجلد2، ص:452.

⁴ - ابن جبير، مصدر سابق، ص:18.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

لأحداثها، جهادا وشهودا على الحركة الصليبية وسهم المغاربة إليهم فيها، حضرته وفاته بالإسكندرية في أوائل ق7هـ/13م؛ حتى اعتقد أنه المدفون في مقام سيدي جابر تحريف لاسمه، في حين كانت الكتابات التاريخية عن مشاركة البحرين المغاربة⁽¹⁾ في مهاجمة سفن الصليبيين، ثرية، خاصة في العهدين الأيوبي والمملوكي، من حيث رصد البدايات الأولى، لهذا التواجد وتفعيله في الوسط المشرقي، وهو ما يرجح فرضية وقوع بعض المغاربة أسرى في قبضة الصليبيين في منتصف(ق6هـ/12م)، بساحل الشام عندما كانوا في مركب كان يقلهم وهم في 400 شخص رجالاً ونساءً، كان مقصدهم أداء مناسك الحج⁽²⁾، أو أنهم ذهبوا لغرض الجهاد، مما خلق هبة مشرقية كبرى في تخليصهم من الأسر وافتدائهم من أيدي الصليبيين⁽³⁾، هذه الفرضية تعضد رغبة المغاربة الملحة على أن من بواعث توافد المغاربة على المشرق، يمكن أن نذكر لمشاركة إخوانهم في المشرق الجهاد، وتحرير المقدسات، مع ورود احتمالات أخرى لوقوعهم أسرى⁽⁴⁾.

¹ - "تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام" احمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار الأمل، 1972م، ص:130،129،96،81،78 ولنفس المؤلف مقالا، "دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية - ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ احمد فكري" 16-20 أكتوبر 1976م "مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2000 م، ص:85، وللأستاذ علي أحمد ، الأندلسيون في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، مرجع سابق؛ ص:23-44، كما كانت مساهمة عبد المجيد بهيني: "أثر مهاجري المغرب الإسلامي في الحياة العامة بالمشرق خلال القرنين 6 و7 الهجريين، 12 و13 الميلاديين"، المغرب والمشرق العلاقات والصورة - أعمال ندوتي مارس 1994 ونوفمبر 1997م - جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، المغرب، 1999م، ص:19.

وكلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، مرجع سابق، ص.176.

³ - C. Cahen, «Ibn Jobayr et les Maghrebins de Syrie», *Revue de l'occident musulman et de la Médeterannie*, N° 13-14, (1973), p. 208.

⁴ - ابن جبير، مصدر سابق، ص:18.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

2- الدور المغربي في الحروب الصليبية بمصر:

يزعم معظم المؤرخين أن المغاربة بحكم وجودهم على الساحل البحري، الذي يفتح على أوروبا طبعت بأمور البحر، وعلى أنهم من ضمن أمم البحر الرومي، الذي وسيلة الحرب والاتجار هي السفينة، فكانوا مهرة في ركوب البحر⁽¹⁾، حتى أن مؤرخي مصر أشادوا بهم، فالجيش الفاطمي فقد ظل مؤلفا لفترة طويلة من المغاربة بصفة خاصة⁽²⁾ رغم أن عملهم في البحر في العصر الفاطمي حسب زعم أحدهم من قبيل الإكراه⁽³⁾، فأصبحوا محل مدح وإشادة خاصة منهم أهل افريقية⁽⁴⁾، وهذا ما أهلهم ليكونوا قادة الأساطيل في المشرق، لما لهم من مهارة في قيادة السفن ودراية بأهوال الحرب مع الفرنجة⁽⁵⁾، وهو ما يبرر تواجد أعداد كبيرة من المغاربة في العصر الفاطمي، وكذا اهتمام صلاح الدين بالملاحين المغاربة، حتى أنه استجاش بسلطان المغرب، السلطان يعقوب المنصور⁽⁶⁾، وبأسطوله وطلب منه المدد لقطع دابر الفرنجة من الصليبيين عن سواحل الشام، وبعث له سفيرا يحمل هدايا وأطافا⁽⁷⁾.

لما كانت جيوشه في حالة حصار لعكا في لمدينة عكا سنة(587هـ/1191م)، وصله رسول من قبل أحد قادة الصليبيين ومعه أسير مغربي،

¹ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص:266 وما بعدها.

² - كلود كوهن، الشرق والغرب، مرجع سابق، ص:222.

³ - المقرئ، الخطط، مصدر سابق، ج 1، ص368

⁴ - جواتيان، دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1980، ص.245.

⁵ - المقرئ، مصدر سابق، ج 3، ص:105.

⁶ - أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (554-595هـ)، من أعظم سلاطين الموحدين، باني مدينة الرباط، وجامع إشبيلية، ابن خلكان، مصدر سابق، ج 2، ص:428-436، والمقرئ، مصدر سابق، ج 1، ص:109.

⁷ - ابن خلدون، الرحلة، مصدر سابق، ص:263.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

فقدمه إلى السلطان صلاح الدين على سبيل الهدية، فاستقبل الأسير بحفاوة وتقدير لهذا المغربي⁽¹⁾؛ قد يتعلق الأمر بالرايس عبد السلام المغربي الذي تم أسره أثناء حصار قوات صلاح الدين لصور في (583 هـ/1187م)، والذي ذاع صيته في مجال الجهاد البحري، وهو ما أخبر عنه صاحب الروضتين في أحداث دخول الصليبيين؛ ميورقة وأسرهم لأهلها بعد تدميرها، وقدموا بالأسرى إلى ساحل الشام، كان الفكك لبعضهم، وأخبروا بما جرى عليهم⁽²⁾، ولعل هذا الذي دفع بصلاح الدين الأيوبي؛ بذل الرعاية للغرباء المغاربة، فابن جبير يذكر على أنه أقام في آخر أيامه محدثًا بالإسكندرية، التي بها توفي (في 614 هـ/1217م) على أن "صلاح الدين" جعل المسجد الكبير المنسوب إلى أبي العباس أحمد بن طولون؛ مأوىً للغرباء من المغاربة يسكنوه ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر⁽³⁾، وجعلهم يحتكمون لواحد منهم يختارونه لأنفسهم يمثلون أمره ويتحاكمون في طوارئ أمورهم عنده⁽⁴⁾، ومن دلائل الوجود الكبير للمغاربة بالمشرق، ومساهماتهم في الحروب الصليبية مع إخوانهم، تواجد كبير من الأسرى المغاربة المجاهدين، فمدّت إليهم أيادي أهل المشرق، لافتكاكهم، لأن ذلك عندهم من سبيل الدرجات العلى والقربات من الصدقات لديهم⁽⁵⁾.

¹ - العماد الكاتب الأصفهاني (ت597هـ/1201م)، إشارة للعماد الأصفهاني أوردها علي أحمد، مرجع سابق، ص. 304.

² - أبو شامة، الروضتين، مصدر سابق، ج2، ص: 18، والمقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج1، ص: 45.

³ - ابن جبير، مصدر سابق، ص: 20 وما بعدها، وأيضاً، راج أولاد ضياف، الجراية في الدولة الإسلامية، من صدر الإسلام حتى سقوط بغداد (1هـ-656هـ/622-1258م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014م، ص: 216، 238.

⁴ - ابن جبير مصدر سابق، ص: 9.

⁵ - نفسه، ص: 20، 18، وكذا العبادي، دور المغاربة، مرجع سابق، ص: 85.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

في الجانب الآخر يفرض الصليبيون على المغاربة ضريبة خاصة، لما يمرون عليهم في الخفارة؛ من سبل التضيق عليهم ومعاقبتهم على مشاركة إخوانهم في الغزو مع محمود زنكي، في مجابهة الصليبيين⁽¹⁾.

وحسبنا إشارة العماد الاصفهاني، لوجود شخصية مغربية صاحبت صلاح الدين الأيوبي، وهو الأمير عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس، الذي يروي أن لما مرض صلاح الدين مرضاً شديداً في (582هـ/1186م)، أنذر إن شفي من مرضه؛ ألا يقاتل أحداً من المسلمين، وإن ظفر بالبرنس⁽²⁾ أرناط⁽²⁾، (*Renaud de carillon*)، تقرب به لله⁽³⁾، وكان له ذلك.

المشاركة المغربية لم تقتصر على الجبهة البرية فحسب، فلقد أشار أيضاً ابن جبير على أن "الحملة البحرية، تواجد فيها المغاربة، فلقد قاد حسام الدين لأولاً ضد الصليبيين على عهد صلاح الدين واحدة منها، حيث كانت تضم عدداً كبيراً من أجناد المغاربة البحريين⁽⁴⁾، وأكثر من ذلك؛ أن وحدات الأسطول المصري التي هاجمت أساطيل الصليبيين في مدينة صور أيام صلاح الدين، كانت بقيادة قائد مغربي، يدعى عبد السلام المغربي⁽⁵⁾، وهذا ما يدل لنا على علو

¹ - ابن جبير، مصدر سابق، ص:275، ولربما تاريخ استشهاد يوسف بن دانوس الفندلاوي الفاسي، في (543هـ/1148م، بداية المساهمة المغربية في الشام، ابن خلكان، مصدر سابق، م2، ص:452، وأيضاً يراجع، أحمد على، "دور الأندلسيين والمغاربة" مرجع سابق، ص:218، 219.

² - المعروف بأرناط في المصادر العربية، صاحب حصن الكرك جنوبي فلسطين، شحنه بالرجال والعتاد ومضي لعيذاب فقطع الطريق على التجار، وعظم البلاء بالقتل والسلب، فعزم صلاح الدين للانتقام منه، أبو شامة، مصدر سابق، ج2، ص:35.

³ - نفسه، ج2، ص:80.

⁴ - ابن جبير، مصدر سابق، ص:260، 28.

⁵ - أبو شامة، مصدر سابق، ج2، ص:119.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

مكانة المغاربة عالية لدى المصريين وحكامهم، وبخاصة عندما تسند إليهم مناصب قيادية في معارك حاسمة ضد الصليبيين منذ وقت مبكر، فإدارة الأساطيل البحرية من طرفهم كان منذ العصر الفاطمي وبعده الأيوبي والمملوكي⁽¹⁾.

ولا يستبعد أن تكون أعداد كبيرة منهم، قد شاركت إلى جانب الجهاد في أعمال أخرى، مثل الطبخ وتجهيز الطعام للجيش⁽²⁾، وحتى سفارة صلاح الدين الأيوبي لعاهل المغرب يعقوب المنصور (586هـ/1190م) والتي رأسها عبد الرحمن بن منقذ، لطلب مساعدات بحرية، تغني السائل على دراية المغاربة وتضلعهم في العمل البحري، الذي اقتصوا به⁽³⁾.

لم تتوقف استعانة الأيوبيين في القرن 7هـ/13م، بعد وفاة يستمر بالعناصر المغربية في أساطيلهم، إذ لجأت الدولة المصرية في تجنيد المغاربة المقيمين في مصر للعمل بالأسطول، اعتباراً من معرفتهم بمعاناة الحرب والبحر⁽⁴⁾.

كما ارتفعت مكانة المغاربة في العصر المماليك⁽⁵⁾ البحرية، وكان يلبغا الخاصكي⁽¹⁾ (ت 802هـ/1391م) يقدر دورهم ويعتبرهم فرسان البحر، وكان يكثر

¹ - تذكر المصادر المغربية والمشرقية على السواء بالعديد من الإشارات التي تخص اشتراك المتطوعين المغاربة في جيش نور الدين محمود بن زنكي وفي جيش صلاح الدين الأيوبي في حروبهما البرية ضد الصليبيين، راجع في هذا الصدد ابن جبير، المصدر السابق، ص: 247 و253؛ وابن الزبير، صلة الصلة، نشر بروفنصال، الرباط، 1938م، ص: 218، وابن الأثير، مصدر سابق، م9، ص: 353.

² - المقرئزي، السلوك، مصدر سابق، ج1، ق1، ص94.

³ - العبادي، دور المغاربة، مرجع سابق، ص: 89.

⁴ - المقرئ، مصدر سابق، ج3، ص: 111-112.

⁵ - لم يمض على قيام دولة المماليك سوى 40 سنة حتى تمكنت من طرد الصليبيين هائياً، راجع: *Georges*

Marçais, la Berberie musulmane et l'orient en moyen âge, paris 1946, p31-40

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

يكثر من المغاربة على المراكب، في حين كان رئيس دار الصناعة بالإسكندرية إبراهيم التازي المغربي، الذي عرف ببطولاته في الجهاد ضد الصليبيين⁽²⁾.

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس، أرسل أسطولاً بحرياً لغزو جزيرة قبرص، يقوده جمال الدين مكى بن حسون (في 669هـ/1270م)، الذي حاول أن يخدع العدو؛ برسم صليب على ظهر السفن، إيماناً بأن الحرب خدعة⁽³⁾ إيهاما منه للعدو أنها سفنهم، وبالرغم من هزيمة جيش الظاهر مع الصليبيين، إلا أنه واصل حربه ضدهم.

ولقد تزعمت جزيرة قبرص أعمال الحرب الصليبية ضد المسلمين، واستعادة بيت المقدس، بقيام ملكها بطرس لوزجنان بغارة وحشية على الإسكندرية⁽⁴⁾، في محرم 768هـ/أكتوبر 1365، كما يرويها النويري السكندري الأندلسي (ت بعد 775هـ/1372م)، وهو أندلسي الأصل حسب رواية ابن حجر في الدرر الكامنة⁽⁵⁾، حيث نجح الصليبيون في اقتحام المدينة وقتلوا عدداً كبيراً من رجالها ونساءها وعائوا في المدينة تخریباً ونهباً لأسبوع كامل، وانسحبوا في

¹ - كان من كبار أمراء الأتابك وولي إمارة حلب زمن برقوق، منذ (792هـ/1387م) بعد أن عزله برقوق خوفاً منه، وكان من مبتدأ أيامه من أيام الملك حسن إلى آخر عمره على فتنة وسوء تدبير رأي وشؤم، أطاح بالسلطان برقوق وسجنه بالكرك، ثم كانت عليه الدائرة بعد فترة برقوق الثانية، يراجع ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج12، ص:33.

² - العبادي وآخر، تاريخ البحرية، مرجع سابق، ص:130.

³ - نفسه، ص:90.

⁴ - ينبغي الإشارة إلى أن مدينة الإسكندرية كانت وثيقة الصلة بالمغرب حتى عرفت بباب المغرب، وأن عدد الفقراء من المغاربة بها بلغ أكثر من ألف شخص يتقاضون جواميك من الحكومة المصرية، يراجع سعد زغلول الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع السكندري في العصور الوسطى، مرجع سابق، ص:262.

⁵ - ابن حجر العسقلاني، الدرر مصدر سابق، ج4، ص:142، وأيضاً، العبادي، "دور المغاربة"، مرجع سابق، ص:92.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

سفهم بعد النهب والسلب⁽¹⁾، وكانت وقعة عظيمة حركت مشاعر الحزن لدى الأدباء والشعراء⁽²⁾ الشعراء منهم الشاعر المغربي، أحمد بن أبي حجلة التلمساني(725-776هـ/1325-1375م)⁽³⁾، الذي عبر عن ذلك مشيدا بمجاهدي المغاربة ويرثي الإسكندرية:

وحقق عندي للفرنج مكائد
فلمن لي بفرسان الجزيرة عندما
ومن لي بأسطول أهل سبتة
فليتولى الأمر يدري ما أدري
تعامل أهل الكفر في البحر بالفجر
بغربانهم مثل النسور إذا تسرى

فكان إن استشرى الغضب وعم المشرق والمغرب، ففي مصر تحديدا، عمت حركة جمع الأموال وإعداد الأساطيل والسفن، فسارع المغاربة إلى تقييد أسمائهم بأجر معلوم للعمل في هذه الأساطيل، حتى أن مجاهدا مغربيا كان قد عرض على أمير الإسكندرية سيف الدين الأكرز سلاحا جديدا عن قدور كفيات صغيرة من الفخار مملوءة جييرا ناعما مطفية بالبول بوزن رمانة بحال القبلة اليدوية اليوم⁽⁴⁾، جرّبناها على علوج في البحر لم تنفعنا سهامنا ولا كلاليننا، إنما أنقذنا منها سلاح المغربي بتلك القدور، التي أصبحت كثيرا ترمى بها

¹ - محمد بن القاسم بن محمد النويري الإسكندراني، كتاب الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمر المقضية في وقعة الإسكندرية، ج4، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن حيدرآباد الهند، 1970م، ص: 179، وكذا العبادي، أحمد مختار، دور المغاربة، مرجع سابق، ص92.

² - يذكر ذلك ابن خلدون في العبر، مصدر سابق، ج7، ص: 538، من خلال رسالة ابن الخطيب إلى سلطان تونس، ص: 538.

³ - أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، أبو العباس، شهاب الدين بن أبي حجلة، عالم بالأدب شاعر من أهل تلمسان، سكن دمشق، وتولى مشيخة الصوفية بصهرج منحك بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون، كان حنفيا يميل لمذهب الحنابلة، ويحط من ابن الفارض، له أكثر من ثمانين مصنفا، منطلق الطير وديوان الصبابة، وسكردان السلطان، يراجع، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م، ج1، ص: 994.

⁴ - عبد المجيد بهيني، مرجع سابق، ص: 28 وما بعدها.

الفصل الثالث..... دور المغاربة في الحياة السياسية والإدارية والعسكرية بمصر

ق4-9هـ/10-15م

المنجانيقات، بعد حصولها على التطوير⁽¹⁾، خلصنا منهم أسرى مسلمين تجارا وحجاجا، كما يورد النويري؛ مآثر للمغاربة في محاربة الفرنجة؛ بقوله إن الفرنج: "...ليس يقهرهم سوى المغاربة، ذلك لمخالطتهم لهم بجزيرة الأندلس، يعرفون طرق حربهم وطعنهم وضرهم في بروجهم⁽²⁾).

ولا تزال جزيرة قبرص وحكامها يتواطئون مع الصليبيين في إغارتهم على المسلمين في البحر المتوسط ، وبات واجب الممالك الحد من نشاطها، وقطع دابر الصليبيين الغزاة، لتحين فرصة للسلطان المملوكي بارسباي فتح المدينة وأسرها ملكها جانوس لوزجان سنة (829هـ/1426م)، أي بعد 30 سنة من العدوان على الإسكندرية⁽³⁾، وأضححت قوة الممالك هي القوة الوحيدة التي تسيطر على العالم الإسلامي⁽⁴⁾.

¹ - النويري السكندري، مصدر سابق، ج4، ص:180.

² - النويري السكندري، نفسه، ص:182.

³ - العبادي، " دور المغاربة"، مرجع سابق، ص:98.

⁴ --Heyed (W), Histoire du commerce de Levant au moyen âge, Paris 1885, p23-

الفصل الرابع
دور المغاربة بمصر في الحياة العلمية و الفكرية
(ق 5-9هـ/10-15م)

أولا- في العلوم النقلية

ثانيا- في العلوم العقلية

ثالثا- الانتقال المذهبي لبعض الأعلام المغاربة

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية :

أولاً: دور المغاربة في العلوم النقلية:

وهي العلوم التي ترتبط بمعرفة المسلم لكل ما يتعلق بدينه، وتُقرَّب من ربه على اختلافها، يتهيأ له الإمام باللغة العربية الضامنة لتطوره، ويرد ارتباط ذلك بتفعيل الحركة العلمية، في أمصار الدولة الإسلامية، كان للمغاربة بمصر حظوة ملامها الاحترام وزينها بما قدّم من إضافات، تثري أو تفوق الساحة العلمية، فكانوا محل تبجيل وتقبل شعبي ورسعي، مكنتهم من تحقيق بعض الثراء⁽¹⁾، وامتلاك العقارات، نتيجة المقابل من المال جزاء تأدية وظيفته في التدريس، أو الخطابة، أو القضاء.

1- القراءات:

المقصود بها معرفة القراءات، طرق تجويد القرآن وإتقان قراءته، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة"⁽²⁾، وعلى ضوء الحديث اجتهد من خلالها المقرئون وضع طرق سبعة لقراءة القرآن، ثم الحقوا بها ثلاث، حيث تجردوا لكتاب الله بالتجويد والترتيل، لغرض التدبر كما أنزل⁽³⁾، بينما يختص التفسير الذي "سنعالجه لاحقاً" بإظهار ألفاظ القرآن الكريم، وأسباب النزول، بعد التعريف بالأسانيد التي تلحقه بالرسول صلى الله عليه وسلم.

المقرئون في مصر: يعتبر الإمام ورش أبو عمرو عثمان بن سعيد (ت197هـ/812م) الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء في زمانه بديار مصر، من أهم مقرئي

¹ - مقولة الشاذلي: "ذهبت أيام المحن وأقبلت أيام المنن"، يراجع نور الدين محمد دنياجي، مرجع سابق، ص: 38 وما بعدها، وانظر أيضاً

² - مسلم، الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه، رقم الحديث (798)

³ - ابن الجزري، أبو الخير محمد بن أحمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، راجعه محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 2002م، ص: المقدمة.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

مصر، لميزة صوته، وتضلعه في اللغة العربية والنحو⁽¹⁾، علما بأنه أخذ القراءة عن
أستاذه نافع المدني⁽²⁾

المغاربة والقراءات:

اهتم المغاربة بالبلاد المصرية بعلم القراءات اهتماما كبيرا، منذ(ق4هـ/10م)⁽³⁾،
وذلك راجع لرواجها عندهم بديارهم بالغرب الإسلامي⁽⁴⁾، بمجهود أبي عثمان عمر بن
سعيد الداني(ت404هـ/1014م)، بالأندلس، وقد كانت له رحلة علم وحج، أخذ عن
علماء المشرق، وأقام سنة بمصر التي أخذ فيها عن الشيخ خلف بن إبراهيم
الدسوقي(ت402هـ/1012م) الذي اعتمد عليه قراءة ورش عن الأزرق⁽⁵⁾، وقد وضع
كتابه، أسماه "جامع البيان"، وأضاف إليه كتاب "التيسير"، الذي كان المادة الأولية
لجمهور القراء في المشرق والمغرب، وارتبطت القراءات بالداني، كما ارتبط النحو بسبويه،
والبخاري بالحديث⁽⁶⁾، وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت إليه رواية
أسانيدها، وعدل الناس عن غيرها وعولوا على كتاب "التيسير"⁽⁷⁾.

¹ - ابن الجزري، أبو الخير محمد بن أحمد الدمشقي، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق،
برجستراير، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ص: 502 وما بعدها.

² - نفسه، ج2، ص: 330-334، وللإستزادة عند الذهبي في السير، مصدر سابق، ج1، ص: 336-337،
وكذا ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج1، ص 270.

³ - كان مجاهد مولى العامرين معتمدا من طرف المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعليمه، في حضرة أئمة
القراءة، يراجع، ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص: 468، وكذا انخل جنثال بالنيثيا، تاريخ الفكر
الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص: 405، 406.

⁴ - اشتهر بالأندلس كبير القراء أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي(ت437هـ/1046م) وله في هذا المجال
كتاب التبصرة، يراجع المقرئ، مصدر سابق، ج3، ص: 179.

⁵ - محمد المختار ولد أباه، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، منشورات، أيسيسكو، مطبعة بني
إيزناسن، المغرب، 2001م، ص: 253.

⁶ - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، مصدر سابق، ج1، ص: 58 وما بعدها، وأيضا، محمد المختار
ولد أباه، مرجع سابق، ص: 251.

⁷ - انخل بالنيثيا، مرجع سابق، ص: 406.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

في حين اشتهر بإفريقية، أبو جعفر محمد بن خيرون (306هـ/918م)، الأندلسي القرطبي، شيخ القراء بالقيروان واضع كتاب "الابتداء والتمام" وكتاب "الألفات واللامات"، وهو إمام في قراءة نافع عن ورش، وقد ورث القراءة من بعده لابنيه؛ عليا ومحمد⁽¹⁾.

كما اشتهر بالقراءة أيضا أبو الحسن علي بن محمد القاسبي (ت 403هـ/1013م)، إذ رحل للمشرق سنة (352هـ/963م)، حاجا ثم دخل مصر وسمع بها الحديث، وعاد بعلم وفير، بحيث أقرأ الناس بالقيروان دهرا، وقد اعترف له أهلها بفضلها وعلمه وورعه وزهده، ترك توالييف عديدة⁽²⁾.

وكان من أوائل من دخل مصر من علماء القراءات من المغاربة، محمد بن عبد الله القرطبي الذي كان عالما بالقراءات وبصيرا بالعربية⁽³⁾، كما عمل المقيمون منهم بمصر بعد ذلك؛ على إثرائه بالمنتج الفكري والتأليف فيه، والتععيد له بمؤلفات وضعت للطلاب والمهتمين، فضلا عن إجادة قراءته في المساجد والمناسبات، كما في الجدول التالي:

¹ -المغربي شيخ الإقراء بالقيروان رحل وقرأ على إسماعيل النحاس وأبي بكر بن سيف ومحمد بن سعيد الأنماطي وعبيد بن محمد المعروف برجال وحذق في قراءة ورش وله مسجد بالقيروان منسوب إليه قال أبو عمرو الداني روى القراءة عنه عامة أهل القيروان وسائر المغرب فممن اشتهر بالنقل عنه ابنه محمد وعلي وأبو جعفر أحمد بن بكر وأبو بكر الهواري وعبد الحكم بن إبراهيم، يراجع أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسألكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج2، تحقيق بشير البكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1994م، ص: 52 وما بعدها، وانظر أيضا، ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق، ج1، ص: 169، أحداث سنة 300هـ، وأيضا، الدباغ، مصدر سابق، ج2، ص: 160، وما بعدها، وأنظر أيضا، محمد المختار ولد أباه، مرجع سابق، ص: 189، وما بعدها.

² -عالم المغرب، كان عارفا بالعلل والرجال، والفقه والأصول والكلام، مصنفا يقظا دينا تقيًا، من أشهر كتبه، ملخص الموطأ، والممه، ومناسك الحج، والمنقذ من شبه التأويل، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، يراجع، الذهبي، سير أعلام، مصدر سابق، ج17، ص: 159، وأيضا، الحميدي، مصدر سابق، ص: 60، وكذا الدباغ، مصدر سابق، ج3، ص: 136، وما بعدها.

³ - تتلمذ على الإمام ورش تلميذ نافع، يراجع الحميدي، مصدر سابق، ص: 55، وأيضا سامية مصطفى مسعد، المغاربة ودورهم الثقافي في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين للبحوث والدراسات الإنسانية، مصر، 2002، ص: 8.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

الرقم	اسم الشخصية	الوظيفة والعمل	الإقامة
1.	أحمد بن محمد القيسي الجراوي (ت407هـ/1016م) ⁽¹⁾	مقريء خرج من الأندلس زمن الفتنة وقصد مصر وتصدر للإقراء	مصر
2.	إبراهيم بن ثابت بن أخطل أبو إسحاق اقليش (ت432هـ/1041م) ⁽²⁾ .	القراءات	مصر
3.	إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران الأنصاري الأندلسي (ت455هـ/1063م) ⁽³⁾	مارس القراءة بجامع عمرو بن العاص، تخرج على يده جمهور القراء، ألف كتاب الاكتفاء، ومختصر الحجة لأبي علي الداني، كما ألف أيضا كتاب العنوان ⁽⁴⁾ .	القاهرة
4.	الحسن بن خلف القيرواني (ت514هـ/1121م) ⁽⁵⁾	علم القراءات ألف كتابا سماه العبارات في القراءات	الإسكندرية ق6هـ/12
5.	عبد الرحمن بن عتيق الصقلي الأندلسي (ت516هـ/1123م) ⁽⁶⁾	رئيس الإقراء، كما ألف كتاب التجريد في القراءات ⁽⁷⁾	بالإسكندرية

¹ - ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص:38

² - نفسه، ج1، ص:89-90.

³ - ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج1، ص:164.

⁴ - ابن الجزري، النشر، مصدر سابق، ج1، ص:6.

⁵ - السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص:494، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:68.

⁶ - السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص:495.

⁷ - شرحه ابن الجزري في كتاب أسماه التقييد في الخلف بين الشاطبية وتجريد في القراءة، يراجع ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج1، ص:374 وما بعده، ومقدمة تقريب النشر في القراءات العشر لنفس المؤلف، تحقيق عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص:7.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

6.	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأموي المعروف بالنقاش (ت 529هـ/1135م) ⁽¹⁾	نزل مصر وقعد للإقراء في مسجد عمرو بن العاص إلى وفاته.	مصر
7.	ابن الخُطَيْئة أبو العباس أحمد بن عبد الله الفاسي (ت 560هـ/1164م) ⁽²⁾ .	أخذ القراءات السبع تصدر للإقراء سكن مصر	سكن مصر
8.	محمد بن عمر بن مالك الفاسي (ت 574هـ/1178م) ⁽³⁾ .	سمع بالإسكندرية، ثم تصدر للإقراء بها	الإسكندرية
9.	أبو القاسم محمد بن فيرة الشاطبي (ت 590هـ/1194م) ⁽⁴⁾ .	صاحب "حزر الأمانى ووجه التهاني" و"العقبة" وغيرهما مجدد ومؤلف، اختصر قواعد أبي عمر الداني، في قصيدة الشاطبية التي بلغت 1173 بيتاً ⁽⁵⁾	درس بالمدرسة الفاضلية القاهرة

¹ - المقري، مصدر سابق، ج 2، ص: 271-272.

² - ابن الجزري، غاية النهاية، ج 1، مصدر سابق، ص 71-72، وأيضا الذهبي، الأعلام، مصدر سابق، ج 20، ص 344، والسيوطي مصدر سابق، ج 1، ص 453، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 4، ص: 188.

³ - ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج 2، ص 192-193.

⁴ - دخل مصر (سنة 572 هـ/1176م)، وتوفي بالقاهرة يوم الأحد 28 جمادى الآخرة 590 هـ/1194م ودفن بالتربة الفاضلية بسفح المقطم، يراجع المقري، مصدر سابق، ج 2، ص: 196-198، وكذلك وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 4، ص: 301.

⁵ - أنخل بالثنيا، مرجع سابق، ص: 406.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

10.	محمد بن عبد الرحمن بن إقبال المغربي(ت601هـ/1205م) ⁽¹⁾ .	نزل قوص وأقرأ بها القراءات، وتصدر بها ⁽²⁾ .	قوص.
11.	عبد السلام بن علي الزواوي ⁽³⁾ .	قدم القاهرة في 614هـ/1217م	بين القاهرة والشام
12.	أبو العباس أحمد بن محمد الأندلسي (ت623هـ/1227م) ⁽⁴⁾	القراءات	القاهرة
13.	عيسى بن عبد العزيز الشريشي(ت629هـ/1232م) ⁽⁵⁾	شيخ القراء بالإسكندرية ألف "كتاب الجامع الأكبر والبحر الأزخر في روايات القراء"	الإسكندرية
14.	محمد بن عمر القرطبي(ت631هـ/1223م) ⁽⁶⁾ القرطبي(ت631هـ/1223م) ⁽⁶⁾	درس علم القراءات	المدرسة الفاضلية القاهرة
15.	عبد الغفار السبتي، قرأ عليه الحسن بن عبد الرحيم القناوي، الشاطبية (حرز الأمانى) ⁽⁷⁾ .	مقرئ	مدينة قنا

¹ - ابن الجزري، غاية النهاية، ج2، مصدر سابق، ص142، والأدقوي، الطالع السعيد الجامع نجباء أبناء الصعيد، تحقيق حسن محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1966م، ص:529.

² - أخذ عنه عدد كبير من قراء الصعيد، فهو مؤسس مدرسة القراءات بالصعيد، يراجع يسري أجمد عبد الله زيدان، المرجع السابق، ص:301-316.

³ - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، مصدر سابق، ج7، ص265، مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص:458.

⁴ - العيفة حاج، مرجع سابق، ص:228.

⁵ - ابن العماد، مصدر سابق، ج7، ص:234، وابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج1، ص:537، وما بعدها، وكذلك الذهبي، الأعلام، مصدر سابق، ج5، ص:116-117.

⁶ - ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج2، ص:219.

⁷ - الأدقوي، مصدر سابق، ص:203.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

16.	احمد بن علي الأندلسي (ت 640هـ/1243م) ⁽¹⁾	القراءة اشتهر باختصاره كتاب التيسير وشرح الشاطبية	الفيوم
17.	الصوفي الشهير أبو الحسن علي الششتري (ت 668هـ/1270م) ⁽²⁾ .	كان مجود للقرآن قائما عليه عارفا بمعانيه	دمياط
18.	محمد بن محمد الغرناطي ⁽³⁾ .	اشتغل بعد 730هـ/1329م، تخرج على يده كبار أهل العلم	القاهرة
19.	محمد بن عبد الله بن لب القرشي(ت754هـ/1353م) ⁽⁴⁾	تصدر بمصر لأنواع العلوم، ومقرئ بطندبا المحلة	بلدة طنندبا- المحلة
20.	محمد بن محمد الغماري (ت 802هـ/1400م) ⁽⁵⁾	رئيس مشيخة الإقراء الشيخونية بالقاهرة	القاهرة
21.	أحمد بن عيسى المغربي(ت 827هـ/1427م) ⁽⁶⁾ .	تدريس القراءات وطرقها	الأزهر
22.	سـرور بن عبد الله المغربي(ت845هـ/1442م) ⁽⁷⁾ .	تدريس القراءات	الإسكندرية

¹ - المقري، مصدر سابق، ج 2، ص: 137، وأيضا السيوطي، مصدر سابق، ج 1، ص: 501.

² - المقري، مصدر سابق، ج 2، ص: 325-327.

³ - ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج 2، ص: 240.

⁴ - ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج 2، ص: 164، وأيضا سامية مصطفى مسعد، المغاربة ودورهم الثقافي في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين للبحوث والدراسات الإنسانية، مصر، 2002، ص: 8.

⁵ - ابن الجزري، غاية النهاية، مصدر نفسه، ج 3، ص: 245.

⁶ - السخاوي، مصدر سابق، ج 2، ص: 59.

⁷ - نفسه، ج 3، ص: 245.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق 4-9هـ/10-15م)

استنتاجات

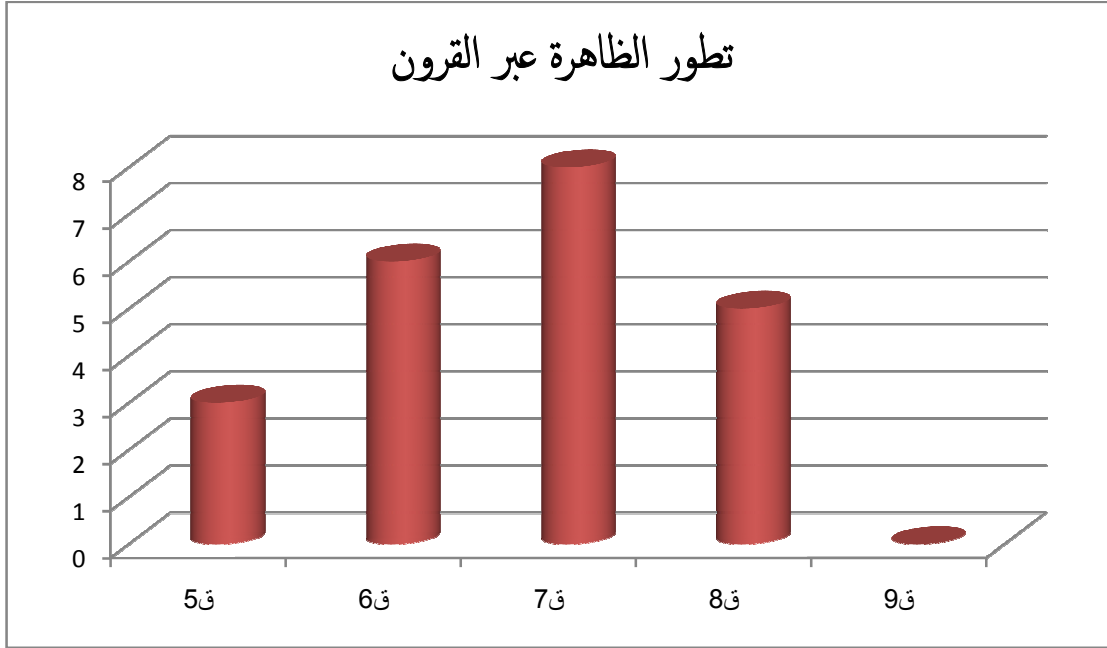
عدد معتبر من المغاربة نزلوا مصر للتلقي والإقراء، فكونوا مدارس للقراءات منها - مدرسة الإسكندرية: ممر المغاربة للحج والتجارة والتعلم، وهي مدينة سنوية، بها مدرستان سنيتان، لفقهاء كبيرين، ابن عوف والسلفي، المناهضين للفكر الشيعي، شارك المغاربة ابن عوف، "الفقيه والمحدث والمقريء"؛ القراءات بعدما أخذوا عنه⁽¹⁾. ومدرسة الصعيد: لشهرة مدارسها، وذيوخ صيت علمائها، خاصة مركزها قوص محطة ملتقى الحجاج المغاربة والمصريين، وبعدها عيذاب غدوا ورواحا، انتشر القراء المغاربة، وبسطوا علم القراءات خارج المدينتين المذكورتين، فكانوا بالفسطاط، والقاهرة، الفيوم، ودمياط أيضا، ولتمثيل الظاهرة بيانيا نعد لتحويل معطيات الجدول التالي، وفق الأعمدة البيانية والدوائر النسبية

القرون	4	5	6	7	8	9
العدد	0	3	6	8	5	0
النسبة	0	19	25	33	23	0
العدد الإجمالي	22					

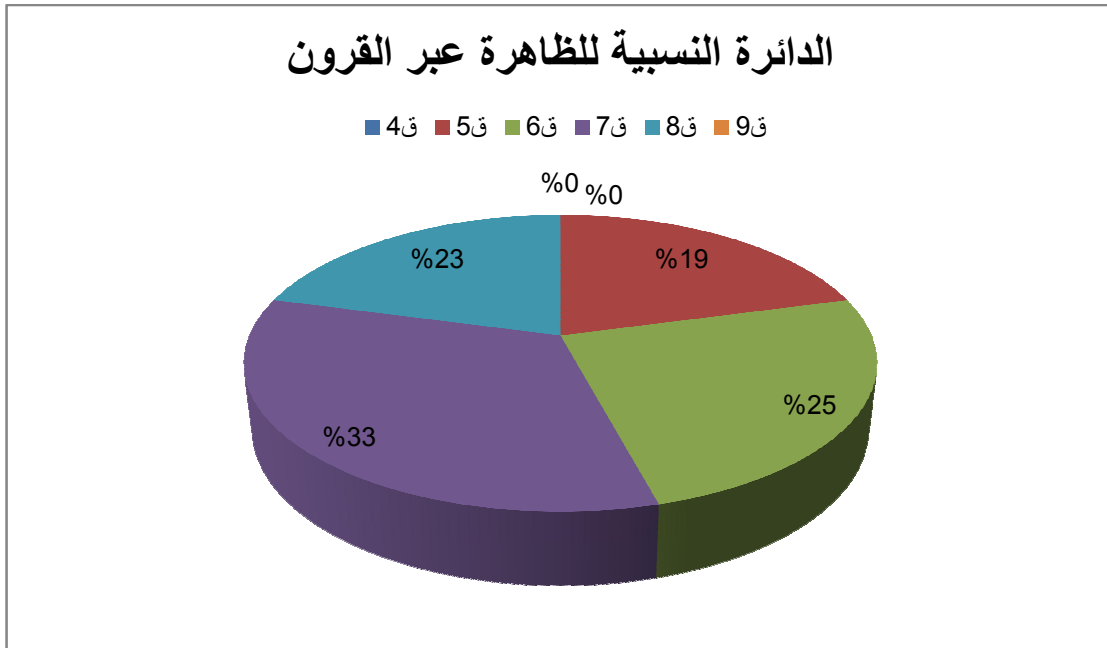
عدد المقرئين المغاربة بمصر خلال الفترة

¹ - يسرى أحمد عبد الله زيدان، مرجع سابق، ص: 315، 31.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)



أعمدة بيانية لتوزيع الظاهرة عبر القرون



ملاحظات:

- 1- العدد متوسط مقارنة بباقي المحالات المعرفية
- 2- انعدام الظاهرة في القرنين 4 و9 الهجريين، لاهتمامات المغاربة بمجالات أخرى
- 3- نمو الظاهرة خلال القرون 6 و7 و8 الهجرية، لازدهار الحياة الثقافية بمصر.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

2- علوم التفسير:

هو الاهتمام بتفسير القرآن وفهم معانيه، وشرح الكلمة لفظا ومعنى باعتماد الحديث النبوي الشرف قولاً وعملاً، للتوفيق بينه وبين القرآن، ولذا أقتصروا على تفسير آيات من القرآن الكريم، و الواضح أن عددهم قليل، مقارنة بمن سبق ذكرهم في إنتاج العلوم المعرفة الشرعية بإقامتهم بمصر، لسابقة شهرة من فسر القرآن الكريم، ولكنهم أثروا هذا الفن بالمعرفة والتحصيل، وكان من أوائل من فسر القرآن من أهل المغرب بقي بن مخلد(272هـ/886م)، قيل أنه لم يؤلف في الإسلام مثله في التفسير، وهو أفضل من تفسير الطبري⁽¹⁾، وكانت له رحلة للمشرق تعددت قراءاته على غير المالكية، وسمع من أحمد بن حنبل، ولما عاد بسط علمه بالأندلس واستعداه الفقهاء، بدعوى تدريس مسند ابن أبي شيبة على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي.

كما برع من المغاربة أيضا الشيخ هود بن محكم الهواري، وهو من علماء القرن 3هـ/9م، إذ استطاع أن يضع أول تفسير للقرآن الكريم على عهد دولة الرستميين⁽²⁾، كما برع منهم عثمان بن محامس(ت356هـ/966م)، وكان حافظا للتفسير عالما بأخبار الدهور وله في ذلك كتاب⁽³⁾، وتوالى جهد الأندلسيين لاحقا في التفسير بعد مكي بن أبي طالب، وابن عطية، وعبد الحق بن غانم، إلى غاية أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي(ت601هـ/1204م)، الذي انتشر تفسيره بين أهل المغرب والمشرق، والجدول يوضح أكثر كما يأتي:

¹ - أنخل بالنثيا، مرجع سابق، ص:407، وما بعدها.

² - ينتسب لقبيلة بربرية سكنت الأوراس، عاش في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م وهو من التفاسير الأولى التي ظهرت في عصر التدوين، يراجع الشيخ هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق الحاج بن سعيد شريقي، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص:6.

³ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:245.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

الرقم	اسم المفسر	مرتبته ووظيفته	المنطقة
1-	محمد بن عبد الله بن محمد بن شرف الدين المغربي (ت655هـ/1257م) ⁽¹⁾ ، دخل مصر في624هـ/1227م.	محدث ومفسر ونحوي، فسر آيات من القرآن، في كتاب ري الظمان في تفسير آي القرآن	مصر
2-	محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ/1273م) ⁽²⁾ ، له كتاب جامع أحكام القرآن، والتذكرة بأمور الآخرة، وغيرها توفي بمينة الخصب.	متولي، في إدارة المدرسة الكاملية.	القاهرة
3-	أبو حيان أثير الدين النحوي (ت745هـ/1345م)، توفي بمسكنه بالصالحية وأقيمت عليه صلاة الغائب بالجامع الأموي بدمشق ⁽³⁾ .	رئيس مادة التفسير في القبة المنصورية بجامع بن طولون	القاهرة ⁽⁴⁾
4-	شمس الدين محمد بن علي المغربي، عرف بالنقاش (ت763هـ/1362م) ⁽⁵⁾ .	اشتهر بتفسير القرآن، طويل عنون باللاحق السابق،	مصر

¹ - الصدفي، مصدر سابق، ج3، ص282-283، وأيضا المقري، مصدر سابق، ج7، ص317-322، وكذا إسماعيل البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج2، استانبول، 1951م، ص:125-126.

² - ابن فرحون، مصدر سابق، ص:406-407، والمقري، مصدر سابق، ج2، ص345، ومحمود علي مكي، أثر الحج في الثقافة الأندلسية ورحلة أبي مروان الباجي، أعمال ندوة طرق الحج القاهرة 2002، منشورات اسيسكو الرباط المغرب ص:69-70.

³ - المقري، مصدر سابق، ج3، ص:278-282، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:146، وابن قاضي شهبة، المصدر السابق، ج1، ص:288، فسر آيات من القرآن الكريم، في كتاب البحر المحيط في التفسير، ثم أختصره بعنوان إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب.

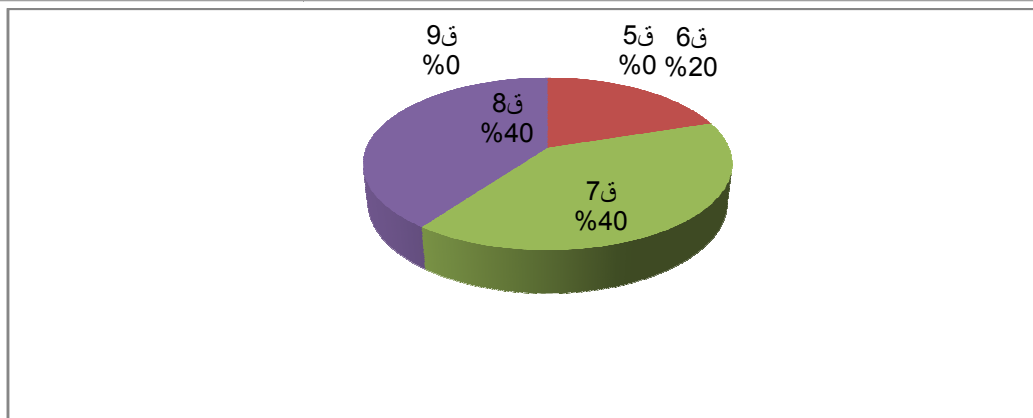
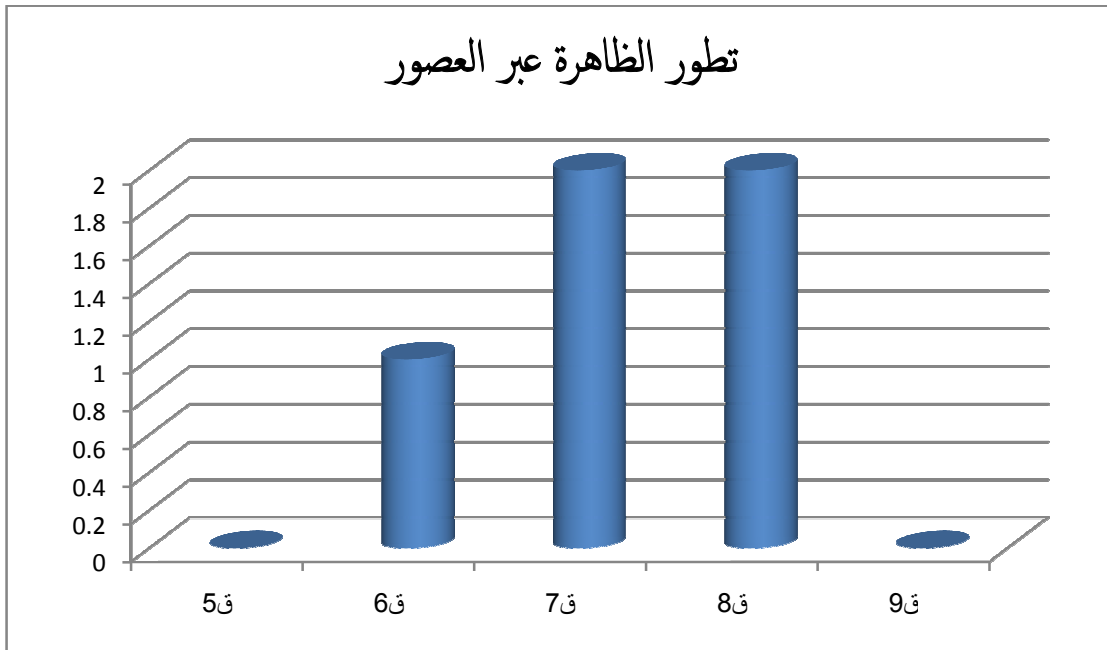
⁴ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة، ج4، ص:304.

⁵ - ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:189.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

9	8	7	6	5	4	القرون
0	1	2	2	0	0	العدد
0	20	40	40	0	0	النسبة
						العدد الإجمالي
						5

عدد المغاربة المفسرون بمصر خلال الفترة



الدائرة النسبية لتوزيع الظاهرة عبر العصور

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

ملاحظات:

- العدد ضعيف جدا مقارنة بباقي المجالات المعرفية
- انعدام الظاهرة في القرنين 4 و5 والهجريين، لقلة المشتغلين بها، وعدم رواجها، بينما في القرن 9هـ، فإن الاهتمام بها قل للظروف المتعلقة
- نمو الظاهرة خلال القرنين 7 و8 الهجرية، المرتبط بالوضع الثقافي المص

3- دور المغاربة في علم الحديث الشريف:

ارتبط تعلم الحديث وتعليمه، بتتبع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، قولاً وعملاً، صفة وتقديراً، والمعروفة بالسنة وهي مما لم ينصص عليه القرآن، فكان تعليم الحديث يتم رواية ودراسة⁽¹⁾، ويجري الاعتناء به من حيث الإسناد والمتن، وكتبت الأحاديث وجمعت وورثي بها أهل السنة في ستة عرفت بالصحاح⁽²⁾.

كما ارتبط أيضاً تعلم الحديث وتعليمه لأهميته من حيث كونه، المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن، مفسراً له، واصفاً للوضع الاجتماعي زمن النبي، ومن بعده سيرة أصحابه من حيث سلسلة رواة الحديث⁽³⁾.

الحضور المغربي في مصر ومساهماته، لم تكن ذات بال؛ لاعتبارات التوافد المغربي لمصر قبل القرن 4هـ/10م، وأثناءه أيضاً، فكانت وفادتهم للبلاد المصرية لغرض السماع والأخذ عن المصريين، فهذا محمد بن يحيى بن زكريا المعروف بابن برطال (ت 394هـ/1004م) رحل إلى المشرق سنة (341هـ/952م)، فسمع بمصر طائفة من أهل

¹ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص: 484 وما بعدها.

² - صحيح البخاري (ت359هـ/970م)، وصحيح مسلم (ت261هـ/875)، ومسند أبي داود (ت274هـ/888م)، والترمذي (ت278هـ/892م)، وابن ماجه (ت272هـ/886م)، والنسائي (ت302هـ/910م)، يراجع انخل بالنتيا، مرجع سابق، ص: 393، وما بعدها.

³ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص: 471 وما بعدها.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

العلم، من بينهم الحافظ ابن السكن (ت 353هـ/964م)⁽¹⁾، وقد نشر ابن برطال صحيح البخاري في الأندلس، كما حدا حذوه أيضا عبد الله بن عبد الرحمن الجمني الطليلي (ت 392هـ/1002م)، وقد سمع أيضا في رحلته لمصر من ابن السكن سنة (342هـ/953م)، كما يضاف إليهما اسم آخر هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت 392هـ/1002م) الراحل للمشرق، في (352هـ/963م)، لسماع الحديث والعودة للأندلس للتدريس⁽²⁾، مع الإشارة إلى أنه دخلت بعض كتب أهل الحديث الذين كانوا في زمن البخاري الأندلس، منها سنن النسائي، وسنن أبي داود⁽³⁾.

كما كان من كبار محدثي الأندلس ابن القوطية (ت 399هـ/977م)، اختص بمذهب في تفسيره للحديث، باهتمامه بالفكرة والمعنى دون اللفظ، مما جعله موضع اتهام من قبل الفقهاء⁽⁴⁾.

الحال سيتغير لاحقا وفي محاولات تطوير للمعارف الدينية سيصبح المغاربة يمتلكون حفاظا كبارا، ومحدثين بالغى الشأن، كأبي القاسم بن فيرة، من أهل شاطبة، وقبله، أبي عمر الداني، ثم برعوا لاحقا في الديار المصرية، وفي عموم المشرق والعالم الإسلامي⁽⁵⁾، والجدول يوضح النشاط المغربي كما يأتي:

¹ - وابن السكن هو أبو علي سعيد بن عثمان المصري، الذي سمع صحيح البخاري من الفريزي بخراسان، وحمله معه إلى مصر لما نزل بها، يراجع ابن الفرضي، مصدر سابق، ص: 355.

² - نفسه، ص: 205، 206.

³ - محمد بن زين العابدين رستم، الصحيحان في الأندلس من القرن الخامس إلى القرن الثامن الهجري، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010 م، ص: 9.

⁴ - انخل بالنثيا، مرجع سابق، ص: 395.

⁵ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص: 468.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق 4-9هـ/10-15م)

الرقم	اسم المحدث	مرتبته ووظيفته	المنطقة
1.	إبراهيم بن موسى بن جميل ⁽¹⁾ (ت300هـ/913م).	محدث روى عنه النسائي	مصر
2.	أحمد بن محمد بن عافية الرياحي ⁽²⁾ .	محدث	الإسكندرية
3.	أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى ⁽³⁾ (ت415هـ/1024م).	محدث	الفسطاط
4.	عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأنصاري ⁽⁴⁾ (ت447هـ/1055م).	محدث ثقة ثبتا مالكي المذهب	سكن مصر واستوطنها
5.	محمد بن فرج بن عبد الولي الأنصاري (ت بعد 450هـ/1058م) ⁽⁵⁾ طليطلة.	محدث	الفسطاط
6.	سعيد بن عياش بن الهيثم القضاعي المالكي أبا عمر(ت بعد453هـ/1061م) ⁽⁶⁾ .	محدث	مصر
7.	إسماعيل بن خلف بن سعيد بن عمران المالكي أبا الطاهر ⁽⁷⁾ (ت455هـ/1063م).	محدث	مصر
8.	عبد الله بن محمد بن القاسم القلعي ⁽⁸⁾ ت(460هـ/1068م)	محدث	مصر
9.	سليمان بن حارث بن هارون ⁽¹⁾	محدث	الإسكندرية

¹ - الحميدي، مصدر سابق، ص:155، الضبي، مصدر سابق، ص:204، وكذا ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص:197-199.

² - ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص:46.

³ - ابن بشكوال، مصدر سابق، ج1، ص:44-45، والضبي، مصدر سابق، ص:146.

⁴ - نفسه، ص:232.

⁵ - الحميدي، مصدر سابق، ص:90-91، وأيضا ابن بشكوال، مصدر سابق، ج2، ص:423، والضبي، مصدر سابق، ص:423.

⁶ - نفسه، ص:190.

⁷ - نفسه، ج1، ص:99.

⁸ - الحميدي، مصدر سابق، ص:244، وكذا ابن بشكوال، مصدر سابق، ج2، ص:310، والحميدي، مصدر سابق، ص:244.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

		(ت 482هـ/1089م).	
الإسكندرية	قراءة صحيح الترميذي، متفنن من كتبة التعليقة الكبرى في الخلاف	يوسف بن عبد العزيز علي بن نادر اللخمي الميورقي (ت 523هـ/1129م) ⁽²⁾ .	10.
قوص	ألف في الحديث "الغرر من كلام سيد البشر"، و"شفاء الظمان في فضل القرآن" ⁽⁵⁾	أحمد بن معد التجيبي بن الإقليشي (ت 550هـ/1156م) ⁽³⁾ ، حدّث بالأندلس والمشرق التي رحل إليها في (542هـ/1147م)، كان عالماً عاملاً متصوفاً زاهداً، تأثر بابن العريف ⁽⁴⁾ .	11.
الإسكندرية	درس عليه الكثير كتاب الموطأ	عبد المنعم بن يحيى الغرناطي (ت 586هـ/1190م) ⁽⁶⁾ .	12.
القاهرة	عالم درس الحديث	أبو القاسم هبة الله بن علي المغربي المنستيري عرف بالبوصيري (ت 598هـ/1202م) ⁽⁷⁾ .	13.
القاهرة	رئيس المدرسة الكاملية عوض بأخيه ⁽²⁾ .	أبو الخطاب عمر بن الحسن ابن دحية (ت 633هـ/1236م) ⁽¹⁾ .	14.

¹ - نفسه، ص: 177.

² - قال عنه ابن الأبار هو أحياء علم الحديث بالإسكندرية، وروى عنه السلفي، يراجع، ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 6، ص: 111.

³ - ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، ج 1، دار الفكر، بيروت، 1995، ص: 58-56، وأيضاً المقري، مصدر سابق، ج 3، ص: 199، وضع انخل بالنتيا، مرجع سابق، ص: 399، تاريخ وفاته في (549هـ/1146م)، مرجع سابق، ص: 399.

⁴ - المقري، مصدر سابق، ج 3، ص: 199.

⁵ - وله أيضاً كتاب "النجم من كلام سيد العرب والعجم"، نفسه، مصدر سابق، ج 3، ص: 199.

⁶ - ابن مخلوف، مرجع سابق، ص: 158-159.

⁷ - ابن خلكان، مصدر سابق، ج 6، ص: 67-69.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

15.	أبو عبد الله محمد بن عبد الله المرسي (ت655هـ/1257م) ⁽³⁾ .	درس سنن البيهقي، وكتاب غريب الحديث للخطابي	مصر
16.	أبو العباس احمد بن عمر القرطبي(ت656هـ/1258م) ⁽⁴⁾ .	ألف المفهم في شرح مسلم، كشف القناع عن الوجوه والسماع اختصرهما بعنوان مختصر الصحيحين	حدث بالإسكندرية، وغيرها
17.	محمد بن أبي بكر محي الدين الشاطبي (ت662هـ/1264م) ⁽⁵⁾	رئيس مشيخة مدرسة الحديث الكاملية بالقاهرة والبهائية بحلب شارك في التدريس	القاهرة
18.	أبو طاهر محمد بن الخطاب بن دحية (ت686هـ/1288م) ⁽¹⁾ .	رئيس مشيخة الكاملية	القاهرة

¹ - الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق، عبد القادر الأرناؤوط، وحمود الأرناؤوط، ج5، دار ابن كثير، دمشق، 1991م، ص: 139، وكذا الغبريني، مصدر سابق، ص: 169، وكذا ية والنهاية، تحقيق أحمد بن شعبان بن أحمد، ومحمد بن عيادي بن عبد الحلیم، ج13، مكتبة، المقرئ، مصدر سابق، ج2، ص: 255-260.

² - أفرد أنس وجاج دراسة، بعنوان، أبو الخطاب ابن دحية الكلبي الحافظ الرجال، الرابطة المحمدية، المغرب، دار ابن حزم، بيروت، 2010م، وهي جديرة بالاهتمام.

³ - نفسه، ج2، ص: 241-242.

⁴ - السيوطي، مصدر سابق، ج1، ص: 457، وكذا الذهبي، العبر في أخبار من غبر، مصدر سابق، ج7، ص: 473، وأيضا ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير، البدا الصفا، القاهرة، 2002م، ص: 182، والمقرئ، مصدر سابق، ج3، ص: 212-213، وكذلك ابن فرحون، مصدر سابق، ص: 130.

⁵ - الصفدي، مصدر سابق، ج1، ص: 134، وأيضا ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص: 254-256، وابن عماد الجنبلي، مصدر سابق، ج5، ص: 310-311، وأيضا المقرئ، مصدر سابق، ج2، ص: 63-64، والذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر سابق، ج5، ص: 270، وابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص: 216، وابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص: 243.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

القاهرة	رئيس مشيخة مدرسة الحديث الكاملة بالقاهرة، شارك في التدريس تخرج على يديه علماء، منهم ابن جماعة الدمياطي ⁽³⁾ ، البرزالي، ألف كتاب الإفصاح المعجم من الغامض والمهم في أسانيد رجال الحديث	ابن القسطلاني محمد بن أحمد الشاطبي (ت686هـ/1288م) ⁽²⁾	19.
استوطن القاهرة وبها توفي	كان عارفا بعلم الحديث ظاهري المذهب	أبو سلمه البياسي (ت703هـ/1304م) ⁽⁴⁾ .	20.
توفي بمصر	إمام محدث، وفاته بالمارستان المنصوري	محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن سلمة يكنى بأبي عبد الله (ت703هـ/1304م)	21.
القاهرة	محدث درس الحديث	الحسن بن عبد الكريم الغماري المغربي (ت712هـ/1313م) ⁽⁵⁾	22.
القاهرة	محدث،	عبد الله بن علي الصنهاجي	23.

¹ - الصفدي، مصدر سابق، ج 3، ص:41.

² - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 7، ص:373.

³ - عبد العزيز الضعيفي، "علاقة العلماء المغاربة بنظرائهم المصريين بين الإفادة والاستفادة نماذج من العصر المريني" مجلة التاريخ العربي ع29، السنة 2004م، ص:398. ولشرف الدين الدمياطي، ترجمة له عند العبدري، الرحلة، مصدر سابق، ص:132-138.

⁴ - المقري، مصدر سابق، ج 2، ص:224-225.

⁵ - كان حسنا كاسمه، تراجع ابن حجر الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج 2، ص:102.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

		(ت 724هـ/1325م)	
القاهرة	عمل على تطوير علم الحديد، عرف بالحافظ ترأس مشيخة دار الحديث الظاهرية ⁽³⁾ .	ابن سيد الناس محمد بن محمد فتح الدين أبو الفتح (ت734هـ/1378م) ⁽¹⁾ ، أندلسي الأصل قاهري المولد سنة(661هـ/1282م)، على قدر كبير من الهيبة من الأمراء والأعيان، وله تأليف كثيرة ⁽²⁾	24.
الإسكندرية والقاهرة	محدث	محمد بن محمد القرطبي(ت736هـ/1336م) ⁽⁴⁾ .	25.
القاهرة ⁽⁷⁾	رئيس مشيخة الحديث بالمدرسة المنصورية برع في الحديث شيخ النحاة، سكن في بيته بالمدرسة الصالحية ⁽⁶⁾	محمد بن يوسف أثير الدين ابن حيان الغرناطي(ت745هـ/1345م) ⁽⁵⁾ .	26.
القاهرة	مهتم بعلم الحديث صنف في الحديث	عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله، سراج الدين، أبو حفص بن أبي الحسن	27.

¹ - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج4، ص:330. وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:108-109، وابن قاضي شهبة، مصدر سابق، ج2، ص:390-392، وأيضا الصفدي ابن أبيك، مصدر سابق، ج1، ص:219-234.

² - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، وأيضا، كتاب "منح المدح"، يراجع أنخل بالنيثيا، مرجع سابق، ص:400.

³ - يراجع، السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، تحقيق محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ص:268-270.

⁴ - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج1، ص:256.

⁵ - المقري، مصدر سابق، ج3، ص:141-186.

⁶ - الأدفوي، كمال الدين أبي الفضل جعفر بن الفضل الأدفوي المصري، الموفى بمعرفة التصوف والصوفي، تحقيق، محمد عيسى صالحية، مكتبة دار العروبة، الكويت، 1933م، ص:33.

⁷ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج4، ص:304، والمقري، مصدر سابق، ج1، ص:625، وابن خلدون، مصدر سابق، ج6، ص144، وأيضا، الأدفوي، مصدر سابق، المقدمة ص:5،6.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

	والفقه، 300 شرح البخاري، البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير	الأنصاري، الواد آشي، التكروري المصري الشافعي كان أصل أبيه أندلسيا من (وادي آش)(ابن الملقن الوادي آشي ت:804هـ/1409م) ⁽¹⁾ .	
القاهرة	درس بالأزهر كتاب الشفاء للقاضي عياض	عبد الله بن محمد الأندلسي (ت 820هـ/1418م) ⁽²⁾ .	..28

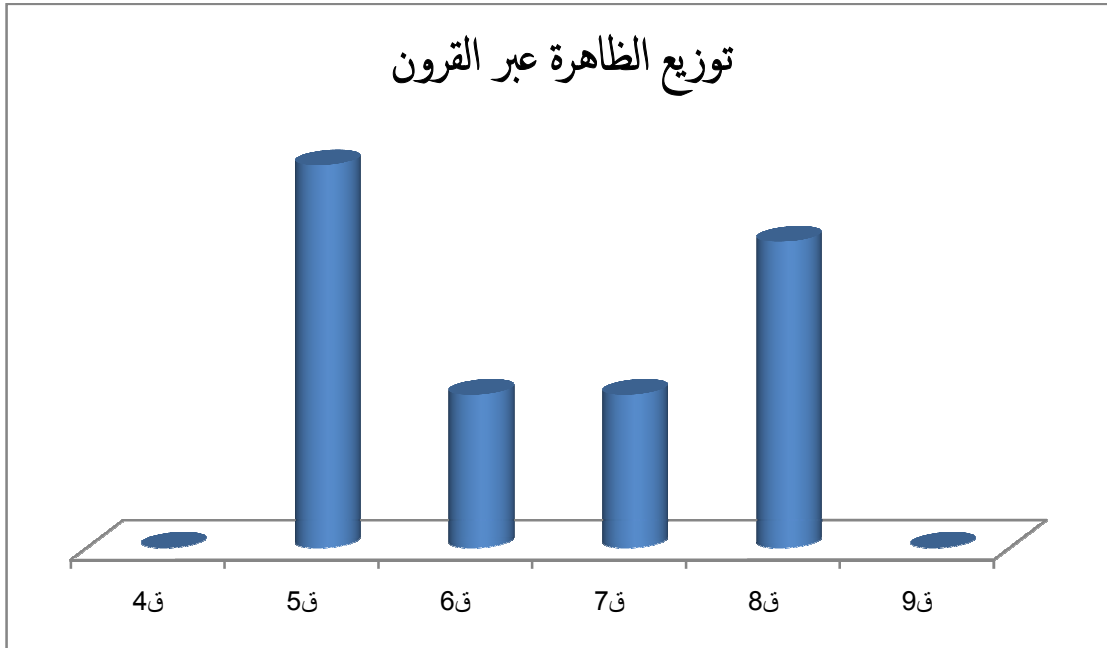
جدول يوضح تعداد المغاربة المحدثون بمصر وتوزعهم عبر القرون

9	8	7	6	5	4	القرون
0	10	4	4	8	0	العدد
0	39	15	15	31	0	النسبة المئوية%
					28	المجموع

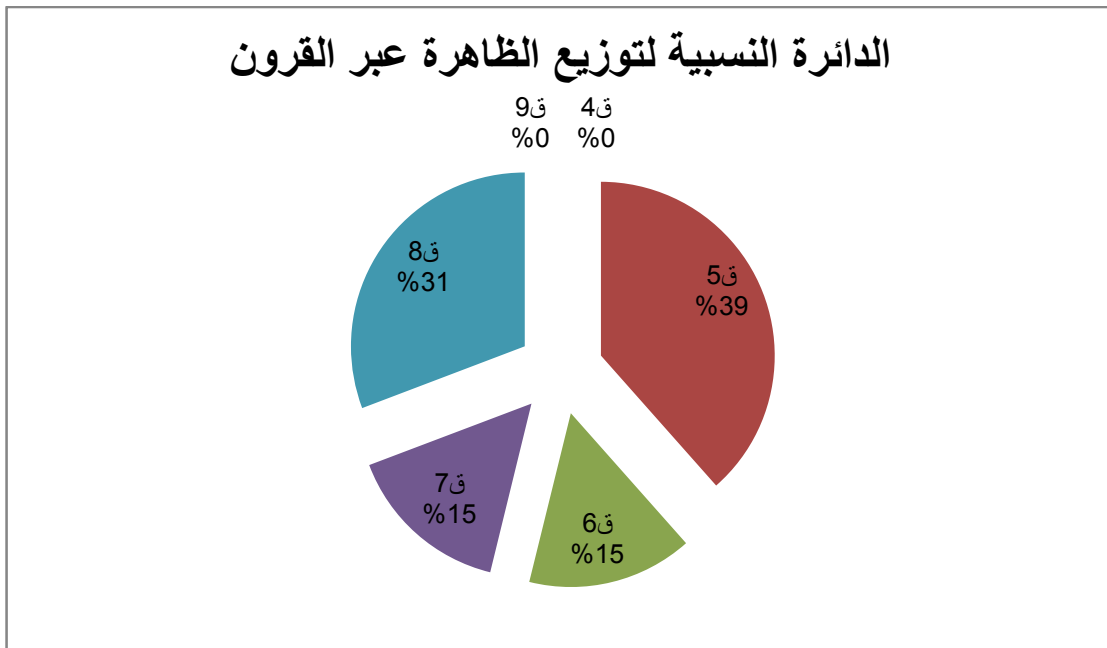
¹ -ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 7، ص:44، و السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 6، ص:100.

² - نفسه، مصدر سابق، ج 4، ص:63.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)



أعمدة بيانية لتوزيع الظاهرة عبر القرون



تحليل المعطيات الرقمية:

تشير المعطيات الرقمية السابقة المتعلقة بحقل علوم الحديث، وارتباط المغاربة به في استقرارهم بمصر، خاصة الدائمين، خلال الفترة المدروسة ق4-9هـ/10-15م،

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

تشكل بمنحى تصاعدي، فعدد المقمين وصل إلى 27 محدثا، خلال 6 قرون، بمعدل 4.5 محدث لكل قرن، غير أن التوزيع الحقيقي، يكون كالتالي:

من خلال الجدول يتضح أن مصر خلال ق4هـ/10م، لم يستقر من المغاربة بها إلا واحدا، من أصل 27 محدثا، نظرا لأن المغرب لا يزال بحاجة لعودة أبنائه المرتحلين، لنشر علمهم بربوعه، وحاجة البلاد للمحدثين، الذين تدور عليهم باقي العلوم، وقد ترجم ذلك بكثرة العائدين منهم لبلادهم بعد الرحلة المشرقية، وقد كانت لهم إقامة مؤقتة، في المشرق ومصر أيضا، وأخذ علم الحديث عن المحدثين المصريين، أصحاب أو تلاميذ مالك المباشرين، غير أن القرن 5هـ/11م، ينتعش إقامة المحدثين المغاربة بمصر بعدد 7، أقام 2 منهم بالإسكندرية، و5 بمصر والفسطاط، وهي أغلبية مطلقة، تحاشوا الإقامة بالقاهرة، رغم مرور أكثر من قرن على تأسيسها، ولعل ذلك يتعلق بسيادة المذهب الشيعي بالقاهرة، وتراخي حبله بالفسطاط والإسكندرية، التي اعتبرت مدينة سنية مالكية، علما أن المدينة شهدت حركة إصلاحية قادها الطرطوشي، ومن جاء بعده كالسلفي والآخرين، في حين تراجع عددهم خلال القرن 6هـ/12م، إلى 4 محدثين، 2 منهم بالإسكندرية، في حين أقام بالقاهرة محدث واحد، والثاني بقوص، فكانت إسهاماتهم تتوزع بين التدريس لكتب الصحاح، كالموطأ، وسنن الترمذي، والتأليف أيضا.

خلال القرن 7هـ/13م، يرتفع العدد إلى 6 محدثين، فكانوا من أسماء مصر البارزين وتفنونوا في الحديث، تدريسا وتأليفا فأهلتهم درايتهم، للاضطلاع بالمهام الإدارية، في تسيير شؤون المدارس الحديثية، كالمدرسة الكاملية، تعلق الأمر بشخصيات من أسرة ابن دحية الكلبي⁽¹⁾، وأبو بكر الشاطبي⁽²⁾، وابن القسطلاني الشاطبي⁽³⁾، كما لهؤلاء

¹ - المقري، مصدر سابق، ج 2، ص:255-260.

² - الصفدي، مصدر سابق، ج1، ص:134، وأيضا ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص:254-256، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج5، ص:310-311، وأيضا المقري، مصدر سابق، ج2، ص:63-64، والذهبي، العبر في خبر من غبر، مصدر سابق، ج5، ص:270، وابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص:216، وابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص:243.

³ - عبد العزيز الضعيفي، مرجع سابق، ص:398.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

اهتمام بتكوين الطلبة الذين أصبح لهم شأن كبير بعد ذلك كابن جماعة والبرزالي، كانت لهم تأليف وشروحات وافية، وهم على مذهب الإمام مالك، على الأقل خلال هذا القرن.

في القرن 8هـ/14م، يرتفع عدد المغاربة المقيمين بمصر والمشتغلين أيضا بالحديث ببيروت سبعة منهم، أقام معظمهم بالقاهرة، عاصمة المماليك، اشتغلوا بالتأليف والتدريس، وإدارة دور الحديث كلبن سيد الناس الذي طور علم الحديث، ورأس مشيخة دار الحديث الظاهرية بالقاهرة، بينما يتربع أثير الدين على عرش الحديث ويبرع في النحو الذي اشتهر به حتى عرف بالنحوي، رأس إدارة المنصورية، وأقام بالمدرسة الصالحية حتى وفاته،

وفي القرن 9هـ/15م، ومع نهاية العصر الوسيط بنهاية العصر المملوكي الثاني، تذكر كتب الطبقات عن اسمين فقط، ربما لقلّة الاهتمام بالحديث الذي أصبح ذا شأن أكبر، وقد وضعت قواعده، هما عمر بن علي الودياشي التكروري الشافعي (ت 804هـ/1409م)⁽¹⁾، وعبد الله بن محمد الأندلسي (ت 820هـ/1418م)⁽²⁾، والذي درّس كتاب الشافعي للقاضي عياض بالقاهرة.

¹ -ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج 7، ص:44، و السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 6، ص:100.

² - نفسه، مصدر سابق، ج 4، ص:63.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

4- دور الفقهاء المغاربة بمصر:

من خلال ما ألمح إليه ابن بسام، أن الشخصيات الأندلسية التي وفدت على الديار المصرية خلال العصر الفاطمي، وقد استقرت بها فترة من الزمن خلال القرن 5هـ/11م حتى اشتهرت باللقب "المصري"، ثم عادت إلى وطنها، واشتهرت بعطاءها العلمي، ومساهماتها الإدارية⁽¹⁾، وغيروا من الحياة العامة بمصر، خاصة في بداية القرن 6هـ/12م، مع أبي بكر الطرطوشي، وخلال العصرين الأيوبي والمملوكي.

الرقم	اسم الشخصية	الوظيفة والعمل	الإقامة
1.	محمد بن القاسم العنسي، الشهير بابن القرطبي، أبو إسحاق (355هـ/966م)، شديد الذم للفاطميين، له صلوات بأموبي الأندلس ⁽²⁾ .	رأس الفقهاء المالكية بمصر، كثير الحديث، شيخ الفتوى حافظ البلد ⁽³⁾	مصر
2.	حسن بن وليد بن نصر القرطبي (367هـ/978م)، يعرف بأبي بكر العريف.	فقيها في المسائل حافظا للرأي ونحويا متقدما، رأس في جامعتها ⁽⁴⁾ .	مصر
3.	أبو بكر الطرطوشي (520هـ/1127م) نزيل الإسكندرية ⁽⁵⁾ .	كتب سراج الملوك للأفضل بن أمير الجيوش البطائحي، وأيضا	الإسكندرية

¹ - ابن بسام، مصدر سابق، ق4، مجلد1، ص:342-343.

² - له مؤلفات كثيرة في الفقه، وأحكام القرآن، والمناقب والتاريخ، يراجع، ابن فرحون، مصدر سابق، ص:345-346.

³ - سامي مصطفى مسعد، مرجع سابق، ص:11.

⁴ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ص:98.

⁵ - يراجع السيوطي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج1، ص:452، لقد اهتم الوزير البطائحي لمقالة الطرطوشي أنه عزم على بناء مسجد بظاهر الثغر على البحر، فرحب بالفكرة وأسند أمر تنفيذ المشروع للقاضي بن حديد، وحثه على السرعة وبذل الإنفاق، يراجع عبد العزيز سالم، تاريخ الإسكندرية، مرجع سابق، ص:222-224، وكذا جمال الشيال، أعلام الإسكندرية، مرجع سابق، ص:50-100.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

	الكتاب الكبير في مسائل الخلافة ⁽¹⁾		
4.	أبو العباس بن إدريس الصنهاجي القرافي (ت684هـ/1286م) ⁽²⁾ .	مجدد في الفقه، أهم كتبه الفقهية، الذخيرة في فروع المالكية، والقواعد، وشرح المحصول والتنقيح في الأصول	القاهرة
5.	محمد بن عمران بن محمد بن حزم الشريف (88-689هـ/1289م) يكنى أبا محمد بن أبي عبد الله ويعرف بالشريف الكركي ويلقب شرف الدين.	شيخ المالكية والشافعية بالديار المصرية، تفنن في ثلاثين علما	مصر ⁽³⁾ .
6.	ابن الحاج الفاسي محمد بن محمد أبو عبد الله العبدري، الفاسي المصري المالكي (ت737هـ/1337م) ⁽⁴⁾ .	فقيها عارفا بمذهب الإمام مالك، حدّث بالقاهرة، مؤلف كتاب البدع، والمدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير	القاهرة ⁽¹⁾ .

¹ - "البدع ومحدثاتها" و"كتاب بر الوالدين" و"شرح رسالة الشيخ ابن أبي يزيد القيرواني" و"كتاب الأسرار" و"رسالة في تحريم جبن الروم" و"كتاب الفتن" يراجع، المقري، ج2، مصدر سابق، ص:85، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص:125، وابن خلكان، مرجع سابق، ج4، ص:261، والذهبي، العبر في أخبار من غبر، مصدر سابق، ج4، ص:48، والسيوطي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج1، ص:452.

² - أجمع عليه علماء عصره، من مالكية وشافعية على أنه أفضل الثلاثة في مصر عصره "القرافي، وناصر الدين بن المنير، وابن دقيق العيد، يراجع، ابن فرحون، مصدر سابق، ج1، ص:188-189، وابن مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص:62-189، 67، وكذا الزركلي، مصدر سابق، ج1، ص:94، 95، 90، والسيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج3، ص:316، والصفدي، مصدر سابق، ج1، ص:147، ابن راشد الكتبي، مصدر سابق، ج6، ص:233.

³ - ابن فرحون، مصدر سابق، ص:416.

⁴ - ترجمته عند ابن حجر، في الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج3، ص:الزركلي، مرجع سابق، ج7، ص:35، وابن مخلوف، مرجع سابق، ج1، ص:218.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق 4-9هـ/10-15م)

	من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة ⁽¹⁾ .		
الإسكندرية	فقيه الثغر انتهت إليه رئاسة العلم.	محمد بن يوسف الإسكندراني المالكي الفاصي (805هـ/1403م) ⁽³⁾ .	7.
نزيل حلب والقاهرة	فقيه، ومدرس نحوي، في الأزهر بعد صلاة الصبح حتى الظهر، ومنه إلى العصر بالظاهرة	تاج الدين بن محمد الصنهاجي (ت 807هـ/1403م) ⁽⁴⁾ .	8.

² - الصفدي، مصدر سابق، ج 1، ص: 187، وأيضا ابن فرحون، مصدر سابق، ص: 413-414.

¹ - في مجلدين وأربعة أجزاء، مكتبة دار التراث، القاهرة.

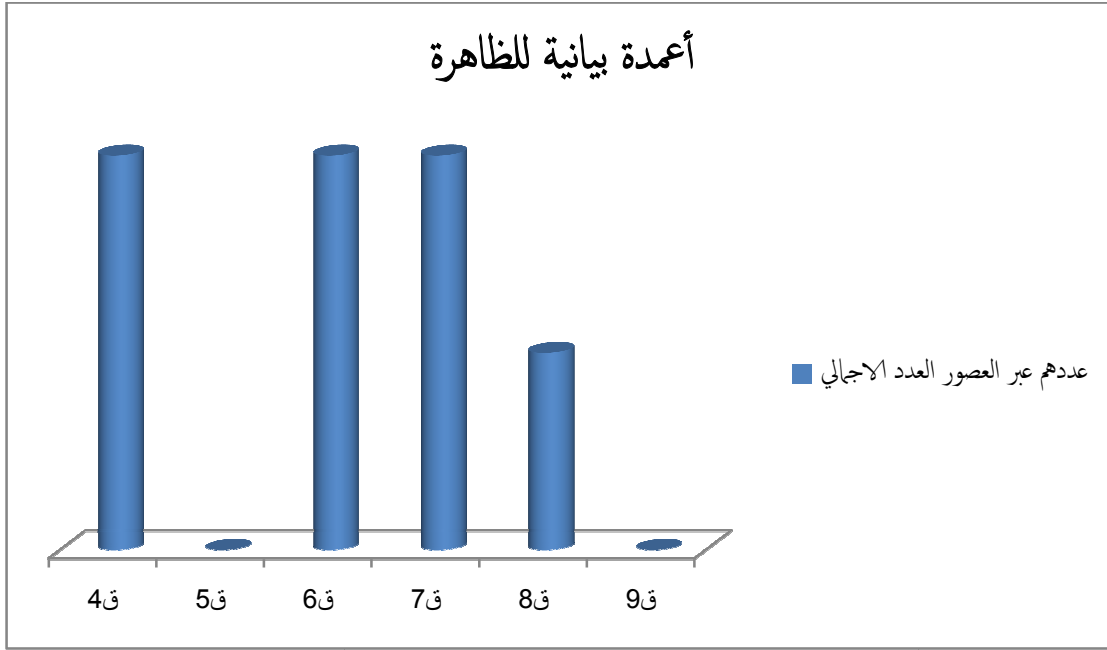
³ - ابن خلكان، مصدر سابق ج 7، ص: 50.

⁴ - نفس المصدر والجزء، ص: 61.

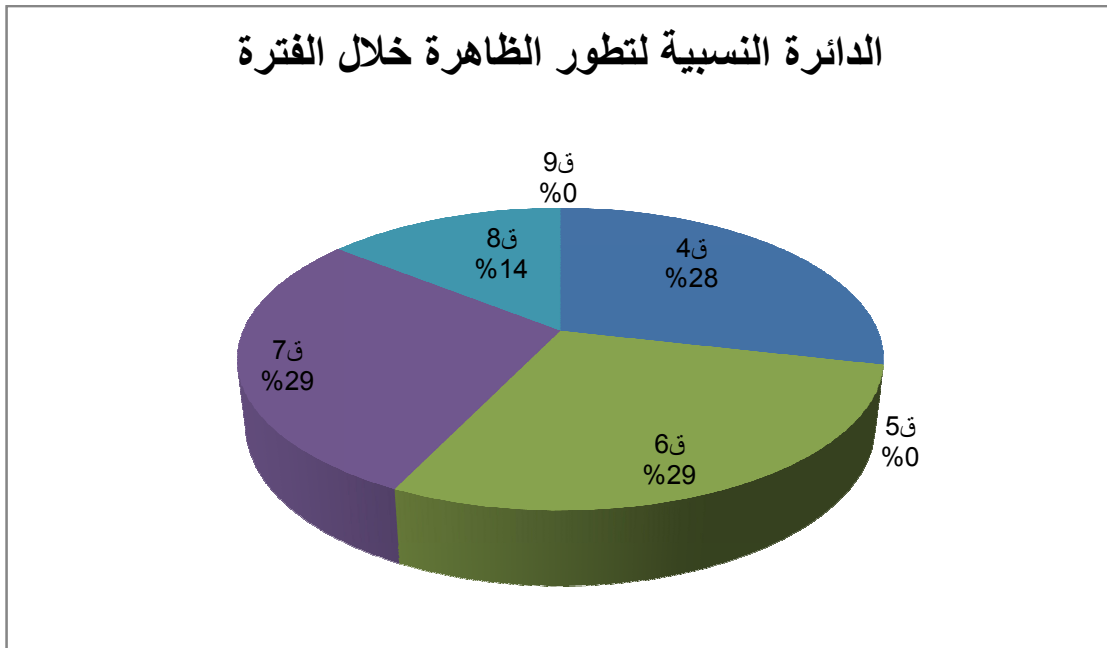
الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

9	8	7	6	5	4	القرون
0	1	2	2	0	2	العدد
0	14	29	29	0	28	النسبة المئوية
						العدد الإجمالي
						7

جدول يبين تعداد الفقهاء خلال الفترة



أعمدة بيانية لتطور الفقهاء المغاربة بمصر خلال الفترة



الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

5- دور المغاربة بمصر في اللغة العربية وآدابها:

دراسة النحو وتدريبه والتأليف فيه، كانوا عناصر ايجابية في المجتمع، نفخوا مجتمعاتهم، وأبدوا براعة وأهلية في تأدية مهامهم، ولابد من التعريف بهذا العلم الذي يخدم اللغة العربية ويقعد لها، وقد برع في الأندلس قبل ذلك، وصلوا لدرجات عليا، بفضل اهتمامهم الأكبر به، وهم بذلك مرتبطون بإخوانهم في المشرق، وساهموا في ميدان التأليف بديارهم وخارجها، إذ اجتهد إسماعيل بن القاسم وكتب كتاب البارع، وكذا المقصور والممدود، ثم كانت مساهمة ابن القوطية في مؤلفه، كتاب الأفعال، مع الإشادة بمجهود أحمد بن سعيد العالم في تأليف ما يصل إلى مائة سفر في النحو والأدب، فضلا عن أبو علي الشلوبين في مؤلفه، التوطئة على الجزولية⁽¹⁾.

الرقم	اسم الشخصية	الوظيفة والعمل	الإقامة
1.	ابن القطاع علي بن جعفر السعدي الصقلي (ت 515هـ/1121م)	كاتب، لغوي، ونحوي ⁽²⁾ ، خصه الوزير بدر الجمالي وجعله مؤدبا لأولاده في اللغة والآداب ⁽³⁾ .	استقر بمصر منذ 500هـ/1107م، حتى وفاته بالفسطاط
2.	علي بن عبد الجبار بن سلامة الهذلي التونسي (ت 519هـ/1225م).	له باع في اللغة والشعر رد على مرتدّ ببغداد بأحد	الإسكندرية

¹ - الحاج العيفة، مرجع سابق، ص: 169.

² - له كتاب الدرّة الخطيرة في شعراء الجزيرة "صقلية" وهو كتاب تراجم، وله أيضا كتاب الأسماء في اللغة، وكتاب الأفعال، وله كتاب تاريخ صقلية، السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج 1، ص: 533.

³ - نفسه، ج 1، ص: 532 وما بعدها، محمد كامل حسن في أدب الدولة الفاطمية، ط 2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1963م، ص: 118.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

	عشر ألف بيت على قافية واحدة ⁽¹⁾		
3.	أبو عمر عثمان بن علي الصقلي السرقي (كان حيا قبل 576هـ/1180م) ⁽²⁾ .	مقري، وعالم النحو، مؤلف الحاشية على كتاب الإيضاح، ومختصر على العمدة لابن رشيق القيرواني ⁽³⁾	جامع عمرو بن العاص بالفسطاط
4.	عبد الله بن حسن، أبو محمد العبدري الأندلسي من جزيرة يابسه (ت525هـ/1131م).	تصدر للقراءة وتدرّس النحو بالطائرين، وكان يجيد الشعر ⁽⁴⁾ .	جامع العطارين بالإسكندرية
5.	عبد الله بن أبي سعيد الأنصاري الأندلسي ابن المعلم، أبو محمد (ت533هـ/1139م) ⁽⁵⁾ .	فاضل في النحو له حلقة إقراء بجامع عمرو بالفسطاط، ثم الإسكندرية	سكن محرس القشـميري بالإسكندرية مرابطا ⁽⁶⁾ .
6.	ثابت بن المفرج بن يوسف أبو الزاهر الخثعمي الأندلسي البلسي (ت545هـ/1150م) ⁽⁷⁾ .	فقيه على مذهب الشافعي	نزىل الفسطاط سنة 517هـ/1123، بعد خروج السلفي إلى الإسكندرية
7.	مكي بن محمد بن عيسى أبو القاسم	النحوي السوسي	كان بالإسكندرية

¹ - القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج2، تحقيق أبو الفضل محمد بن إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة 1986م، ص:292.

² - نفسه، ج2، ص:342.

³ - البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص:653-654.

⁴ - السلفي، مصدر سابق، ص:162.

⁵ - القفطي، مصدر سابق، ج2، ص:108-109.

⁶ - السلفي، مصدر سابق، ص:157.

⁷ - ابن الأبار، مصدر سابق، ج2، ص:758.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

قبل 543هـ/1148م ¹			
قدم الإسكندرية في (546هـ/1151م) ورحل حاجا فتوفي بمكة	النحوي اللغوي، أديبا ورعا، قرأ الحديث على السلفي، وأنشده بعضا من الشعر ⁽³⁾	أبو العباس أحمد بن وكيل التجيبي الأندلسي ⁽²⁾	8.
أقام بالفسطاط منذ (515هـ/1121م) توفي بمصر.	التقى بالسلفي، عقد حلقات بجامع عمرو بن العاص وقرأ مؤلفاته في النحو والأدب ككتاب تنبيه الألباب في فضل الإعراب، وكتاب العروض، ومختصر العمدة في الشعر لابن رشيق ⁽⁵⁾ .	إبن السراج أبو بكر محمد بن عبد الملك الأندلسي (ت 549هـ/1154م) ⁽⁴⁾	9.
أقام بمصر سنة 551هـ/1156م حتى 566هـ/1170م	درس النحو والخط المغربي	أبو طالب عبد الجبار بن محمد المعافري، القرطبي (ت 566هـ/1170م)	10.
القاهرة	تصدرت تدريس النحو بجامع عمرو بن العاص ، له كتاب الألفية في النحو	يعي بن معطي الزواوي (ت 628هـ/1233م) ⁽⁶⁾	11.

¹ - القفطي، مصدر سابق، ج3، ص:322-323، وأيضا السلفي، مصدر سابق، ص:369.

² - السلفي، مصدر سابق، ص:37.

³ - نفسه، ص:37،38.

⁴ - ابن الأبار، التكملة، ج2، مصدر سابق، 437.

⁵ - والمقري، مصدر سابق، ج3، ص:7، 8.

⁶ - ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج5، ص:125.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

	التي ألف ابن مالك لاحقا ⁽¹⁾ ، والفصول في النحو، درس النحوي في دمشق والقاهرة ⁽²⁾		
نزيل قوص	أدخل شرح أبي الربيع إلى مصر، وأوقف جميع كتبه لخزانة جامع مدينة قوص ⁽³⁾	محمد بن إبراهيم السبتي (ت 695هـ/1296م)	12.
القاهرة	إمام الدنيا في النحو، شرح كتاب ابن مالك وسمها التسهيل وسماه "التذليل والتكميل في شرح التسهيل، منهج	أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي (ت 745هـ/1348م) ⁽⁴⁾ ، فقيه مالكي، ثم شافعي	13.

¹ - الذهبي، العبر في خبر من غير، مصدر سابق، ج 5، ص: 112، والسيوطي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 2، ص: 533.

² - ابن خلكان، مصدر سابق، ج 6، ص: 197.

³ - شرح كتاب الإيضاح في النحو لأبي الحسن أحمد الفاسي النحوي (ت 377هـ/988م)، كما شرح كتاب المحصول للقرافي، يراجع الأدفوي، مصدر سابق، ص: 477.

⁴ - لم يقتصر على النحو فقط، إذ بل شارك وأبدع في عدة علوم في غير العربية، كما مر بنا في مجال القراءات، والتفسير والحديث، وكان لا يدرس الطلبة إلا من ثلاث مصادر وهي كتب ابن مالك وكتب سيبويه، وألف أيضا، شرح كتاب سيبويه، وكتاب التجريد لأحكام سيبويه، وكتاب المبدع في التصريف، وكتاب اللوحة، وكتاب الشذرة، وكتاب الارتضاء في الفرق بين الضاد والطاء، وكتاب نكت الآمال، وكتاب تحفة الندس في نحاة أهل الأندلس، يراجع الصفدي، مصدر سابق، ج 4، ص: 175 وما بعدها، السيوطي، بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة، ج 1، تحقيق أو الفضل محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998، ص: 280، وأيضا ابن عماد، مصدر سابق، ج 6، ص: 145، وكذا ابن شاکر الكتبي مصدر سابق، ج 2، ص: 556، وكذا ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج 10، ص: 111، وما بعدها.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

	السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، ⁽¹⁾		
14.	شرح المنهاج والواضح، وخرج أحاديث الرافعي، وشرح البخاري ⁽³⁾	توفي بالقاهرة	سراج الدين عمر بن علي الأندلسي، المعروف بابن الملقن (ت804هـ/1402م)، رحل أبوه الذي كان عالماً بالنحو، رحل من الأندلس نحو بلد التكرور، وأقرأ أهلها القرآن ثم قصد القاهرة وهناك توفي، فتزوج عيسى المغربي زوجته وكان ربيبه عمر بن علي هذا، ⁽²⁾
15.	شرح التسهيل" جلب الموائد والمغنى لابن هشام" ⁴	القاهرة	محمد بن عمار النحوي (ت844هـ/1441م)
16.	شيخ النحاة، شرح المغنى لابن هشام، وعلى حاشية كتاب الشفاه ⁽⁶⁾ ، أخذ عنه السيوطي، وغيره.	ولد بالقاهرة وتوفي الاسكندرية	أحمد بن محمد القسنطيني (ت872هـ/1467م)، تقي الدين أبو العباس، يعرف ب"الشمي" مالكي وتحول للحنفية في834هـ/1431م) ⁽⁵⁾

¹ - تخرج على يديه ثلة من مشاهير النحويين في القاهرة يراجع العماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:145، وابن الجزري، غاية النهاية، مصدر سابق، ج2، ص:285، وكذا الحاج عيفة، مرجع سابق، ص:182.

² - ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، مصدر سابق، ج2، ص:216.

³ - نفسه، ج2، ص:216 وما بعدها.

⁴ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج9، ص:203.

⁵ - السيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، ج9، ص:203.

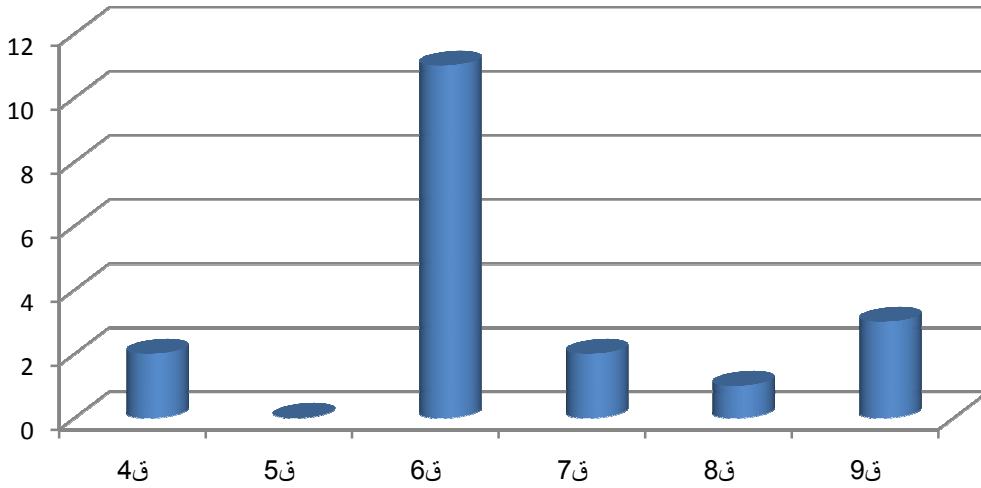
⁶ - ابن القاضي الكناسي، مصدر سابق، ص:50 ومن أشهر مؤلفاته، في النحو منهج المسالك إلى ألفية ابن مالك، والمنصف من الكلام على مغني ابن هشام، يُدافع عن ابن هشام ضد الانتقادات الموجّهة إليه من قبل ابن الصائغ والدمامي، وفي الحديث، شرح نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، شرح لكتاب الفيروزبادي، وفي السيرة، مُزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، وفي الفقه، أوفق المسالك لتأدية المناسك والسيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، ج1، ص:375.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

تعداد الأدباء واللغويين المغاربة بمصر خلال الفترة

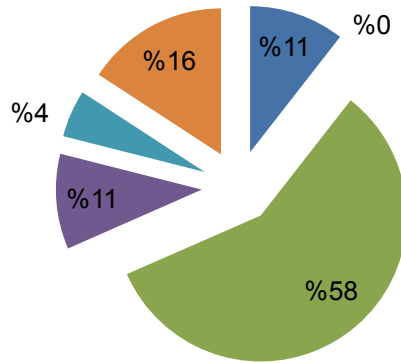
القرن	4	5	6	7	8	9
العدد	2	0	11	2	1	3
النسبة المئوية	11		58	11	4	16
العدد الإجمالي	19					

أعمدة بيانية تبين تطور الظاهرة عبر القرون



الدائرة النسبية لتوزيع الظاهرة

■ ق4 ■ ق5 ■ ق6 ■ ق7 ■ ق8 ■ ق9



الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

5- المغاربة ودورهم في التاريخ والتراجم والسير:

شارك المغاربة في الحضارة العربية الإسلامية وأبدعوا في مختلف جوانبها، حيث اهتموا بتصنيف التاريخي، رغم قلتهم، فكتبوا في التاريخ العام والتراجم وتاريخ المدن، كما يوضحه الجدول:

الرقم	اسم الشخصية	الوظيفة والعمل	الإقامة
1.	محمد بن أحمد كمال الدين القرطبي، كان ذا وجهة ورياسة	شهرة كمحدث بقنا (1)	قنا
2.	عيسى بن حزم الغافقي الجياني(575هـ/1179م)(2).	دخل لمصر في القاهره (560هـ/1165م)، ألف كتاب المغرب في أخبار محاسن أهل المغرب(3).	القاهرة
3.	محمد بن أيوب الأنصاري(4).	صنف كتابا لصالح الدين واصفا فيه المغرب سياسيا واقتصاديا	؟
4.	الحافظ أبو الخطاب بن دحية الكلبي من دانية (ت633هـ/1236م)(5).	فاستأده الملك العادل لولده، كان من أعلام اللغة العربية والحديث، صنف كتبا كثيرة منها	القاهرة

¹ - الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج2، ص139 وما بعدها

² - وكان معتمد لنقول ابن الأبار في التكملة، يراجع المقري، مصدر سابق، ج3، ص:10.

³ - يبدو أنه لم يلق القبول من طرف ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، مصدر سابق، ص:385-386.

⁴ - ابن خلكان، ج5، مصدر سابق، ص:322.

⁵ - المقري، مصدر سابق، ج2، ص:255-260.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

	ما تعلق بالمولد النبوي "التنوير في مولد السراج المنير" ⁽¹⁾ ، كما ألف في التاريخ العباسي بمؤلفه الذي وضعه للملك كمال الأيوبي ⁽²⁾ .		
5.	الطبيب عبد المنعم الجلياني ⁽³⁾	منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر، أهداه للسلطان صلاح الدين.	
6.	علي بن سعيد المغربي (ت 685هـ/1286م) ⁽⁴⁾	المشرق في حلى المشرق ⁽⁵⁾ - المغرب المغرب في حلى المغرب ⁽⁶⁾ - القدح المعلى في التاريخ المحلي، رايات المبرزين وغايات المميزين ⁽⁷⁾ .	القاهرة
7.	أبو حامد الغرناطي	زار مصر 511هـ/1118م، ألف كتاب تحفة الألباب، نقل عنه المقرئ في الخطط ⁽⁸⁾	

¹ - نقل منها ابن كثير واستحسن بعضه، يراجع ابن كثير، مصدر سابق، ج 13، ص: 144.

² - وقد استفاد منه المقرئ كثيرا في كتابه، الخطط المسماة المواعظ والاختبار، مصدر سابق، ج 1، ص: 326، وكذا إسماعيل البغدادي، مصدر سابق، ج 1، ص: 786.

³ - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ج 2، ص: 322.

⁴ - مؤرخ وشاعر وعالم بالأدب، زار مصر والعراق والشام وتوفي بتونس، وقيل بدمشق،

⁵ - نقل عنه، ابن شاكر الكتبي، في فوات الوفيات، ج 2، مصدر سابق، ص: 99.

⁶ - ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، حقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964م، مؤلف توارث عليه بالموارثة ستة أدياء في 115 عاما، ص: 1 وما بعدها، وقد نقل عنه أيضا السيوطي، في البغية، مصدر سابق، ج 1، ص: 103، 203، ونفسه في حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج 2، ص: 125.

⁷ - نقل عنه القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج 5، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ص: 249، وأخذ عنه الأدفوي، في تراجم علماء قوص، يراجع الأدفوي، كمال أبوا الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر، الطالع السعيد في تاريخ الصعيد، جمع وتصحيح أمين عبد العزيز، المطبعة الجمالية، مصر، 1914م، ص: 288.

⁸ - المقرئ، الخطط، مصدر سابق ج 1، ص: 115-161-118.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق 4-9هـ/10-15م)

8.	عبد الواحد المراكشي (ت 647هـ/1275م)، خرج إلى المشرق، وطاب له المقام بمصر من 613هـ-1217م ثم الحجاز والشام فيبغداد ⁽¹⁾ .	صاحب كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب ⁽²⁾ .	مصر
9.	عيسى بن حزم الغافقي الجياني(575هـ/1179م) ⁽³⁾	وصل لمصر في(560هـ/1165م)، ألف كتاب المعرب في أخبار محاسن أهل المغرب ⁽⁴⁾ .	القاهرة
10.	محمد بن محمد فتح الدين"ابن سيد الناس(ت734هـ/1334م) ⁽⁵⁾	ألف كتاب "عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مختصرة في نور العين ⁽⁶⁾ ، وبعضها فقد ⁽⁷⁾	القاهرة

¹ - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ج3، ص:270

² - وقد كان مرجعا لمؤرخين مشاركة منهم: الذهبي في كتابه العبر، عالج سيرة يعقوب المنصور في فترة الموحدين، وقد فرغ من تأليفه، سنة 621هـ/1225م، اختصره على المغرب والأندلس من الفتح 92هـ/711م إلى 620هـ/1225م، أنظر عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، المقدمة، وكذا الذهبي، العبر في خبر من غير، مصدر سابق، ج3، ص:292.

³ - المقري، مصدر سابق، ج3، ص:10.

⁴ - يبدو أنه لم يلق القبول من طرف ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج2، مصدر سابق، ص:385-386.

⁵ - الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج1، ص:219 وما بعدها، وابن حجر الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج4، ص:208، وما بعدها.

⁶ - الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج1، ص:223، وعدّ مرجعا لمن جاء بعده، أنظر ابن شاكر الكتبي، مصدر سابق، ج1، ص:71، وكذا للأدفي، مصدر سابق، ص:569 وما بعدها، وبعدهما السيوطي، في حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:317.

⁷ - اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، بيروت، 1986م، ص:216-217.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

القاهرة	متفوق في حقل التاريخ، ألف كتاب التاريخ، وهو ذيل على أبي شامة ⁽²⁾ ، عدَّ مرجعا لمن جاء بعده من المشتغلين بالتاريخ ⁽³⁾ ، كما صرح بعضهم بذلك في كتابتهم ، منهم العسقلاني ⁽⁴⁾ .	علم الدين البرزالي (ت739هـ/1339م) ⁽¹⁾	11.
القاهرة	ألف سكردان السلطان للسلطان الناصر حسين محمد بن قلاوون، نصائح وسير لبعض الملوك والدول ⁽⁵⁾ ، كما نقل عنه السخاوي ⁽⁶⁾	ابن أبي حجلة التلمساني (م778هـ/1376م)	12.
القاهرة	ألف "المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن" ⁽⁷⁾ .	محمد بن بن أحمد بن مرزوق (ت781هـ/1380م)	13.

¹ - ابن راشد الكتبي، مصدر سابق، ج3، ص:196، وابن تغري بردي، مصدر سابق، ج8، ص:319، وابن أبي حجلة التلمساني، سكردان السلطان، مصدر سابق، ص:452.

² - يبدأ من 665هـ/1267م إلى 738هـ/1338م، وهو مرجع لابن كثير نفسه، كما يورده في البداية والنهاية، مصدر سابق، ج14، ص:183.

³ - الأذفوي، مصدر سابق، ص:386، دائرة المعارف الإسلامية، مج3، الترجمة العربية، مرجع سابق، ص543.

⁴ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، ذكره في المقدمة أنه من أهم مصادره، في ج1، ص:4-5، ونفسه وإنباء الغمر بأبناء العمر، ج1، ص:141 وما بعدها، وابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ينقل عنه أيضا ص:320، 101، 85، 84، 77، كما نقل عنه أيضا، ابن عماد الحنبلي، ج6، مصدر سابق، ص:23-24. ونفسه، ج5، نفسه، ص:425-426، والسيوطي في البغية، ج2، ص:8.

⁵ - ابن أبي حجلة، مصدر سابق، ص:349-350.

⁶ - وله أيضا كتاب حاطب ليل، وديوان الصبابة، يراجع السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:571-572.

⁷ - ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الإمام أبي الحسن، تحقيق، ماريّا خيسوس بيغيرا، دار الأمان، الرباط، 2012م.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق 4-9هـ/10-15م)

14.	عبد الرحمن بن خلدون ⁽¹⁾ (ت808هـ/1405م) ²	ديوان العبر ⁽³⁾ وكتاب سيرة ذاتية التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ⁽⁴⁾ تولى رئاسة القضاء المالكي، والتدريس بالأزهر.	القاهرة مدة 23 سنة
15.	ناصر بن احمد بن مزني (ت823هـ/1520م)	ألف كتاب تاريخ الرواة، وهو مفقود ⁽⁵⁾ .	استقر بالشيخونية القاهرة

والجدول الآتي يبين تعدادهم فيما نشرخ الظاهرة الأعمدة البيانية، والدائرة النسبية أدناه

القرون	4	5	6	7	8	9
العدد	0	0	2	4	4	4
النسبة المئوية	0	0	14	29	29	29
العدد الاجمالي	14					

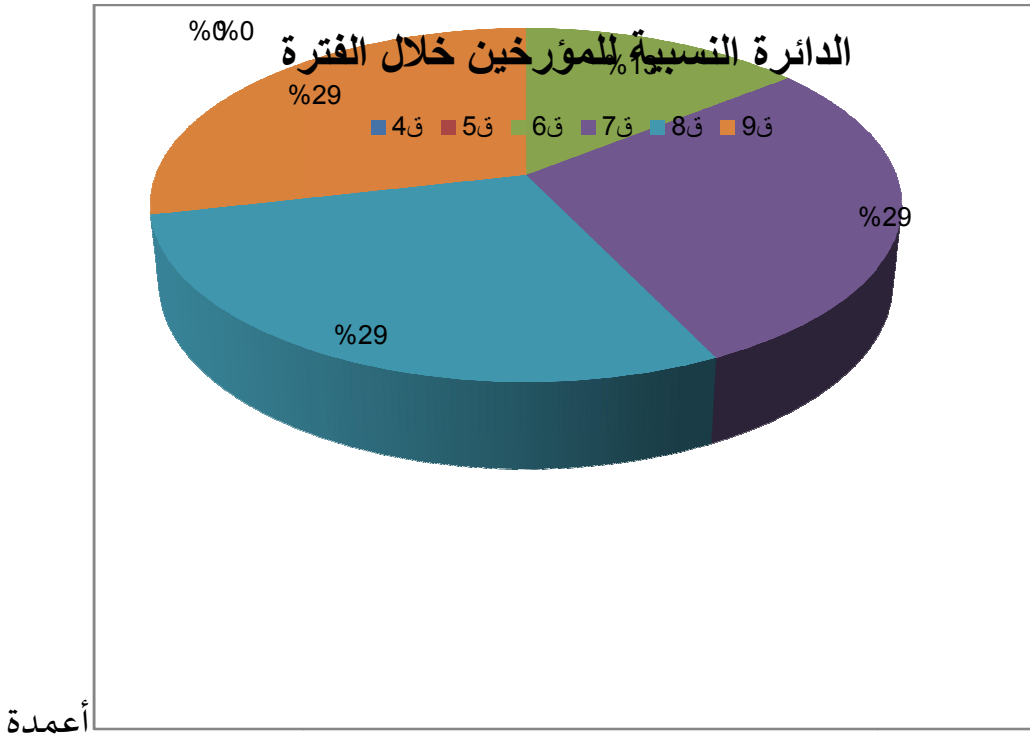
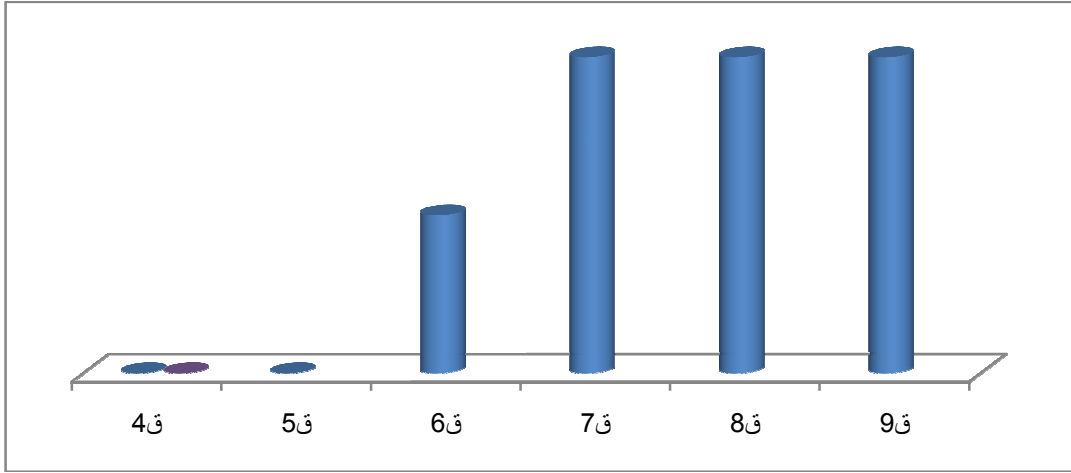
¹ - سبق التعريف به في مساهماته في سلك القضاء، وللتوسعة يراجع محمد عبد الله عنان "كتب تأثرت بابن خلدون" مجلة العربي، ع 82، 1974م، وزارة الثقافة الكويت، ص: 189، 187.

² - أخذ عنه السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ والسيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص: 365، وابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر، مصدر سابق، ج1، ص: 93.

⁴ - نفسه، ص: "43، والمقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، مصدر سابق، ج3، ق1، ص: 324.

⁵ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج10، ص: 195-196.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)



أعمدة

بيانية لتوزيع الظاهرة عبر القرون

- 1- العدد قليل مقارنة بباقي المحالات المعرفية
- 2- انعدام الظاهرة في القرنين 4 و5 الهجريين، لقلة اهتمامات المغاربة به.
- 3- نمو الظاهرة خلال القرون 7 و8 و9 الهجرية، لوجود مساهمين فيها.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

ثانيا: دور المغاربة والعلوم العقلية:

1- منجزاتهم في الطب والصيدلة:

درج حكام مصر منذ العهد الطولوني، ومن بعدهم الفاطميون، والأيوبيون والمماليك على منافسة بغداد في المركز العلمي، فقاموا باستدعاء حذاق صناعة الطب من شتى المناطق وأغرقوهم بالمال والجاه، كحال إبراهيم بن عيسى تلميذ يوحنا بن ماسوية، في بغداد ليصبح الطبيب الخاص لابن طولون⁽¹⁾، فيما تحسنت أحوال الذمة في العهد الفاطمي، وفسح المجال لهم للتطبيب، ولذلك لم غريبا على أطباء المغرب والأندلس من ذمة، ومسلمين الهجرة نحو مصر منذ القرن4هـ/10م، وهم كحال أهل بلدهم الذين كان لهم باع في الرحلة⁽²⁾.

يتراوح سبب وجود الأطباء بمصر في عمومهم، بين طلب العلم، أو الحصول على المال، أو الحظوة والجاه، فممارسة الطب بمصر أضححت رائجة ومصدرا كبيرا من مصادر الرزق، وتفتح الطريق لممارستها إلى مجالس الخلفاء والأمراء⁽³⁾.

فالظروف السياسية التي استقطبت العناصر الأولى من أطباء المغرب، المرافقين للخليفة المعز لدين الله الفاطمي؛ حال دخوله مصر،

¹ - رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل، بيروت، ص:265

² - لطلب الفقه، والتفسير، والقراءات، وقد عرفنا كثرتهم من المستقرين بمصر، أو العائدين منها، كما كان المرتحل منهم لطلب علم الأخلاق والسياسة، ومنهم من رحل للتصوف، أو لطلب الفلسفة، والعلوم الدخيلة، وكانوا شديدا الافتخار بكثرة مشايخهم، لذلك استقطبت مصر عدد من الأطباء المغاربة والأندلسيين، خاصة مع الفتح الفاطمي لمصر واستقرار خلفائهم هناك، منذ منتصف ق4هـ/10م، يراجع محمد بشير حسن راضي العامري، فصول في إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2014م، ص:73.

³ - يتحكم التخصص الطبي في تحديد رئاسة الأطباء، والتحكم في طوائفهم، كرئيس أطباء الكحالة، ورئيس أطباء الجراحة، والطبيب الخاص بالخلفاء والسلاطين، وكانت مستشفيات مصر من أرقى المستشفيات في الإسلام، يراجع، رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص:266.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

فتذكر المصادر أنه رافقه عددًا من أطبائه الذين كانوا يعملون في بلاطه بالمغرب، وأصبحوا لاحقًا مدار النشاط العلمي مع الوسط الطبي المصري المحلي⁽¹⁾، أو أطباء المشرق النازحين لمصر، جراء ظروف سياسية واجتماعية مماثلة، وعبر مراحل خاصة بعد الغزو المغولي للمنطقة⁽²⁾.

من كانت إقامته مؤقتة:

وبالرغم من أن بعضهم كانت إقامته مؤقتة لكنها طويلة وفعالة كحال أبي عبد الله محمد بن عبدون الجبلي العذري القرطبي (ت 361هـ/971م)⁽³⁾، الذي غادر قرطبة واستقر بالفسطاط، ليشرّف على مارستانها مدة، نظرًا لحذاقته، وحسن تديره، وتمكنه من صناعته، كما كان بارعا في الهندسة، والظاهر أن عودته للأندلس من قبيل التمدد المرتبط بحلول سنة 360هـ/971م، تأهب مصر لاستقبال الفاطميين، وفي نفس الفترة تقريبا يصل مصر الطبيب محمد بن يحيى الأزدي الرباحي (ت 358هـ/969م)، واتخذ من الفسطاط مقر إقامة، وبها زاول مهنة التطبيب، بالرغم من إقامته المؤقتة، وغادرها قبل وص الفاطميين⁽⁴⁾.

¹ - إدريس عماد الدين القرشي، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضل الأئمة الأخيار، السبع السادس، أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، ط2، 1984م، يذكر أنه هاجر معه كثير من أمرائه ودعاته، وأعيان دولته، ص: 185.

² - عمار بن علي الموصلبي، محمد بن سعيد التميمي المقدسين الحسن بن الهيثم من البصرة، ومن بغداد المختار بن بطلان، وغيرهم...يراجع، رحاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص: 265.

³ - ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م، ص: 115، المقري، مصدر سابق، ج3، ص13، وأيضا ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص452، والبغدادي، مصدر سابق، ج2، ص: 47.

⁴ - الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج5، ص: 126.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

ومنهم من دخل مصر للإستزادة من الطب والتخصص فيه كحال الطبيب ابن دعامة القيسي (ت365هـ/976م)، الذي دخل مصر طالبا للعلم في الطب، وبرع فيه لكنه ما لبث أن يعود للأندلس⁽¹⁾.

في القرن الخامس كانت حركية الهجرة نحو مصر شديدة أيضا، وهو ما فسح المجال لتوجه أطباء من الأندلس نحوها، كحال أبو محمد عبد الله بن خليفة القرطبي (ت496هـ/1103م)، الذي حرص على الاستزادة من التطلع في الطب، بالرغم من إقامته المؤقتة إلا أنها كانت طويلة، وكان يحرص على التعلم وملاقة أصحاب الصنعة حتى تمكن منها، فلما غادر مصر نحو الأندلس، ذاعت شهرته في عهد ملوك الطوائف و عرف بالمصري⁽²⁾.

وهو ما ينطبق أيضا على الطبيب أبو مروان عبد الملك بن محمد بن زهر الإشبيلي (ت470هـ/1077م)، قصد بغداد، ثم دخل مصر ولبث بها طويلا ممارسا مهنته، بعد عودته من بغداد، وانتفع به أهل المغرب والأندلس⁽³⁾.

واستمر توافد أبناء الأندلس على مصر، في نهاية ق5هـ/11م، وتحديدًا سنة 489هـ/1096م بدخول الطبيب: أبو الصلت أمية بن أبي الصلت الداني، الإشبيلي (ت528هـ/1134م)⁽⁴⁾، على عهد الخليفة المستنصر بالله، ووزارة الأفضل بن أمير

¹ - ابن جلجل، مصدر سابق، ص:107، نهاد عباس، رينال، الانجازات العلمية للأطباء في الأندلس، ص:128، وصاعد الطليطلي، طبقات الأمم، مصدر سابق، ص:81-81، والمقري، مصدر سابق، ج2، ص:151-152.

² - محمد بشير حسن راضي العامري، مرجع سابق، ص:71-73.

³ - ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص:463، وابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص:571، محمد بشير حسن راضي العامري، مرجع سابق، ص:71-73.

⁴ - السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:539، وأيضا ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص:264.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

الجيوش بدر الجمّالي؛ ربما طلبًا للثراء⁽¹⁾، أو رغبة في طلب معرفة طب الأقدمين "كنت في أول جلوسى بها شديد العناية بكتب جالينوس وأبقراط، باحثًا عن مشكلها، فاحصًا عن مستغلقها، فحرصت كل الحرص، وجهدت كل الجهد على أن أجد من أهل هذه الصناعة من استفيد منه وأستزيد بمذكراته، وأقدح خاطرى بمفاوضته⁽²⁾.

وخلال تلك الفترة من إقامته بمصر حرص ابن أبى الصلت على لقاء الأطباء والعلماء والأدباء، رغم إبداء نقده للأطباء المصريين، وإحساسه بالتفوق عليهم، غير أنه أبدى إعجابًا كبيرًا بالعلاج النفسي للمريض، فينشرح صدر المريض وتعود إليه قوته؛ كما ألف، كتاب "الأدوية المفردة على ترتيب الأعضاء المتشابهة الأجزاء والآلية" وهو مختصر رتبة أحسن ترتيب، غير أنه سجن من طرف الوزير، بعد فشله في رفع مركب غارق في بحر الإسكندرية، بما بذله الوزير من إمكانات⁽³⁾.

الدائمون:

كما كان الحال أيضا لأطباء المغرب، إذ وفدوا عيها واستوطنوها، حتى عرف الواحد منهم بالمصري، مثل أعين بن أعين المصري (ت385هـ/995م)، وهو من القادمين مع الخليفة المعز لمصر، وكان أن خدمه بالقيروان أيضا، وتخصص في طب العيون (الكحالة)، وبرع فيها حتى عهد العزيز بالله⁽⁴⁾.

في نفس الفترة تقريبا نجد موسى بن اليعازار، الذي ورث مهنة التطبيب أبناءه، منهم اسحاق بن موسى (ت363هـ/941م)، وإسماعيل، ويعقوب الذي خدم المعز لدين الله، كان مشهورا بالبراعة والحنق في الطب، وكان طبيبه

¹ - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص: 501-515.

² - ابن الأبار، التكملة، مصدر سابق، ج 1، ص: 168.

³ - عمّر 60 سنة، 20 منها بإشبيلية، و20، بالمهدية، و20 منها محبوسا في خزانة الكتب بمصر، صنف في

الطب والتنجيم والألحان، يراجع، ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج&، ص: 261-262

⁴ - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص: 546.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

الخاص ومتولي أمره، ألف موسى كتابا أهداه للمعز "المعزي في الطب" (1). وهي أسرة يهودية، هجرت الأندلس.

وخلال القرن 6هـ/12م اشتهر بمصر من أطباء الأندلس، يوسف بن أحمد بن حسداي اليهودي (ت522هـ/1128م)، كان بارعا في الطب مطلعاً على كتب المتقدمين، دخل مصر بدعوة من الخليفة الأمر بأحكام الله في 516هـ/1122م، الذي أحاطه بكرمه؛ كسوة ورسوما، ودار للإقامة بالقاهرة، بعد اعتناقه الإسلام، وكتب له منشور أورده المقرئ، يتضمن مظاهر عديدة للحفاوة والتكريم لهذا الطبيب، أهمها اعتماده رئيساً للأطباء في مصر، كما رسم له السياسة العامة للنهوض بصناعة الطب في مصر، في 516هـ/1123م (2)، وكانت له نشاطات كثيرة بإشرافه على طلاب علم الطب، وتدريبهم، كما كان يلتقى بأطباء القاهرة والفسطاط، بغرض المناظرات العلمية، فضلا عن التأليف في الطب.

أما بعد الفترة الفاطمية، فإن أمر الأطباء المغاربة سيعلو بشكل مميز، بإشرافهم على الممارسات، وقيامهم بتطبيب السلاطين فضلا عن إسهامهم في إنتاج المعرفة العلمية، بقيت الإشارة على أن هؤلاء ضلوا موسوعيين، فكانوا حفاظا ومقرئين ومحدثين، وغلب عليهم الطب؛ وارتقوا لمراتب إدارة المشافي كما يوضحه، وأكثرهم اشتغلوا بالهندسة والفلسفة، كما أن أكثرهم ذمة، ولعل الجدول التالي جدير بإبراز بعض التفاصيل :

¹ - نفسه، ص:545.

² - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص:499،501.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق 4-9هـ/10-15م)

الرقم	اسم الشخصية	الوظيفة والعمل	الإقامة
1.	الطبيب الوشاح ابو الحجاج يوسف بن عتبة المتوفى عام 366هـ/1229م	طبيبا ودينا ووشاحا مطبوعا ، دخل افريقية ، ثم مصر	ومستشفيات بمارستانها ⁽¹⁾
2.	أحمد بن محمد بن خلف القرشي أبو العباس الشريشي السلوي (641هـ/1243م)	طبيب	مصر الفيوم ⁽²⁾
3.	أبو الحسن علي بن صالح	مصر ⁽³⁾	أمراض العيون القرافة
4.	الرئيس موسى بن ميمون القرطبي اليهودي	أقام بالفسطاط أوحده زمانه في الطب بالأندلس، متفنان في العلوم و الفلسفة، صنف مقال	طبيب صلاح الدين وابنه الأفضل علي

¹ - ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ج 1، ص: 236.

² - متصوف مالكي برع في علم الكلام، وأصول الفقه، تصوف على يد السهروردي، يراجع الزركلي، مصدر سابق، ج 1، ص: 219، وأيضا ابن الآبار، التكملة، مصدر سابق، ج 1، ص: 108.

³ - ابن الزيات، ص: 11 و المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج 3، ص: 480.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق 4-9هـ/10-15م)

	البواسير للملك علي بن صلاح الدين ⁽¹⁾		
5.	أحمد بن محمد الأشبيلي، ابن الرومية (637هـ/1239م) ⁽²⁾	عالم ومحدث وعشاب ⁽³⁾ لم تدم إقامته طويلا بالقاهرة وغادرها نحو دمشق	له معرفة في تركيب الأدوية ووصفها، والبحث في الأعشاب
6.	ابن البيطار ضياء الدين أبو احمد عبد الله بن احمد المالقي ⁽⁴⁾ .	مصر 628هـ/1230م وأشهر كتبه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مقدمات حضيا لدى "الكامل" محمد بن أبي بكر الأيوبي (560- 779هـ/1218-1238م)	وعينه رئيس العشابين، ت 646هـ/1249م بدمشق ⁽⁵⁾

¹ - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص: 582، 583.

² - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص: 538، وأيضا، ابن الأبار، التكملة، ج1، مصدر سابق، ص: 107، وابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، مصدر سابق، ج1، ص: 487، وما بعدها، وأيضا لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1973م، ص: 207-214، وكذا محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية شرقية وغربية، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1970م، ص: 339 وما بعدها.

³ - العيفة حاج، مرجع سابق، ص: 125.

⁴ - ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص: 588، والسيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص: 542.

⁵ - رجاب خضر عكاوي، مرجع سابق، ص: 279، 278، 285.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

القاهرة	رئيس الأطباء، طبيب عام،	أحمد "شهاب الدين" بن المغربي (¹)	7.
رئيس الأطباء بالديار المصرية طبيب السلطان	مصر القاهرة كان صاحب حظوة لدى الملك الناصر محمد بن قلاوون أوجد زمانه في الطب وأنواع الفضائل(³)	إبراهيم بن احمد" جمال الدين" ابن المغربي(ت756هـ/ 1355م)(²)	8.
رئيس الأطباء مداواة العيون	، تقدم في الطب القاهرة سنياط،	يوسف "صلاح الدين" بن محمد	9.

¹ - المقريزي، السلوك، مصدر سابق، ج 3 قسم 1، ص:249 ، وأيضا ابن حجر العسقلاني إنباء الغمر، مصدر سابق، ج1ص:101، ونفسه، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج5، ص:239-240، وأيضا ابن فضل الله العمري، مصدر سابق، ج9، 334،

² - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، مصدر سابق، ج1، ص:35.

³ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج10، ص:321، وابن تغري بردي، المنهل الصافي، مصدر سابق، ج1، ص:35، وما بعدها يورد تاريخ وفاته بقوله توفي عن نيف وأربعين وسبعمائة هجرية، أواسط ق8هـ/ أواسط ق14م.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق 4-9هـ/10-15م)

علم الكحالة	صاحب الجامع الذي على الخليج الحاكي	بن المغربي (ت 776هـ/1374م) ¹	
رئيس أطباء مصر (750هـ/1349م) ²	مصر، واشتهر عهد الأشرف قلاوون	احمد المغربي الاشبيلي	10.
درس الطب بمصر	ألقى الدروس بدمشق وبيت المقدس، دّرس بالأزهر وباقي المدارس له صداقة مع السخاوي (5)، متقدما في الطب ابن حجر في مرضه وداواه، (6)	أبو الفضل المشدالي (ت 864هـ/1460م) ³ دخل مصر 849هـ/1442م (4)	11.

¹ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 10، ص: 321، وابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج 4، ص: 464، والسيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج 1، ص: 546. ينتمون عائلة علمية طبية ابن المغربي.

² - محمد العربي الخطابي، الطب والأطباء بالأندلس الإسلامية، دراسة وتراجم ونصوص، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص: 22.

عبد الكريم بوشويرب، التواصل الثقافي بين أطباء المشرق والمغرب، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، 1998م، ص: 121-125

³ - سبق التعريف ضمن المؤرخين في هذا البحث، وانظر أيضا، مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص 457

⁴ العبدري، مصدر سابق، ص: 561، وأيضا

Louis Pouzzet, op. cit., pp177-178

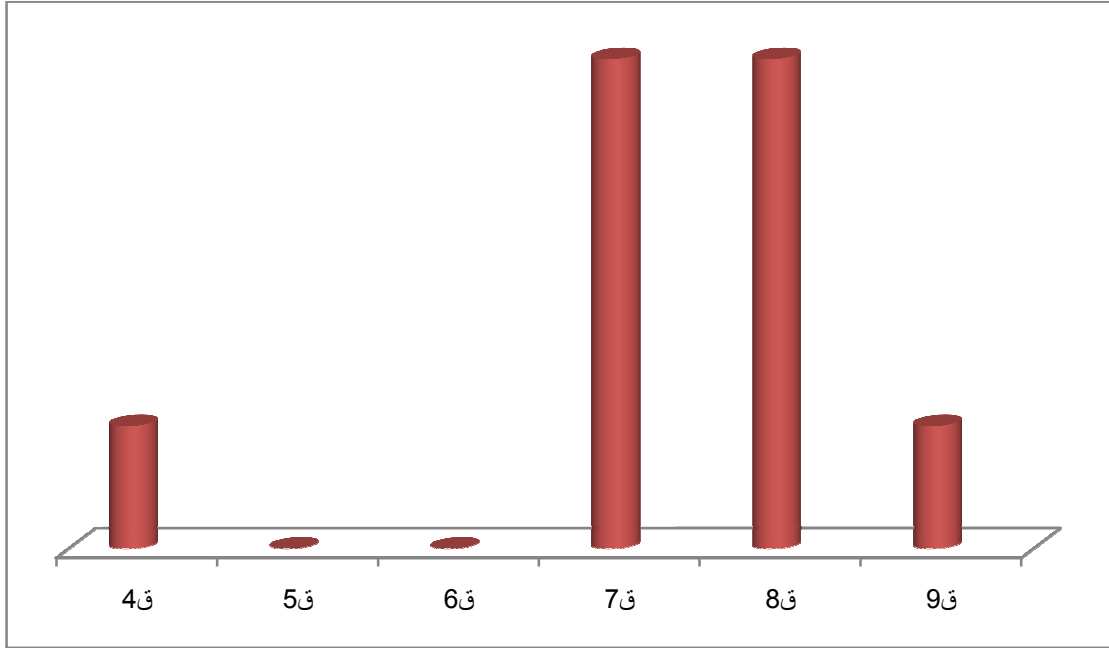
⁵ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 3، ص 149، 155

⁶ - العيفة حاج، مرجع سابق، ص: 122.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

عدد الأطباء و الصيادلة المغاربة بمصر خلال الفترة

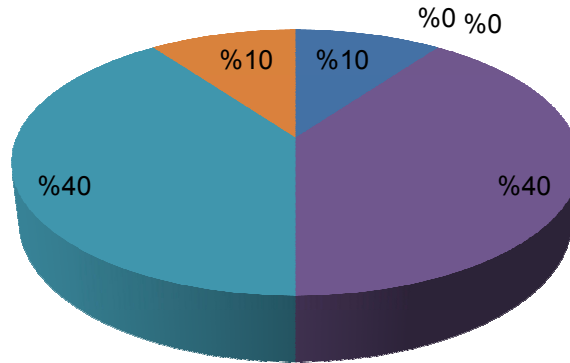
القرون	4	5	6	7	8	9
العدد	1	0	4	4	1	1
النسبة المئوية	0	0	40	40	10	10
العدد الإجمالي	11					



أعمدة بيانية لتوزيع الظاهرة عبر القرون

الدائرة النسبية للأطباء و الصيادلة المغاربة بمصر

■ 4ق ■ 5ق ■ 6ق ■ 7ق ■ 8ق ■ 9ق



الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

ملاحظات:

- 1- العدد قليل مقارنة بباقي المحالات المعرفية
- 2- انعدام الظاهرة في القرنين 5 و6 الهجريين، لقلة اهتمامات المغاربة به.
- 3- نمو الظاهرة خلال القرون 7 و8 الهجرية، لوجود مساهمين فيها.

2- دور المغاربة في الفلسفة بمصر:

للحديث عن الفلسفة وتاريخها وإسهامات المغاربة في مصر حدود البحث، فإنه توجب علينا أن نقر بما ذهب إليه المقري: "وأما الفلسفة فهو علم ممقوت بالأندلس، لا يستطيع صاحبه إظهاره فلذلك تخفى تصانيفه"⁽¹⁾.

كما لم تكن سبل المعرفة للفلسفة تلق الرواج لها كباقي العلوم أيضا في المشرق؛ لاعتبارات تهمة الميل نحو الزندقة، والفلسفة تنبني على الجدل والنقاش، وجاء للأندلس بغير وجهها، وكانت بصحبة العلوم التطبيقية كالرياضيات والفلك والطب⁽²⁾، وبالتالي لا يجوز تدريسها، مثلها مثل الكيمياء، ف"الحكمة وعلوم الأوائل" كتمها الناس وأظهروا ما يجوز لهم منها كالحساب والفرائض، حتى نهاية عهد الدولة الأموية بالأندلس، ليعم التسامح لاحقا خلال عهد الطوائف، وتكلم أصحاب الآراء بما أرادوا، ورغم ذلك فإن الفلاسفة، لو حقوا واتهموا ببلاد المغرب⁽³⁾، أما بمصر فالأمر يختلف على الأقل خلال العصر الفاطمي، إذ زود الخلفاء الفاطميين مكتباتهم بمختلف أصناف الكتب، وسمحوا للطلبة بالتزود بها وقت الحاجة خاصة بدار الحكمة⁽⁴⁾، وكذا بمساجد مصر الأزهر

¹ - المقري، نفع الطيب، ج3، مصدر سابق، ص:186، ونفسه، ج2، ص:221.

² - انخل بالنتيا، مرجع سابق، ص:225.

³ - دخول وانتشار رسائل إخوان الصفا بالأندلس من طرف الطبيب الكرمانى، واشتغل ابن باجة بالفلسفة، كانت له خصومات، بعد دخوله فاس التي مات بها مسموما، ومن بعده ابن طفيل وابن رشد، نفسه، ص:333، وما بعدها.

⁴ - أو دار العلم التي افتتحت في 517هـ/1123م، يتلقى الطلبة بها إلى جانب علم أهل البيت وعلوم الشيعة، اللغة والطب والفلسفة والمنطق والتنجيم، واشتهر بها أساتذة كابن يونس المنجم، وابن الهيثم،

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

والجامع الحاكي، مع العلم أن فقهاء أهل السنة كانت لهم مساجدهم ودروسهم، كما بجامع عمرو بن العاص الذي كان به أئمة كبار على مذهب أهل السنة⁽¹⁾، حيث كان من المغاربة من له اهتمام بالكلام كأبي عبد الله محمد بن مسلم بن محمد الصقلي المازري⁽²⁾، الذي أخذ العلم ببلده مازر، ثم دخل أفريقية وأخذ عن علمائها بالقيروان، ثم قصد الحجاز، ليدخل مصر واستقر بالإسكندرية والتي أقرأ بجامعها، وهو من أكبر علماء الأصول والكلام، كان قد درس أصول الكلام، وصنف فيه كتباً منها؛ كتاب البيان لشرح كتاب البرهان⁽³⁾، وكتاب المهاد لشرح الإرشاد للجويني أيضاً⁽⁴⁾، على عهد الفاطميين بمصر.

ولكن بنشاط المدارس التي أنشئت لاحقاً لتقوية تيار أهل السنة، بمجيء صلاح الدين الأيوبي الذي أمر بقتل الفيلسوف المتصوف، السهروردي⁽⁵⁾، مُظهراً عدم التسامح معهم في الاتجاه العام ل، فإن خلفائه لاحقاً بسطوا نوعاً من الاعتراف بالفلاسفة، والذين لم تطب قلوبهم، ووجدوا من الفقهاء عداء شديداً، إذ سَوَّقوا عن الفلاسفة صوراً سيئة لدى العامة والحكام على السواء، رغم أن ذلك داخل في إطار المحافظة على الوضع القائم الذي يستفد منه الفقهاء، وكان منهم:

وعلي بن رضوان، جمال الدين سرور، مرجع سابق، ص:156، وأيضاً، أيمن فؤاد السيد، الدولة الفاطمية تفسير جديد، مرجع سابق، ص:385.

¹ - كان لأبي بكر النعالي المالكي حلقات بجامع عمرو بن العاص تدور على سبعة عشر عموداً لكثرة الحاضرين، كانت إليه الرحلة والإمامة بمصر، وروي عنه كثير من المغاربة والأندلسيين، تراجع ابن فرجون، مصدر سابق، ص:354.

² - ابن مخلوف، مرجع سابق، ص:125.

³ - البرهان في أصول الفقه، لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني ركن الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (478هـ/1085م).

⁴ - كان حياً سنة 520هـ/1126م، نفسه، ص:125، وثبت حسن حسني عبد الوهاب تاريخ وفاته في 530هـ/1136م. الإمام المازري، نوابغ المغرب العربي، دار الكتب الشرقية تونس، ص:94.

⁵⁵ - صاحب كتاب حكمة الإشراق

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

محمد بن عبد المالك النحوي اشتهر بمعرفته للفلسفة و وضع كتاب مقدمة المنطق⁽¹⁾، ومنهم أيضا عبد الله بن حجام المغربي الذي استقر بالقاهرة، وقد أَلَّف في المنطق، ولم يسم هذا المؤلف⁽²⁾، كما كان منهم علاء الدين علي بن محمد الباجي(ت714هـ/1315م) الذي استوطن القاهرة، وصف بأنه أبصر أهل زمانه في الأصلين والمنطق والحساب، غير أنه لم يؤلف فيه⁽³⁾، وكان أن ولي بيت المال بالكرك، ثم ناب في الحكم بالقاهرة، تقشف في آخر حياته⁽⁴⁾.

¹ - الصدفي، الوافي بالوفيات، ج1، مصدر سابق، ص:205.

² - السخاوي، التحفة اللطيفة، ج1، ص:310.

³ - له كتب في الفرائض والحساب والرد على اليهود، السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، مصدر سابق، ص:544.

⁴ - أخذ عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأخذ عنه قاضي القضاة تقي الدين السبكي، وأثير الدين أبو حيان النحوي، يراجع الزركلي، مصدر سابق، ج4، ص:334، وابن راشد الكتبي، مصدر سابق، ج3، ص:73،74.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

ثالثا: النخب العاملة المغربية وإشكالية الانتقال المذهبي:

من خلال دراستنا للفعل الثقافي والفكري المغربي بمصر كانت لنا بعض الملاحظات، التي مهدنا بها في المقدمة، عن سرّ التغيير المذهبي، أو التحول المذهبي خاصة في الحقل السني، فوقفنا على مواقف مجموعة كبيرة من علماء المغرب، فضلا عن علماء في دائرة العالم الإسلامي، ومن خلال توسيع دائرة البحث وجدنا مصنفا للسيوطي⁽¹⁾، يعالج القضية ويبرر اختلاف المذاهب، على أنها وجوه لفهم الشريعة، وأن كل مجتهد مصيب، كما وضع المؤلف أسباب الانتقال، ما خص البحث الأقل ثلاث شخصيات مغربية تحولت من المالكية إلى الشافعية، ينتمي الأول لغرناطة، بينما إثنان منهما كان مجالهما الجغرافي، المغرب الأوسط، فما هي أسباب ذلك؟

تتيح لنا بعض المصادر التاريخية أن عددا من الأعلام وقع لهم الانتقال المذهبي، في الإطار السني العام، بعد تشكل المذاهب الفقهية، كما في القرن 3هـ/9م، بانتقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت268هـ/881م)⁽²⁾، كان مالكيا بمصر ولما دخلها الشافعي، انتقل لمذهب الشافعي، ثم عاد لمذهب الإمام مالك، لما لم يحصل له استخلاف الشافعي⁽³⁾، كما انتقل الأخنائي (ت750هـ/1348م) من الشافعية نحو المالكية⁽⁴⁾، و انتقل

¹ - السيوطي، جلال الدين، جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، تحقيق عبد القيوم بن محمد شفيع البستوي، دار الاعتصام، مصر.

² - ابن فرخون، الديباج، مصدر سابق، ص: 300.301.

³ - السيوطي، جزيل المواهب، مصدر سابق، ص: 54، لم يذكر ابن فرحون انتقاله، ولكنه قال فيه مقولة ابن القاسم: "كان على مذهب مالك، وصحب الشافعي، ورسخ في مذهبه، وربما تخير قوله عند ظهور الحجة"، نفسه، ص: 301.

⁴ - كان شافعيًا ثم تحول إلى المالكية، ولي الحسبة، وكان قاضي قضاة المالكية بمصر، وكانت وفاته بالقاهرة، التنكي، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ص: 60.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

الخطيب البغدادي (ت496هـ/1103م)⁽¹⁾، من المذهب الحنبلي، وصار شافعيًا، كما تحول ابن دقيق العيد من المالكية إلى الشافعية⁽²⁾.

فالانتقال المذهبي، وجد من القرون الأولى، كما انه لم يقتصر على مناطق دون أخرى، فيقع التحول، أو الانتقال داخل دائرة الفقه السني، بلا حرج، وقد تتعدد دائرة الانتقال بوتيرة ثلاثية كحال ابن الدهان (ت612هـ/1216م)، الذي كان حنبليًا ثم انتقل حنفيًا، ثم أصبح شافعيًا، بصورة تدعو إلى الحط من قيمته، فتعرض للهجاء⁽³⁾، و سبب الانتقال راجع لغرض تولية منصب تدريس النحو بنظامية بغداد، بالشرط الواقف على المذهب الشافعي.

غير أنه من قبيل استعراض سير هؤلاء العلماء، وتتبع أخبارهم، فإنه كان لبعض الأعلام المغاربة، نصيبهم من هذا الانتقال، وكان لهم ما كان للمشاركة من الظاهرة، فعندما غادروا نحو المشرق واستقروا به، أصابهم الانتقال، خاصة أهل المغرب الأوسط؛ فحالة يحي بن معطي الزواوي (ت628هـ/1233م)، الذي تكوّن بحاضرة بجاية⁽⁴⁾ على

¹ - هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد المعروف بالخطيب البغدادي، أحد أبرز الحفاظ، وصاحب التصانيف أشهرها تاريخ بغداد، وغيرها، ت عماد الحنبلي، شذرات، مصدر سابق، ج5، ص:262، 263. وأيض، ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص:92. وأيضًا السبكي، طبقات، مصدر سابق، ج4، ص:29.

² - وقد ذكره العبدري في الرحلة، كان مالكيًا على رأي أبيه، ثم انتقل شافعيًا، يذكره بنوع من الاستنكار الممزوج بالاعتراف بأهليته، يراجع الرحلة، مصدر سابق، ص، 300. كما أن ابن القويح التونسي قال فيه شعرا، يراجع أيضا، السيوطي، جزيل المواهب، مصدر سابق، ص:57، وكذا خلفات مفتاح، مرجع سابق، ص:469، هامش، 3.

³ - السيوطي، جزيل المواهب، مصدر سابق، ص:57، قالها أبو زيد التكريتي

فمن مبلغ عني الوجيه رسالة وإن كان لا تجدي إليه الرسائل

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل وذلك لما أعودتلك المآكل

وما اخترت رأي الشافعي ديانة ولكن لأن تُهدى الذي منه حاصل

وعما قليل لا شك صائر لملك فافطن لما أنت قائل

⁴ - يستعرض الباحث بركة مسعود مركزية قبيلة زاوية برياديتها للمشهد الثقافي ببجاية، كما عددهم، بين من تولى مناصب التدريس، أو مباشرة الإدارة، أو من كانت له رحلة للمشرق، يراجع مسعود بركة

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

المذهب المالكي، برعاية أستاذه الجزولي أبي موسى، ومع وصوله لمصر تحول عنه نحو الشافعية، ولم يلبث طويلا على هذا المذهب، ليحصل له التحول الثالث، وهذه المرة نحو المذهب الحنفي، وغادر مصر ومذهبا وأقام بالشام، حيث سكن دمشق، أين تولى إمامة المشيخة العلمية بجامعة⁽¹⁾.

قد يرتبط التحول المذهبي، أيضا بحالة الفقر والفاقة لفئة العلماء، خاصة مؤسسات الدينية المتكفلة بهذه الفئة محسوبة الواقفين بشرط الانتساب المذهبي الذي يقصي عادة المالكية، ويسها الأمر على المنتسبين لباقي المذاهب السنية الثلاث (الشافعي، الحنبلي، الحنفي)، والانتساب إليها متوقف على التضلع بقواعد المذهب والتحقق من أصوله وفروعه، فكثرة الفقراء والعلماء المالكيين عادة لا تلبى حاجاتهم، فكان هذا عاملا للانتقال المذهبي، تفاديا لبقائهم في المعاناة، وهو في نظر البعض اختيار موفق⁽²⁾.

فيما يُفضّل هذا الزواوي الوظيفة بدل البقاء على المذهب المالكي في دمشق، لما وجد رعاية من الملك الكامل هناك، ويجد نفسه كذلك يغادر دمشق ويدخل القاهرة، بطلب من الملك الكامل، لإكمال رسالته حيث انتصب لها بالجامع العتيق ويدخل مصر بمذهب ثالث، فهو بقدر ما يغير الجغرافية الإدارية، لا يغير جغرافية المذهب؛ والناس على دين ملوكها..

إن تجربة الانتقال المذهبي، لا تتوقف عند يحيى بن معطي، بل تتصل بزواوي ثاني، وهو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن منصور بن يحيى بن عيسى الزواوي (683هـ/1248م)، الذي أقام بمصر، وتحول أيضا من المالكية نحو الشافعية،

النخبة والسلطة في بجاية الخفصية (7-9هـ/13-15م)، دار ميم للنشر، الجزائر، 2014م. ص: 106، وما بعدها.

¹ - السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص: 437.

² - فهي تكتيكا واستراتيجية، ومناورة، فهم "حازوا الدنيا وحفظوا الآخرة"، إذ لم تعرضوا له بالنقصان والزيادة"، يراجع علي، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام، مرجع سابق، ص: 130، في حين رحب بالتحول المذهبي واعتبر اختيارا موفق، مفتاح خلفات، مرجع سابق، ص: 463.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

فآل إليه تولي منصب الإمام بالمدرسة اليازجوكية⁽¹⁾، فأضحى مفتيا ومدرسا على المذهب الحنفي، ووجد بمصر منصبا عاليا توفر له الراحة، والاطمئنان وعملية الانتقال أيضا ترتبط بالمكسب الدنيوي، وعلى النقيض من ذلك فإن بعض الزوايين تحصن بالفقه المالكي، وبمصر الشافعية وثبت على المذهب المالكي، كحال شرف الدين الزواوي⁽²⁾، الذي بالغ في مالكيته وسخر قواه، لتقوية المذهب بذاكرته، التي مكنته من حفظ مسائل المذهب وقضاياه، ورحل نحو الشام، مالكيا كما عرفنا، وغادرها نحو مصر مالكيا⁽³⁾، فالمسألة قد تبدو شخصية أكثر مما يتوقع.

بينما يتكرر المشهد المذهبي نفسه خلال القرن 8هـ/14م، مع شخصية مغربية، تنحدر هذه المرة من غرناطة، وهو أبو حيان أثير الدين النحوي (ت745هـ/1345م)⁽⁴⁾، الذي كان ظاهريا⁽⁵⁾، ثم تحول للشافعية، وقد دخل مصرفي حدود 679هـ/1280م، ويرجع سبب مغادرته الأندلس لوحشة وقعت له مع شيخه أحمد بن علي بن الطباع، في شبابه⁽⁶⁾، وقد يكون سبب مغادرة الفقه مرتبطة أيضا بمغادرة الجغرافية، ولن يكتمل ذلك، إلا بمغادرة خوف

¹ - المقرئ، الخطط، مصدر سابق، ج5، ص:62، ما بعدها.

² - المقرئ، مصدر سابق، ج3، ص:278-282، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:146، وابن قاضي شهبة، المصدر السابق، ج1، ص:288، فسر آيات من القرآن الكريم، في كتاب البحر المحيط في التفسير، ثم أختصره بعنوان إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب.

³ - رد على ابن تيمية في مسألة الطلاق، يراجع، مسعود بريكة، مرجع سابق، ص:145.

⁴ - المقرئ، مصدر سابق، ج3، ص:278-282، وابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج6، ص:146، وابن قاضي شهبة، المصدر السابق، ج1، ص:288، فسر آيات من القرآن الكريم، في كتاب البحر المحيط في التفسير، ثم أختصره بعنوان إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب.

⁵ - المقرئ، مصدر سابق، ج3، ص:140-186، ثم تمذهب بالشافعية، تأثرا بمشايخه بمصر، نفسه، ج3، ص:155.

⁶ - كان أبو حيان، كثير الاعتراض على شيخه أيام قراءته عليه، فألف كتابا سماه، "الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع"، فشكاه للأمير، فخاف على نفسه فاستعجل الرحيل، يراجع المقرئ، نفسه، ج3، ص:187، 183.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

السلطة السياسية، بمغادرة المذهب، وقد مدح الإقامة في مصر، لكثرة الموارد وقلّة النفقات، علما بأن الغرناطي، هذا كان إماما في اللغة متبحرا فيها، عالما بالفقه، وقد تعاطف معه المقري؛ فهو تغرب وورد البلاد ولا شيء معه، وتعب حتى حصل المناصب⁽¹⁾، ويبدو أنه حقق إجماعا مذهبيا وجغرافيا، فلما حضرت وفاته بمصر؛ أقيمت عليه صلاة الغائب بالجامع الأموي بدمشق.

بقي في الأخير محاولة التعرف عن القسنطيني، وهو أحمد بن محمد القسنطيني (ت 872هـ/1467م)، تقي الدين أبو العباس، يعرف ب"الشمي"، وهو من مشاهير المغاربة الذين احتضنتهم مصر وقدم لها من جهده وفكره، مساهمة كبيرة، علما بأنه من مواليد مدينة الإسكندرية، لسابقة سكنى أهله بها، وارتحل للقاهرة، وسكنها، حيث أبدع في علوم النحو والعربية وكان شيخا للنحاة⁽²⁾، وقد تكون أحد العوامل التي حددت مساره المذهبي لاحقا، بتحويله من المذهب المالكي، نحو الحنفية في (834هـ/1431م)؛ امتزاجه بالوسط المصري بالقاهرة مولدا ونشأة، واشتغاله في التأليف والتدريس، وتحويل للحنفية، تكاد تكون مشابهة، لسلفه وأستاذه غير المباشر في النحو أبو حامد الغرناطي.

عموما ترتبط عملية الانتقال المذهبي بعوامل اجتماعية واقتصادية وأخرى سياسية، تفرز هذه الظاهرة الجديرة بالدراسة والبحث، وهي فسحة للنخبة العاملة في إطار المرجعية السننية الكبرى، إذ لا يقع حينها الحرج، بينما تكبير المأساة، وتحويل إلى كارثة مذهبية، عند التحول من السنة نحو مذهب

¹ - يكفي الفقير في مصر أربعة أفلس تشتري له بائنة بفلسين، وبفلس زبيبا، وبفلس كوز ماء، وتشتري ثاني يوم ليمونا يأكل به الخبز، نفسه، ج"، ص:149.

² - مصادره، ابن القاضي المكناسي، مصدر سابق، ص:50، والسيوطي، بغية الوعاة، مصدر سابق، ج:9، ص:203.

الفصل الرابع دور المغاربة في الحياة العلمية والفكرية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

الشيعة ويقع الذم، كما هو الشأن بالنسبة لعائلة النعمان محمد بن حيون المغربي، أو نصف الحمد كما وقع لواحد من المغاربة في فترة الدراسة، يتعلق الأمر بابن منظور (711هـ/1312م)، صاحب اللسان، الذي عنده تشيع بلا رفضن وهو من مواليد مصر الذي ولى شطره نحو التدريس هربا من الفساد الإداري⁽¹⁾.

كما سجلنا في الأخير ملاحظة غاية في الأهمية، أن المتحولين إلى مذاهب أخرى كان النصيب الأكبر للنحويين، كالحالات السابقة على الأقل الأربعة التي مرت معنا.

تجدد الإشارة أخيرا أن السيوطي في مصنفه حول قضية التحول الفقهي إلى قضية فقهية، جرت عليها الفتوى بهل يجوز التحول أم لا؟، فنذكر أنها تجوز، مع ما عرض من حالات المتحولين فقهيًا، وضبط الإجابة بالواجبة والمكروهة والمحرمة، ترتبط بالفقيه الرأس، والمتحول لأجل زيادة العلم والمتقرب من السلطان وتسيير الوظيفة⁽²⁾.

¹ - محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، ترجمته في ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب مصدر سابق، ج6، ص: 268، وابن القاضي المكناسي، مصدر سابق، ص: 289، 288، وأيضًا، السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص: 388.

² - للاستزادة أكثر، يراجع السيوطي، جزيل المواهب مصدر سابق، ص: 41، وما بعدها.

الفصل الخامس

الدور الاجتماعي و الاقتصادي للمغاربة بمصر

(4-9هـ/10-15م)

أولاً- دور المغاربة في الميدان الاجتماعي

1- أوضاعهم وعلاقاتهم

2- في التصوف والعمل الخلقى

ثانياً- دور المغاربة في الميدان الاقتصادي

زراعة وبستنة – صناعة – تجارة – حرف أخرى

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

أولا : دور المغاربة الاجتماعي بمصر

1- أوضاعهم وعلاقاتهم بمصر:

تتنوع الإشارات وتختلف مظاهر التأثير المغربي في الحياة المصرية كواقع تاريخي، محصلة التواجد والإقامة المغربية بمختلف البلاد المصرية، فبغض النظر عن تواجدهم ، وتشكلهم في فئة ذات بنية اجتماعية وسياسية وفكرية، داخل النسيج المجتمعي العام، يسير شؤونها متولمها، أو رئيسها حسب الطوائف النشيطة في المجتمع، فإن مجموعة الوثائق وأرشيفات المحاكم الشرعية⁽¹⁾، تسعفنا في تقصي مكانتهم، وتتبع أخبارهم، في الدائرة المغربية الواحدة الصغرى، في حين توضح بعضها الآخر التمازج في الدائرة الثانية الكبرى، دائرة العلاقات مع باقي الطوائف، تتعداها أحيانا للمعاملة مع الطوائف الدينية الأخرى.

إن قراءة الوثائق في المحاكم الشرعية، هي محاولة إعادة بناء واقع تاريخي يصور مجتمع الجالية المغربية بالإسكندرية⁽²⁾، ونشاطات أفرادها من حيث أسلوب تعاملاتها التجارية بين بعضهم البعض⁽³⁾، أو مع باقي أفراد الجاليات الأخرى، أكانت عربية أم غير عربية كما تبين لنا باقي وثائق المحاكم

¹ - سجلات محكمة طولون، سجل رقم 244، ق 466، و- سجلات القسمة العسكرية، سجل 208، ق 480. و- سجلات محكمة المنصورة، سجل 18، ق 442- أرشيف المحكمة الشرعية بالقاهرة، سجل 333، ص: 81.

² - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، "الوثائق المتعلقة بالمغاربة في محكمة الإسكندرية الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية، السنة 11، ع35-36/1984م، ص:123-137..

³ - نفسه، ص:130، 131، وثيقة (4). ص(43، مادة135)، والوثيقة (6)، (ص:71 مادة:223)

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

الأخرى⁽¹⁾، مع وثائق الإسكندرية؛ حقيقة انتشار كبير للمغاربة في جميع البلاد المصرية، وكثرة امتلاكهم للأراضي الزراعية وباقي العقارات، كما أن المغاربة أنفسهم كانوا يقفون هذه العقارات في أعمال البرّ، وسبل الخيرات، وخدمة مصالح المؤسسات الدينية، كالزوايا والربط، لغرض دفع ديمومة وظيفتها الدينية باستثمار عائداتها⁽²⁾، وهي من أفعال البرّ التي أثرت في المجتمع المصري، وصار الوقف من الوسائل التي يبادر بها كبار التجار أو الأثرياء⁽³⁾.

هذا الثراء الكبير الذي ميّز أعضاء الجالية المغربية، خاصة فئة التجار الذين على شأنهم وارتفعت مرتبتهم، وأصبحوا محور العملية السياسية خاصة في عهد المماليك، الذين لجأ بعضهم للاقتراض من المغاربة المياسير أموالاً للصالح العام على عادة سيرة المماليك، كان ذلك بفضل الأنشطة الاقتصادية التي يقومون بها خاصة المشتغلون منهم في حقل التجارة⁽⁴⁾، أو من امتهانهم الطب كرئيس الأطباء إبراهيم بن أحمد جمال الدين بن المغربي الحظي لدى

¹ - سجلات محكمة طولون، سجل رقم 244، ق 466، و- سجلات القسمة العسكرية، سجل 208، ق 480. و- سجلات محكمة باب الشعرية، سجل رقم 642، ق 183، و- سجلات محكمة المنصورة، سجل 18، ق 442 - أرشيف المحكمة الشرعية بالقاهرة، سجل 333، ص: 81.

² - عبد الرحيم عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 126.

³ - لنظام الوقف الأثر الكبير، في تشييد بنية الحضارة الإسلامية، وذلك عن طريق إثراء كثير من جوانب هذه الحضارة وبنائها، فعن طريق الوقف بنيت كثير من المساجد والمدارس ودور التعليم المختلفة والمكتبات، وتم الصرف عليها بما يضمن استمرارها في أداء رسالتها على الوجه الأكمل، وعن طريق الوقف تمت متابعة الصرف على الحرمين الشريفين عبر كثير من العصور الإسلامية، وأمنت طرق الحج وسهلت رعاية الحجيج، وعن هذا الطريق أيضاً تم الصرف على العديد من الجيوش الإسلامية الموجهة للجهاد في سبيل الله، وفكّ أسر مجموعات من أسرى المسلمين، وعن طريق الأوقاف تمت رعاية المرضى والمحتاجين من الفقراء والمساكين وأنشئت دور الرعاية الصحية والاجتماعية على اختلافها، في الموضوع يستحسن الرجوع ل: عبد العزيز بن محمد الداود، الوقف: شروطه وخصائصه، مجلة أضواء الشريعة، الرياض. كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع 11 (1400هـ)، وأيضاً، عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط 8، القاهرة دار الفكر العربي (1968م)، و محمد محمد الأمين، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر 648 - 923هـ / 1250-1517م - دراسة تاريخية وثائقية- القاهرة: دار النهضة العربية، (1980م)، وغيرها.

⁴ - حاج عيفة، مرجع سابق، ص: 343.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

(ق4-9هـ/10-15م)

الملك الناصر بن قلاوون⁽¹⁾، وقد وصفه ابن حجر العسقلاني في الدرر، أنه كان قارون زمانه، بكثرة ثرواته، مع ما كان عليه من الاقتصاد في النفقات، كما أن هذا الثراء فضلا عن عوائده من المهنة، ومن هبات السلاطين وهداياهم⁽²⁾.

في الحياة العامة المغربية ورصد الأحوال الاجتماعية لهم، من حيث عاداتهم وتقاليدهم، في قضايا الأسرة من حالات الزواج والطلاق، فإن المصادر المكتوبة والوثائق الأرشيفية، تبين بوضوح انفتاح المجموعات المغربية المقيمة بمصر على باقي الجاليات، مما يسمح لها باندماج اجتماعي كبير في الوسط العام، فهم يصاهرون، أو يتصاهرون مع باقي الجاليات، وتسمح نفس الوثائق بمعرفة حتى الزواج من الجوّاري بأوصافهن البيض، أو السود، في المخالطة المطلقة لعمق المجتمع المصري⁽³⁾.

كما تعكس الوثائق نفسها؛ المحافظة الشديدة التي أبدتها المغاربة على العلاقات الأسرية، خاصة في تربية الأبناء حال حدوث الطلاق، بالاتفاق على الطريقة المثلى لتربية الأبناء، والاعتناء بهم من الناحية الشرعية بما يضمن

¹ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مصدر سابق، ج1، ص:16، وأيضا السخاوي، الضوء اللامع،

مصدر سابق، ج10، ص:321.. وابن تغري بردي، المنهل الصافي، مصدر سابق، ج1، ص:35

² - يراجع ما قدمه السلطان إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حمص (ت732هـ/1332م)، لما قدم القاهرة مرة لابن المغربي رئيس الأطباء بسبب تدبير الشفاء لابن المؤيد "فأفرط المؤيد في الإحسان لابن المغربي، وأعطاه فرس بكنبوش زركش وعشرة آلاف..."، ابن حجر العسقلاني، الدرر، مصدر سابق، ج1، ص:373. وكنبوش غطاء يوضع أسف سرج الفرس.

³ - سعد زغلول عبد الحميد، الأثر المغربي والأندلسي، مرجع سابق، ص:209-210، وسجلات محكمة الاسكندرية، مخزن، 46، سجل 4، مادة 997، ص:284.

لهم حق انتقال الثروة والميراث، للأبناء حال الوفاة، وحتى الإحساس بالخطر أثناء الحياة⁽¹⁾.

وخارج المدن حيث التكتلات القبلية، فإنه على ما يبدو تعصبت قبائل المغرب البربرية بزعامة هوارة، التي سادت على المنطقة التي تمتد من البحيرة حتى الوجه القبلي، وانتشروا بها "انتشار الجراد"، وأصبحت لهم الإمرة من الهندسة حتى أسوان، وخضعت لهم القبائل الأخرى قاطبة وأصبحت خدما لهم "كما يروي القلقشندي⁽²⁾، مما يوحي أن التلاحم لا يزال قائما بين القبائل البربرية حتى زمن القلقشندي أواخر القرن 9هـ/10م، صاحب الانطباع السيئ عن القبائل المغربية، كما سبقت الإشارة، أو أنه أراد أن يردها على ابن خلدون في وصف الهلالية بالمغرب، وتبسطهم في السهول، أو ليست هجرة عكسية تحمل تراكمات التاريخ والإثنيات، وتشتاط الأحاسيس والمدركات.

¹ - عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مرجع سابق، ص:126.

² - القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص:69.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

2- دور المغاربة في التصوف والعمل الخلقى:

أ- الصوفية والتصوف:

عرفت البلاد المصرية دخول عدد معتبر من المتصوفة المغاربة بمختلف اتجاهاتهم وميولاهم، وتبعاً لما تعرضوا له من مضايقات تحد من أنشطتهم وممارساتهم، فأثروا الإقامة بالمشرق، بما وقّر لهم من خلوة وانقطاع وتعبد، ومجاورة للحرم المكي والمدني والقدس الشريف، ومارسوا أعمالهم الخلقية في التعبد والزهد، وانتظموا فيما عرف بالتيارات الصوفية.

وجدت الصوفية كممارسات ومذاهب، قبل أن تحمل هذا الاسم⁽¹⁾، وقد ارتبط ظهوره في الحقبة الأولى ممثلاً في شخص الحسن البصري (ت110هـ/728م)، شيخ الصوفية الأول؛ وأول رجالها الذين آثروا الاعتزال السياسي والفكري وحتى الاجتماعى⁽²⁾، غير أن الاختلاف حول مفهومها واشتقاق أصل كلمتها كان كبيراً، وحتى في آراء أئمة التصوف أنفسهم، فهي تنسب إلى الصفاء تارة، أو لبس الصوف، أو أهل الصّفة، أو لكلمة صوفيا اليونانية التي معناها الحكمة تارة أخرى⁽³⁾.

¹ - في كتابه يضع جاك شوفيلي، تواريخ لبدء التصوف والمتصوفة في عالم الإسلام دون إحالتها ظهور أسمها، لأول مرة في 159هـ/776م على يد زاهد عراقي(الحسن البصري)، ثم انتشر المصطلح في الكوفة وبغداد، كما ظهر في الإسكندرية سنة 205هـ/821م، جماعة من المتطهرين الثائرين على فساد السلطة، ليتأسس في 369هـ/980م أول مجلس للتعليم الصوفي، يراجع له، التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر قيني، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص:7، وما بعدها.

² - جورج كتوره "التصوف والسلطة، نماذج من القرن السادس الهجري في المغرب والأندلس"، مجلة الاجتهاد، ع12-3، بيروت، 1991، ص:182

³ - Sophia, Sàphos، نفسه، ص:9.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

ولئن ربط ماسينيون، بأنها تعني الصحابي والتابعي والصوفي⁽¹⁾، الذين هم فئة من الناس حاولت ربط المجتمع روحيا وفطريا بالإسلام، وربطهم بخالقهم، لتحقيق لتوازن في حياتهم اليومية، لكبح عقولهم لئلا يميلوا إلى المادة، أو إلى جانب الروح، فميّزوا بين الفرق بين الإلهام والتعلم والفرق بين طريقة الصوفية في استكشاف الحق وطريقة النظار⁽²⁾، كما قال ابن خلدون: "فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثامن وما بعده وخيم الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة⁽³⁾".

وقد تواجدت تاريخيا مجموعة من المتصوفة المغاربة في مدينة الإسكندرية، وحتى خارجها لاعتبارات عديدة⁽⁴⁾، فهي تعد مركزا للتصوف بسبب تواجد ممثلي أهم الطرق بالمشرق والمغرب من رفاعية، وقادرية، وحتى من تلامذة أبي يعزى (ت572هـ/1177م)⁽⁵⁾، وابن العريف (ت536هـ/1141م)⁽⁶⁾، وتوافرها على عدد هائل من الخانقات والزوايا وتوفرها على جو روحي متميز، وهو الأهم بالنسبة للمتصوفين المغاربة⁽¹⁾.

¹ - نور الدين محمد دنياجي، مرجع سابق، ص:41

² - نفسه، ونفس الصفحة

³ - ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص:514، وما بعدها، ولكن يُعدُّ مصنف ابن خلدون في الإجابة عن السؤال، هل يكفي لسلوك التصوف قراءة المصنفات، أم أنه لا بد من شيخ يعلم الطريقة؟، يراجع عبد الرحمن بن خلدون، شفاء السائل في تهذيب المسائل، تحقيق ابو يعرب المرزوقي، الدار العربية للكتاب، لبنان، 1991م، ص:175، وما بعدها.

⁴ - منها أنها مكانا رباطا ومقصد جهاد ألهه المغاربة والأندلسيين، من نزوع للمرابطة والاستشهاد دفاعا عن حياض المسلمين، وهي أيضا ظلت مدينة سُنيّة على مذهب الإمام مالك، في عهد الفاطميين، كانت تلبي حاجات الأخلاقيين المغاربة العقديّة والمذهبية تغري المغاربة على الإقامة بها في غياب لحدود مرسومة بين أطراف البلاد الإسلامية، طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص:15-58

⁵ - التميمي الفاسي، المستفاد، مصدر سابق، ص:28، وما بعدها، وابن الزيات، مصدر سابق، ص:214-

⁶ - أحمد أبو العباس ابن العريف صوفي من مواليد مدينة المرية، وبها تتقف ثقافة عصره من فقه وأداب وضروبا من التصوف، له كتاب في التصوف محاسن المجالس، نشره بلاسيوس بالفرنسية في 1933م،

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

كما سمح موقعها الجغرافي على توثيق أو اصر العلاقات بينها وبين بلاد الغرب الإسلامي، فهي "باب المغرب" المغرب الإفريقي والمغرب الأندلسي، وباعتبارها المحطة الأولى لرحلة المغاربة واتصالهم بعالم الشرق، من حجاج وعلماء تجار⁽²⁾.

و السؤال المطروح بما أن التصوف حركة فكرية أو ثقافية، ما هي أصولها ومصادرها واتجاهاتها؟، وما هي العلاقة بينها وبين السلطة السياسية؟ بمعنى كيف يستفاد من التصوف كوضع قائم؟ فلا يتجاوز، أو كيف ينظم بشكل يُحد من أهميته؟ وما هو الأثر المغربي في مظاهر التصوف في الحياة الاجتماعية وعلاقتها بالسلطة في إطار الأزمات⁽³⁾؟

من الأجدر أن نعرف أن الصوفية كانوا قد انقسموا على أنفسهم من حيث الفهم والممارسة للتصوف، إلى فئتين هما:

الفئة الأولى:

يتمثلون الاتجاه السنّي، وما يؤثر عن السيرة النبوية من مظاهر الزهد والتقشف والبعد عن الملاذ، همهم الاتباع والافتداء ما استطاعوا⁽⁴⁾، وترجمة

اجتمع حوله مريدين كثير، عمل على إحياء، "إحياء" الغزالي، فاستدعي للبلط بمراكش لكنه مات قبل وصوله له، ابن الزيات مصدر سابق، ص: 118 وما بعدها، وأيضا ابن سعد، مصدر سابق، ص: 133-135، وأيضا، جورج كتورة، مرجع سابق، ص: 203-206.

¹ - محمد الرايس، "تأثير مدرسة أبي الغوث بمصر خلال القرنين الهجريين السادس والسابع"، التواصل الصوفي بين مصر والمغرب، مرجع سابق، ص: 172-173-174

² - في حديثه عن تعامل صلاح الدين مع الحجاج المغاربة ورفع عنهم دفع المكوس، وهي رواية متسلسلة عن طريق الشيخ الصالح أبو العباس السبتي، يراجع العبدري مصدر سابق، ص: 217، وأيضا، أحمد مختار العبادي، التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مدريد، السنة 1995، العدد 27، ص: 63

³ - Vochez; *La spirtialite du moyen âge occidental*; P.U.F; Paris; 1975.p166.

⁴ - ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج1، ص: 526.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

ذلك تواجدهم في الزوايا والربط والخانقاواه، وقد كان لهؤلاء فائض التقدير وجميل الاحترام من كل أطراف المجتمع، وحتى السلطة كانت تتقوى بهم لما قدموه من فضل العودة بأهل مصر لحاضرة السنة، ولما لهم من مشاركة ثقافية في المسار العام في تاريخ مصر⁽¹⁾.

الفئة الثانية:

والتي كان تصوفها ممزوجا بالفلسفة، وهو تيار خارج عن حدود النوع الأول، بسبب ما كان لهم من الوصول إلى درجات الاطلاع على عوالم غيبية، اكتسبها من المواهب الربانية والرياضة والمجاهدة⁽²⁾، علما بأن متزعمي هذا التيار، لم يجد له مكان بمصر إذ تحفظ عليه فقها وسلطة، وسنعرف مدى ذلك في ختام المبحث⁽³⁾.

لعل التجربة الصوفية في مصر بعد زوال الخلافة الفاطمية منها، آل إلى الاستنجاد بالصوفية أكثر من موقع؛ إن في الجهاد ضد الصليبيين، أو لغرض التربية الروحية، فأصبح بذلك الصوفي شريكا سياسيا، بإرادته أو بغيرها يبرز عملية الإصلاح الاجتماعي والديني، لذلك فهو يحظى بتقدير

¹ - كان من أفضل صلاح الدين الأيوبي توفير كامل الرعاية لأصحاب الطرق الصوفية، من بناء الربط والخوانق والزوايا، وإجراء الأرزاق عليها بما يضمن العيش الكريم، وأكثر تردده عليهم، علي أحمد الأندلسيون والمغاربة، مرجع سابق، ص:172.

² - يراجع ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص:521، مما بعدها "ذهب الكثير من المتأخرين من المتصوفة المتكلمين إلى الحلول والوحدة، مثل الهروي وتبعه ابن العربي وابن سبعين، وابن العفيف وابن الفرضي، على أن سلفهم مخالطين للإسماعيلية".

³ - أبرز برهان الدين البقاعي (ت 885هـ/1480م) في كتابه "تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي"، وتحذير العباد من هذا العناد، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، 1980م، ص:150-183.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

السلطة السياسية، التي شملته برعايتها، وأقامت له "الخانقاه"⁽¹⁾، وهو المركز الذي يتجمّع الصوفية فيه⁽²⁾.

بما أن التصوف كان أسبق للظهور بالمشرق قبل المغرب⁽³⁾، كما أن التصوف بالأندلس حُمل عليه في أكثر من مناسبة وتاريخ، وأصدرت في حقه فتاوى "الخروج" عن الملة، وتنفيذ حكم الإعدام بسبب مؤلف، أو إصدار فتوى لحرق كتبهم⁽⁴⁾، غير أن آخرين ممن اعترف بالمتصوفة واقعا؛ لا يمكن تجاوزه، وأعلى من شأن المتصوفة، فألفوا فيهم كتباً، ذكروا فيها مناقبهم وأوصلتهم تجربتهم الخلقية لتبوءهم مناصب سياسية⁽⁵⁾.

سيكون منطلق التصوف في الغرب الإسلامي في النصف الثاني من (ق6هـ/12م) مع ابن العريف بالمريّة في الأندلس، وعلي بن محمد بن حرزهم (ت559هـ/1164م)⁽⁶⁾. وهو أصيل مدينة فاس ودفينها، المشهور بالفقه والحفظ

¹ - كلمة فارسية، أصلها خانكاه، موضع أكل الملك، وهي زاوية للصوفية، وقد بادر ببنائها صلاح الدين الأيوبي للفقراء ورتب للواردين إليها أرزاقاً معلومة، يراجع، محمود كرد علي، خطط الشام، ج6، مطبعة التريقي، دمشق، 1927م، ص:133. و أيضاً، المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، المصدر السابق، ج2، ص 414، 416.

² - أحمد مختار العبادي، التأثير المتبادل بين الإسكندرية والمغرب، مرجع سابق، ص:63.

³ - محمد المغراوي، "التواصل الصوفي بين المغرب والمشرق إلى حدود القرن 7هـ/13م"، مجلة دعوة الحق، ع2010/395، المغرب، 2010م، ص:77، وما بعدها.

⁴ - يورد تجربة ابن الخطيب التي أودت بحياته من خلال مؤلفه، "روضة التعريف بالحب الشريف"، كما كان مدار الفتوى في حرق كتب "الفتوحات المكية" لابن عربي، و"خلع النعلين" لابن قسي، وهي حملة ضد التصوف امتدت حتى عند ابن تيمية، جورج كتورة، المرجع السابق، ص197، 196.

⁵ - يراجع الغبريني، أبو العباس بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، محمد بن شنب، دار البصائر الجزائر، 2007م، وأيضاً ابن التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق، أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2، 1997م.

⁶ - اهتم المغاربة حديثاً بالتعريف به من حيث تشكل المعرفة الصوفية، في جانب من جوانب التصوف، يراجع، كريمة بنسعاد، "الاجتهاد العلمي لصوفية المغرب أصالة وامتداد، من أعلام التصوف المغربي إبان

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر ق(4-9هـ/10-15م)

والزهد، وكثرة القراءة لكتاب "إحياء علوم الدين"⁽¹⁾، كما تطور التفكير الصوفي، أيضا، مع الشيخ أبي يعزى بن يلنور(ت572هـ/1177م)، وهو أشهر من أجمع على مكانته في التصوف المغربي، فهو قطب عصره وأعجوبة دهره لكثرة كراماته⁽²⁾، وغيرهم من وصلتهم وفود للسمع والتماس البركات، كانت الحياة إقبال على العبادة من صوم وصلاة وسلوكيات كالتقشف والزهد⁽³⁾.

في حين تتلمذ أبو مدين التلمساني "شعيب" الغوث (ت594هـ/1198م)، بالأندلس على الشيخ ابن حرزهم والذي كانت له رحلة علمية لمدينة فاس، ليلتقي بأبي يعزى وأخذ عنه، ثم سافر لمكة واجتهد في التحصيل أكثر، وقد التقى بعبد القادر الجيلاني في موسم الحج، رفقة ابن مرزوق التلمساني⁽⁴⁾، وعاد للتدريس ببجاية⁽⁵⁾، ومأها بإشعاع تصوفه وعلمه، ليعمّ الغرب

القرن 6هـ/12م، أبو الحسن علي بن حرزهم نموذجاً"، مجلة قوت القلوب، ع2012/1م، المغرب، ص:71 وما بعدها.

¹ - جورج كتوره، مرجع سابق، ص:168-178.

² - يلنور بن عبد الله الهزميري، أبو يعزى، قطب المغرب، وهو صاحب المكاشفات، يراجع ابن سعد، مصدر سابق، ص:406، وما بعدها، وأيضا محمد العدلوني، "التصوف المغربي في القرن السادس الهجري: عصر المرابطين"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع30، 2010م الرباط، ص:18-20، ترجم له ابن زيات، مصدر سابق، ص:213، وابن مخلوف، مصدر سابق، ج3، ص:64.

³ - الشيال، مرجع سابق، ص:163.

⁴ - أبو مدين صوفي أندلسي مشهور ولد بقطيانة قرب اشبيلية، توفي بالعباد بالقرب من تلمسان، يراجع دائرة المعارف الإسلامية، ج1 ص398 وما بعدها، وابن مرزوق المذكور هو أبو بكر بن مرزوق توفي في (ق 6هـ/12م)، وكان متريدا إلى بيت الله الحرام، وبهذا كان مشتهرا ومحترفا، يراجع ابن مرزوق التلمساني، أبو عبد الله بن حمد بن مرزوق، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2008م، ص:60، 61، وأيضا، ابن سعد، مصدر سابق، ص:380، وما بعدها.

⁵ - الطاهر بونابي، "نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط"، مجلة حوليات التراث، ع2/2004م، جامعة مستغانم، الجزائر، 2004م، ص:15، وما بعدها... كانت بجاية ملتقى التيارات الصوفية، وأرباب التصوف، ق6 و7 و12 و13م، كما أن من أشهر تلاميذه، وسمع عليه، القصد الأستى، ابن حماد الصنهاجي، صاحب كتاب أخبار بني عبيد، مصدر سابق، وأيضا، عاشور منصورية، ورحماني موسى، مرجع سابق، ص:310-339.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

الإسلامي وباقي المعمورة، لكنه سعيّ به⁽¹⁾، واستدعي منها للبلاط الموحد من طرف الخليفة أبو يوسف يعقوب (المنصور) الذي امتدت خلافته من (580-595هـ/1184-1199م)، ربما لمحاكمة أفكاره الثورية، والتي رآها المتزمتون من الفقهاء خطريهم، فعاجله الموت، بالعباد بتلمسان، وهو في القيد، وكان قد جمع بين الحقيقة والشريعة⁽²⁾، على أن أبرز تلاميذه بمصر، والذي سيكون له شأن في الفكر الصوفي المصري، هو عبد الرزاق الجزولي⁽³⁾.

فبعد الرازق الجزولي (592هـ/1196م)، فهو من المصامدة، أخذ الطريقة على يد أبي مدين الغوث واستقر بالإسكندرية، فهو أحد أهم تلامذة أبي مدين، وأهل لتمثيل طريقة شيخه بمصر طيلة عشرين سنة، بما توفر هذه المدينة من ظروف لإقامة المرابطين والمتصوفة في الرباطات لغرض التعلم والتعبد والجهاد⁽⁴⁾.

فالغوث أبي مدين كان له كبير الفضل في نشر التصوف ببلاد مصر من حيث تكوينه لعدد كبير من طلبته كما بيّن ذلك ابن ظافر الأزد في رسالته⁽⁵⁾،

¹ - ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن الحسين القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقيير، في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه رضي الله عنهم، تحقيق، أبي سهل نجاح عوض صيام، تقديم علي جمعة، دار المقطم، القاهرة، 2002م، ص: 14-22، وترجمته لدى ابن الزيات، مصدر سابق، ص: 319 وما بعدها، وأيضا التميمي، مصدر سابق، ص: 41-42، وابن مريم، البستان، الجزائر، 1904، ص: 108 وما بعدها، وأيضا التنيكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مج 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص: 207-213، وأيضا، ابن سعد، مصدر سابق، ص: 395-396.

² - محمد العدلوني الإدريسي، مرجع سابق، ص: 36.

³ - يرى الباحث عبد العزيز بن عبد الله، "أن الغزو الفكري الصوفي المغربي للمشرق، لعله ارتبط بابن عربي أو أواخره 6هـ/12م، وتبلور بعد ذلك في المنهج مع الشاذلي"، معلمة التصوف الإسلامي، ج3، آثار التصوف المغربي في الفكر الصوفي المشرقي، دار نشر المعرفة، الرباط، 2001م، ص: 145.

⁴ - محمد الرايس، "تأثير مدرسة أبي الغوث شعيب بمصر خلال القرنين الهجريين السادس والسابع"، التواصل الصوفي بين مصر والمغرب، كتاب أعمال ندوة، المحمدية، مطبعة كونراد أديناور، المغرب، 2000، ص: 167، وما بعدها.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر ق(4-9هـ/10-15م)

رسالته⁽¹⁾، خصصها للحديث عن شيوخه، وعن الحياة الصوفية بالإسكندرية، كما كان من تلامذته، خاصة المغاربة منهم المستقرون بمصر أو العائدون لبلدانهم.

كانت تربية الجزولي تنصب أساسا على الجانب العلمي الأوراد والخلوات والأذكار والدراسة لكتب الفقه والتصوف، فهو كشيخه حرص على مراعاة التوازن بين الحقيقة والشريعة، وهو ما عكس تكوين تلاميذه من الناحية الفقهية بالجيد، واتخذ رباطا لنشر تعاليمه، على حجرات صغيرة تعرف بالزوايا يختلي فيها المرید للأوراد.

ومن أشهر تلاميذه، بمصر الذين توزعوا على مجموعة من الحواضر والقرى المصرية وانتسبوا لها، كمدينة قنا، بجنوب مصر التي أصبحت مركزا للإشعاع الروحي، بفضل أحد كبار تلاميذه أيضا، وهو عبد الرحيم بن أحمد القنائي الغماري (ت 592هـ/1196م)⁽²⁾، الأصل من إقليم سبتة، لبس الخرقة على يد أبي يعزى، تتلمذ على يد أبي مدين، انتقل للحجاز مجاورا مدة تسع سنين، ثم دخل قنا وأقام بها، وهي من أعمال قوص بالصعيد⁽³⁾، وكانت إقامته رحمة لأهلها، بها تزوج، وله فيها الولد⁽⁴⁾.

¹ - *Safi al-Din Abi L-Mansour Ibn, Zafir, Introduction, édition et traduction par Denis Gril, Institut Française d'Archéologie Orientale du Caire, 1986,*

² - ترجمته عند السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج 1، ص: 515، وما بعدها، وأيضا الزركلي، مصدر سابق، ج 4، ص: 118.

³ - أهم مدن إقليم قوص: أدفو توصف بأنها مدينة الفقه والعلم، وأسنا بمدينة الترف والشعر، وقنا مدينة الزهد والتصوف، راجع حمزة عبد اللطيف، الحياة الفكرية في مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016، ص: 167.

⁴ - كمال الدين الأدفوي، الطالع الصعيد، مصدر سابق، ص: 156-158.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

ولما استقر بها أسس رباطا لنشر تعاليم الطريقة، فعينه السلطان العزيز عثمان (589-596هـ/1193-1199م)⁽¹⁾، شيخا لقنا حتى وفاته في ومن بين أحد رفقاءه كان تلميذا لابن عريف، وهو أبو النجا سليم، وهو جمع القناوي بين مدرستي المرية والمدينة، وعمل على نشر تعاليم الطريقة في البلاد المصرية بفضل تلامذته، كأبي العباس الطنجي.....، وأبو الحسن الصباغ الذي ورث مشيخة الرباط بعد وفاة شيخه.

وقد ترك هو عددا كبيرا المصريين كأبي القاسم المراغي، وأبي يحيى بن شافع؛ صهره ووارث سره من بعده، ومن تلاميذه من المغاربة والأندلسيين كأبي عبد الله الشاطبي(ت672هـ/1360م)⁽²⁾، وأبي الحجاج يوسف بن محمد بن علي المغاور(ت613هـ/1216م)، قدم من المغرب، اشتهر بالولاية والكرامات، أقام بقنا وبها توفي، وقد كان أبو الحجاج هذا، تلميذا أولا للغزالي تلميذ ابن العريف أحمد(ت535هـ/1140م)، وكان يتبع أسلوب المنج بين التصوف والفلسفة في اشتغاله بالتصوف⁽³⁾.

¹ -المقدسي، شهاب الدين، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف الذيل على كتاب الروضتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص:25، وعند ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج4، ص:319، وأيضا، ابن الأثير، مصدر سابق، ج10، ص:255، تاريخ وفاة العزيز 595هـ/1198م.

² - أبو عبد الله، محمد بن سليمان بن محمد المعافري الشاطبي، ويقال له ابن أبي الربيع، عالم بالقراءات، مولده بشاطبه سنة 585هـ/1189م، تفقه وروي الحديث في الأندلس، والشام، والحجاز، ومصر، وانقطع للعبادة في الإسكندرية، كان يزوره الظاهر بيبرس يزوره ويستمع إليه، عاصر القباري، و أبي شامة وغيرهما، نظر ترجمته عند، ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص:243، وأيضا، الصفدي، مصدر سابق، ج3، ص:128.

³ - نصوص من التراث الصوفي الغرب الإسلامي، تحقيق محمد العدواني الإدريسي، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 2008، ص:19، وكذا محمد الرايس، "التواصل الصوفي"، مرجع سابق، ص:174.

أما في مدينة الأقصر، فكان بها أبو الحجاج الأقبيري (642هـ/1244م)⁽¹⁾ الذي تتلمذ على يد شيخه الجزولي، تلميذ أبي مدين، وكذا القناوي وحبیب العجمي أيضا، وترك بعض التلاميذ منهم مفرج، واستقر عقبه بالفسطاط والقاهرة واستمروا في تلقين الخرقة المدينية.

أما في الفسطاط، فكان منهم القرشي فهو أيضا كان تلميذا لأبي مدين، اجتمع حوله أبو العباس القسطلاني، وأبو الحجاج يوسف بن سليمان، وقد ربط تلاميذ أبي مدين بمثلهم مدرسة المرية بمصر، وعزز المدرسة بالمدينة التي تعززت بوصول عبد الله القرطبي، وأبي العباس الضيرير (ت623هـ/1226م)، الذي برع في القراءات، حافظا بارعا للحديث، استقر بالقاهرة وانتفع الناس به⁽²⁾، كذلك أبو العباس الحرار الأندلسي الأصل، فالتفوا حول القرشي، وكانا الأخيران تلميذين لأبي أحمد جعفر، تلميذ أبي مدين، ثم وصل الفسطاط تلميذ آخر لأبي مدين، هو أبو يوسف الدهماني الذي صاحبه الحرار، وقد ترك هو الآخر بعض التلاميذ كأبي الحسن علي بن الدقاد المغربي الأصل وصفي الدين ابن المظفر المذكور سابقا، يمثل حلقة وصل بمدرسة المرية مع هذه المدارس، كما تأسست مدرسة القرافة بالقاهرة بعد عودة أبي العباس الضيرير من الحج⁽³⁾.

كما كان من بينهم الأستاذ أبو الحسن الشاذلي (656هـ/1258م)⁽⁴⁾، تلقى مبادئ التعليم الأولى تونس⁽¹⁾، ثم شد الرحال للمشرق للحج سنة

¹ -السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:516.

² - نفسه، ج1، ص:517.

³ - محمد الرايس، مرجع سابق، ص:175.

⁴⁴ - فهو أبو الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم كانت ولادته بغمارة بالمغرب الأقصى، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء بنت الرسول"ص يوسف الكتاني، "الجسور الدائمة

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

(615هـ/1218م)، والثانية والتي دخل فيها للعراق في(618هـ/1221م)، وهناك كان يلتقي بالعلماء وأكثرهم الزهاد والمتصوفة⁽²⁾، على رأسهم أبي الفتح الواسطي الذي توفي بالإسكندرية في(632هـ/1235م)، الذي صحبه بالعراق قبل أن تضطره الظروف للعودة للمغرب فالتقى بمولاي الشيخ عبد السلام بن مشيش(ت626هـ/1228م)⁽³⁾، الذي زاره بعد عودته من المشرق في رحلته الأولى وأخذ عنه حب الله والفناء، وهي مبادئ روحانية تنادي العبد بان يقبل على حب الله ويفنى في هذا الحب، وأذن له الشيخ بالسفر إلى تونس⁽⁴⁾، إذ استفاد من متصوفها ومنهم تلاميذ أبي الغوث⁽⁵⁾، وقد تأثر بالمتصوف علي بن عبد الله بن حرازهم بالمغرب ولبس الخرقة على يديه، وفي تونس بعد كثرة

بين الشعوب، العلماء نموذجاً"، ندوة العلاقات المغربية المصرية، المغرب، 1992، ص:42، كما تنسبه المصادر هو الآخر إلى قبيلة غمارة بإقليم سبتة؛ ولد سنة(593هـ/7-1196م) وأخذ الطريق على يد عبد السلام بن مشيش الذي وجهه إلى "إفريقية"، (أي تونس) وأنبأه بالظهور في المشرق، فكان أن استقر بالإسكندرية، موجّهاً وهادياً إلى سبيل الله بكلامه "القريب العهد بالله" إلى أن وافته المنية في طريقه إلى الحج سنة(656هـ/1258م)، مختصر دائرة المعارف، مرجع سابق، ج 29، مادة الشاذلي، ص:6061-6063.

¹ - أهم كتب طبعته حياته هي: كتاب ختم الأولياء، للحكيم الترمذي، وكتاب المواقف والمخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النفري، وكتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، يراجع، يوسف الكتاني، نفسه، ص:43.

² - سيدي أحمد الرفاعي، يراجع، ابن سعد، مصدر سابق، ص:136-138، وأيضا يوسف الكتاني، مرجع سابق، ص:43 والشيال، مرجع سابق، ص:166 وقد تأثر به كثيرا المرسي، وقال: دخلت العراق ولقيت جملة من المشايخ، فلم أر أحسن من الشيخ أبي الفتح الواسطي، الشيال، مرجع سابق، ص:166.

³ - عالم متصوف زاهد عاش زمن الخلافة الموحدية، وهو أستاذ المتصوف أبي الحسن الشاذلي، وقد مات شهيدا على يد جماعة دسهم ابن أبي الطواجن الكتامي المدعي النبوة، يراجع عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، ودار البشائر الإسلامية، الرباط، ط 2003/4، ص:90-91، وأيضا الزركلي، مصدر سابق، ج17، ص:4-9- وأيضا، أحمد السعيد، "من التراث الصوفي المخطوط بالمغرب مناقب ابن مشيش"، مجلة دعوة الحق، 2010/395م، المغرب، 2010م، ص:55، وما بعدها.

⁴ - يراجع الشيال، مرجع سابق، ص:169، وأيضا نور الدين محمد دنياجي، أبو الحسن الشاذلي "مقاربة عامة لخصوصيات شخصية مشتركة بين المغرب ومصر" التواصل الصوفي بين مصر والمغرب، مرجع سابق، ص:33 وما بعدها.

⁵ - الشيخ أبي محمد المهدي، والشيخ أبي سعيد الباجي، كما يذكرهما الشيال، مرجع سابق، ص:165.

مريديه وأتباعه، وعرف الناس فضله وصلاحه وتقواه خافه بعض الفقهاء، وشكوا أمره للسلطان أبي زكريا الحفصي، بتهمة التآمر ونشر التشيع، بل له مذاهب الإلحاد والخروج عن الدين الزندقة، فاستدعاه السلطان وعقد مجلسا للمناظرة وإتاحة فرصة للشاذلي الدفاع عن نفسه، وخرج منها منتصرا، على حساب لقاضي الجماعة أبي القاسم محمد بن البراء (ت677هـ/1278م)⁽¹⁾، بإبلاغ حكام مصر الاحتراز من الشاذلي، ويتمه بالإنارة والتشويش، بمصر التي نزل بها الشاذلي تستقبله بالاعتقال، بأمر من الملك الكامل محمد الأيوبي (615-635هـ/1218-1238م)، واقتيد إلى القلعة وجرى الحوار والامتحان ، فكان منه الثبات والانتصار، وما تعرض له من مضايقات من بعض الفقهاء، ولما أكد له مقصده الحج ثم التحول إلى تونس، فكانت له الحظوة ومن الملك الاعتراف، فخلي سبيله ليقتضي مناسكه، ويعود لتونس، وفاء لعهد قطعه للسلطان الحفصي، وما يسجل هنا من احتكاك حاصل يدخل في إطار العلاقة الصدامية بين الولي والفقهاء⁽²⁾.

و أثناء عودته لتونس يلتقي الشاذلي بأهم وأشهر تلاميذه، وهو أبو العباس المرسي الذي ألقى به موج عبث بسفينة كانت تقله مع عائلته في ساحل بونة في(640هـ/1242م)، ليتجه نحو تونس، حيث التقى مع الشاذلي الذي اصطحبه لمصر.

¹ - بعثه له رسالة وهو بهم بمغادرة تونس أرض مصر في قوله "أتراني أوسع لك مدينة تونس"، يراجع الشيال، مرجع سابق، ص: 166 وما بعدها، وكذا نور الدين محمد دنياجي مرجع سابق، ص: 36.

² - لطف بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 370.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

وبالقاهرة التي سكنها في دار قرب كوم الديرماس منذ (642هـ/1244م)⁽¹⁾، كانت حلقاته في مسجد العطارين، حيث كان يلقي دروسه فيه امتدت فترة استقرار أبو الحسن الشاذلي بمصر، وأقام بها مدة 41 سنة كاملة؛ أقام بأحد أبراجها، الذي أوقفه عليه السلطان وعلى ذريته، استقرت حالته النفسية والمادية، عبّر عنها بقوله: "ذهبت أيام المحن وأقبلت أيام المنن"⁽²⁾، وإذ لم يترك مجال البحث عن العرفان ينتقل من البحث والتعلم عن الحقيقة، معلما لها لطلابه، الذين لازموه في حلقاته طول حياته ويحمد الله علي، بقوله: "لولا الأنبياء لما اهتديت، ولولا العلماء لما اقتديت، ولولا الملوك لما آمنت"⁽³⁾.

اهتم خلال هذه الفترة بالتعليم والتوجيه والوعظ والإرشاد، والجهاد في سبيل الله، بما أوتي من مفاتيح العلوم الظاهرة والباطنية؛ وبما أمتلك من أخلاق كريمة، وصفات حميدة، كما كانت له حلقات خارج الإسكندرية بدمهور ودمياط والمنصورة، وتردد كثيرا على القاهرة في مسجدي مقاس بجيزة الروضة أو في المدرسة الكاملية، وأصبح صاحب طريقة ساهمت في البناء المعرفي الصوفي بمصر والعالم الإسلامي⁽⁴⁾.

¹ - كان في صحبته كثير من مريديه منهم: أبو العزائم ماضي بن سلطان خادمه، والحاج محمد القرطبي، وأبو عبد الله البجائي، وأبو الحسن البجائي وأبو زيد عبد الرحمن الخرازيراجع التميمي، المستفاد مصدر سابق، ص:136. الشيال، مرجع سابق، ص: 174 وما بعدها، وكذا يوسف الكتاني مرجع سابق، ص:44.

² - نور الدين محمد دنياجي، مرجع سابق، ص: 38 وما بعدها.

³ - استطاع الشيخ الشاذلي من تمثل أحسن للقطب السني الثلاثي (القشيري- الغزالي- السهروردي)، وعيا وإدراكا، العامري، نيلي، سلامة، الولاية والمجتمع في العهد الحفصي، مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، دار الفرابي، بيروت، 2006م، ص:422. وانظر أيضا يوسف الكتاني، مرجع سابق، ص:45، وكذا نور الدين محمد دنياجي، مرجع سابق، ص:37.

⁴ - Eric Geoffroy "La shadiliyyia" in les voies d'Allah. Les ordres mystique dans le monde musulman des origines à aujourd'hui; éd Alexandre .Paris 1996.p509.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر ق(4-9هـ/10-15م)

وكانت القاهرة عامرة بنخبة من العلماء منهم العزبن عبد السلام، تقي الدين بن دقيق العيد، وعبد العظيم المنذري، وشيخ القراء بالإسكندرية مكين الدين الأسمر، وأبو عمر عثمان بن الحاجب، وابن الصلاح مفتي الشام، وسيكون هؤلاء التلاميذ فيما بعد قادة الحياة الفكرية والروحية في المدينة⁽¹⁾.

كما كان مشغولا بالفلاحة حرثا وغراسه، في أراضي تملكها يعيش منها، ولا ينتظر من يجود عليه من الصدقات، فكان دائم الحث على طرق باب الأسباب والجد والاجتهاد، ويكره حد الازدراء المرید المتعطل، يحب خدمة الناس، يسعى لقضاء حوائجهم "مستشفعا"، عند السلطان والولادة، لتبليغ سوء أحوالهم، والتوصل لأخذ حقوقهم⁽²⁾، لم تنته همته عن مجالس الذكر والحلقات، أكثر فلم تقعد الشيخ شيبته أو وهن صحته، ولا فقدان بصره أواخر عمره عن الجهاد في سبيل الله وشجذ همم المجاهدين في معركة المنصورة على الإسكندرية، مع القائد الظاهر بيبرس، ضد لويس التاسع الفرنسي، الذي انهزم وجُرّ في الأسر بعد جلاء غبار المعركة.

كانت للشيخ مدرسة عرفانية، وطيدة الأركان نظاما ورجالا وبرامج، يحارب الاتكال والاستكانة، التي التصقت بأدعياء العلم والتصوف، وأساس ذلك الارتباط بالسنة والكتاب والالتزام بفروض الإسلام⁽³⁾، مات رحمه الله في طريق للحج بصحراء عيذاب في شوال(656هـ/1258م)، وكان من أشهر

¹ - الشيال مرجع سابق، ص:10-11.

² - يصفه تلميذه ابن دقيق العيد "أن هذا الأمر لا يقوى عليه إلا متخلق بأخلاق الله"، يراجع يوسف الكتاني، مرجع سابق، ص:44.

³ - نفسه، ص:45.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

تلاميذه أيضا أبي العباس المرسي، أحمد بن عمر الخزرجي الأنصاري (686هـ/1287م)، نسبة إلى مدينة مرسية بشرق الأندلس، نشأ بمرسية حيث تلقى مبادئ التعليم الأولى، واشتغل في التجارة معاونا لولده، ثم انتظمت رحلة بحرية لغرض مناسك الحج لكامل الأسرة في 460هـ/1242م، لكن هبوب عاصفة بحرية، أغرقت السفينة لينجو أحمد أبو العباس المرسي وأخوه، ويهلك الأبوان الهرمان، قبالة ساحل بونة⁽¹⁾.

بتونس بدأ بتحفيظ الصبية مبادئ العلوم وتحفيظ كتاب الله هناك، قبل أن يلتقى بالشيخ الحسن الشاذلي صاحب الطريقة التي تدعو إتباعها إلى العمل والسعي وراء الرزق والابتعاد عن التسول؛ وعلى أساسها صحب أبو العباس المرسي أستاذه الشاذلي وتزوج ابنته ثم خلفه بعد وفاته في مشيخة الطريقة الشاذلية واستقر بالإسكندرية حيث يلقي دروسه في جامع العطارين.

كان أبو العباس أديبا بليغا وشاعرا فصيحاً، فضلا عن تبحره بالعلوم الدينية الشرعية، علوم الحقيقة وأصول الطريقة، يؤثر عليه أنه قال: "شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه"⁽²⁾، وكان شديد التعلق بأستاذه الشاذلي، الذي استأذنه للسفر نحو القاهرة للتدريس بمدارسها ردحا من الزمن، فشعر الشيخ الشاذلي بالعجز والوهن فاستخلف على طريقتهم ودعوته "أبا العباس المرسي" تلميذه وصفيه بمسجد العطارين بالإسكندرية، حتى كانت وفاته بصحراء عيذاب سنة 656هـ/1256م، لينتصب مكانه مرشدا

¹ - الشيال، أعلام الإسكندرية، مرجع سابق، ص:193.

² - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص:271.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

وموجهها فقصدته جموع المريدين، في الإسكندرية، مع قيامة بسفريات نحو القاهرة للتدريس بالمقس⁽¹⁾.

أقام بالإسكندرية، طيلة إحدى وأربعين سنة لم يلتق فيها والي المدينة أو أن يزوره، رغم محاولة الوالي ذلك، إلا أنه استعفى من ذلك، وكان يقصده مدبرو المدينة لغرض ترتيب مقام الشيخ وأتباعه، بما يحتاجونه من حُصر وزيت وقناديل، إلا أنه قال: "اللهم اغننا عنهم، ولا تغننا بهم"، فإنك على كل شيء قدير، فمات الشيخ، فليس للمكان مرتب ولا معلوم، له فضيلة ومشاركة، وله وكرامات وأحوال مشهورة، مات المرسي بعد 43 سنة بالإسكندرية سنة 686هـ/1287م⁽²⁾، ولم يخلف كتاب كحال شيخه الشاذلي، إنما خلف من بعده تلاميذ؛ كياقوت العرش، وابن عطاء الله السكندراني، والبوصيري، وابن الحاجب والشاطبي، والقباري، الذين هم مدار الشاذلية توارثوها بعده، وبعد خليفته من بعده أبو العباس المرسي، وهم:

من المغاربة:

- أبو القاسم محمد بن منصور اللكي (ت662هـ/1264م) المشهور بسيدي القباري، حيث كان يحفر القبور على عادة المتصوفة، واللكي نسبة لمدينة اللك، وهي برواية ابن الشباط⁽³⁾، تطلق على مدينتين إحداهما في جليقية GALICIA في شمال غرب اسبانيا ولعلها مدينة LUGO، والثانية بين برقة وطرابلس في المغرب الأدنى، وعليه فهو من أصل مغربي، عاش زاهدا

¹ - الشيال، مرجع سابق، ص200.

² - ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج7، ص:271

³ - ابن الشباط، تاريخ ابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد 1971، ص:151-177.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

منقبضا عن الناس في بستان له لا يأكل إلا من غرس يده، زاره السلطان الملك الظاهر بيبرس ونصحه بتعمير أسوار القاهرة، مات بظاهر الإسكندرية⁽¹⁾.

- شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري (ت696هـ/1296م)، ينسب لمكان ولادته في "بوصير" في بني سويف بينما يرتفع نسبه الأعلى إلى محسن الصنهاجي أي قبيلة صنهاجة المغربية، ذاعت شهرة البوصيري⁽²⁾ في قصائده التي تمدح النبي صلى الله عليه وسلم والمشهورة بقصيدة البردة والتي مطلعها :

أمن تذكر جيران بندي سلم مزجت دمعا جرى من مقلتي بدم

- ومنهم الشيخ الزاهد أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبي(673هـ/1272م)، نسبة إلى مدينة شاطبة في شرق الأندلس عاش مرابطا على ساحل الإسكندرية زاره أيضا السلطان الظاهر بيبرس للتبرك به والاستماع إلى نصائحه كانت وفاته في ومقامه بجوار عمارة الأوقاف.

- ومنهم الشيخ الزاهد أيضا الأستاذ أحمد البدوي(ت675هـ/1276م)⁽³⁾، الذي وُلد بفاس سنة(596هـ/1200م) ولبس الخرقة بها على يد الأستاذ عبد الجليل النيسابوري⁽⁴⁾، ثم انتقل إلى المشرق متجولا فيه حتى انتهى به المطاف إلى الاستقرار بطنطا في شمال مصر، في سنة(635هـ/1237م) متصدرا للتربية والدعوة إلى الله.

¹ - السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج1، ص:520، وأيضا العبادي، التأثيرات، مرجع سابق، ص:64

² - شبق التعريف بالنخب الغربية العاملة بقطاع الإدارة في الفصل الثالث من هذا العمل، كما خُلف طلبه كثر من غير المغاربة.

³ - مختصر دائرة المعارف، مرجع سابق، ج1، مادة أ-ع، ص:474-489

⁴ - نفسه، ج1، مادة أ-ع، ص:474-489.

- ومنهم عبد الله المغربي الأصل ثم المصري المشهور بالمنوفي(ت749هـ/1348م)، تلميذ سليمان التنوخي الشاذلي، أخذ عن ثلة من المغاربة كابن القوبع، وشمس الدين التونسي والزواوي، انقطع بالمدرسة الصالحية⁽¹⁾، كان صالحاً زاهداً عابداً تحكى عنه الكرامات الكثيرة، كان يتكلم على رسالة القشيري، ويحتمل ما يصدر من جفاء عن الطلبة⁽²⁾.

ب- مميزات النشاط الصوفي المغربي وأثره بمصر:

من واجب المتصوفة المغاربة تجديد أخلاق العامة، بالموازاة، مع إنشاء الأيوبيين للمدارس والخوانق وإجراء الأرزاق عليهما، وكذا جعل الأوقاف عليهما، ووضعها تحت تصرفهم، لغرض التدريس والتربية، فهذا عبد الرحيم القنائي في مدينة قنا، وأبو الحسن الشاذلي يقيم بأحد أبراج الإسكندرية، وكان أغلب هؤلاء فقهاء ومحدثين، يشتغلون بالتدريس والتحفيظ، فتوسع نفوذهم، حتى عرفوا بـ"الصلحاء" أو"الصالحين"، أو"الأفاضل" أو"أهل الفضل والدين"⁽³⁾.

كما كانت حاجة الدولة لشحنهم المقاتلين من عناصر الجيش النظامية، وتمتين علاقتها بالمرابطين، لمواجهة الأخطار التي تحدق بالمسلمين في مصر

¹ - قيل إن ابتداء عمارة المدارس الصالحية في 14 ربيع الآخر 640هـ/1243م، من طرف الصالح نجم الدين أيوب، ولما انتهت عمارتها جعل مدرستها من المذاهب الأربعة قضاة القضاة في سنة إحدى وأربعين وستمائة. وكان الملك الصالح صاحب هذه المدارس الصالحية أول من عمل بمصر دروساً أربعة في مكان واحد ينظر السخاوي، نور الدين علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود الحنفي، تحفة الأحاب وبغية الطلاب، في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1986م، ص:62.

² - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج2، ص:312.

³ - ابن الزيات ص:270-271-311-334-377

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

(ق 4-9هـ/10-15م)

بسبب هجوم المغول والتتار والصليبيين والمبشرين⁽¹⁾، فكانت حاجتهم كبيرة لجهود المتصوفة المغاربة، لإزالة التفرقة بين الفقهاء والأخلاقين والتفرقة بين المقاتلين والمجاهدين، وتجد الإشارة هنا أ، أبا الحسن الشاذلي وإتباعه بالإسكندرية غادروها للمشاركة في صد الهجوم الصليبي في حملته السابع (649هـ/1248م)، وهو كفيف يعلي الهمم ويشارك السلاطين بحث العامة على وحدة الصف الداخلي لمجابهة العدو الخارجي، كما شارك العديد من المغاربة في الجهاد كما أسلفنا⁽²⁾ واستحضارا تجربة المرابطين، كما في سيرة فقيه الأندلس، أبي بكر الطرطوشي، نزيل الإسكندرية ومحي علومها، محارب الإبداع بكتابه "كتاب البدع"⁽³⁾.

كما حاربوا "الحكمة العرفانية" و"التصوف الفرداني"⁽⁴⁾، الذي تزعمه محيي الدين بن عربي (ت 640هـ/1243م)⁽⁵⁾، وعبد الحق بن سبعين (ت 609هـ/1213م)⁽⁶⁾، حاضرة في أذهان هؤلاء الحكام؛ فمعلوم أن هذين

¹ - سعيد عبد الفتاح عاشور، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص: 35.

² - لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص: 321.

³ - في رسالة بعثها الطرطوشي إلى السلطان بمراكش وذكره بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة"، ولا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة"، يراجع، ابن الزيات، مصدر سابق، ص: 32، كما أن الطرطوشي عاصر أبا حامد الغزالي، و التقى به، ومدح علمه وفضله لكن انتقده لما انصرف عن طرق العلماء...، يراجع، عبد الصمد غازي، "من معالم التقويم المغربي لأبي حامد الغزالي"، مجلة قوت القلوب، ع 2012/1م، المغرب، ص: 96 وما بعدها.

⁴ - كان قد أسسها ذو النون المصري، هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، الزاهد المشهور توفي بمصر في 6 أو 7 أو 248هـ/40 أو 41، أو 842م، راجع ابن الزيات ص: 325، وقد إشتهر ذو النون المصري بممارسة الكيمياء وبعض تلاميذه حتى أدخلته السجن في عهد الخليفة العباسي العاشر ببغداد المتوكل عام 244هـ/859م، ثم أفرج عنه، كان خبيرا باللغة الهيروغليفية.

⁵ - يراجع ابن خلدون، مصدر سابق، ج 1، ص: 521.

⁶ - في نيل الابتهاج، وفاته في 669هـ، وهو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسي، سكن بجاية مدة، راجع الغبريني، مصدر سابق، ص: 110، وأيضا، نيل الابتهاج، مصدر سابق، ص: 310.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

الصوفيين الأندلسيين قد استقروا بالمغرب، لكنهما ما لبثا أن تركاه، متوجهين إلى المشرق، طلباً لممارسة تجربتهما الإشرافية والأسرارية الفردانية؛ وسواء كان تركهما للمغرب عن رغبة أو عن رهبة⁽¹⁾، فإن ذلك شاهد حي على أن نوع الممارسة الخلقية الذي اشتهر به هذا البلد والذي بلغ صيته غالب الديار المشرقية⁽²⁾، لم يكن يوافق هواهما العرفاني الخاص، بل كان التصوف النظري والفلسفي أكثر تطوراً بالمشرق⁽³⁾.

ويمكننا أن نضيف لهذين الشخصين من اشتغل بالرقص والإنشاد الصوفي، وهو أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجاجال⁽⁴⁾ (ت668هـ/1270م)⁽⁵⁾، تتلمذ على يد محي الدين بن عربي(640هـ-1242م)، الذي لقيه ببجاية⁽⁶⁾، من أصحاب السهروردي(632هـ/1234م) وحضر حلقات

¹ - لقد كفر بعض علماء المغرب عبد الحق بن سبعين وقضوا بنفيه، وهذا يحتاج على تمحيص، بل إنه من الدارسين من لبس الدس على ابن عربي، والششتري، وابن سبعين، يراجع، عبد العزيز بن عبد الله، مرجع سابق، ج3، ص:92.

² - طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص:34 وما بعدها.

³ - ومن مظاهر التواصل بين المشرق والمغرب، وطلب الصفح عن العلماء ما ذكره، الغبريني، مصدر سابق، ص:79، على ابن عربي، بقوله: "وقد نقد عليه أهل الديار المصرية ما صدر عنه من المصادر وعملوا على إراقة دمه....وكان شفيعه ومخلصه من تلك المحنة الشيخ أبو الحسن علي بن أبي نصر فتح بن عبد الله البجائي".

⁴ - وهو علي بن عبد الله الششتري النميري اللوشي: الودياشي من ششتر أعمال قادس، كان من الأمراء وأولاد الأمراء، وأصبح فقيراً ومن الفقراء، ولد في عصر القلق والاضطراب ليتهياً بالتصوف في مرحلته النهائية بالأندلس المعبر بالحسرة المريرة في تداعي بلدانه، فوجد التفلسف والتصوف في كاس بين السماع الصوفي، يراجع، علي سامي النشار، أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجاجال، وأثره في العالم الإسلامي، مجلة المعهد المصري للدراسات الأندلسية، ع1، عدد خاص، السنة، 1953، ص129، وما بعدها.

⁵ - يخطئ الغبريني، مصدر سابق، في تاريخ وفاته في(668هـ/1270م) بدمياط، وزاد أن كثيراً من الطلبة يرجحونه على شيخه ابن سبعين، ص:113.

⁶ - الغبريني، مصدر نفسه، ذكر كثيراً من مناقبه، ص:11-113، وقد اشتغل بالتجارة بحثاً عن لقمة العيش التحصين المادي للحياة، روحه القلقة تأبى المقام كانت أول رحلاته لبجاية حيث قابل محي الدين بن عربي اطمأنت روحه للعبادة والخلو وكان أول الطريق غادرها يعود إليها ضمناً فوجد الحلقات المدينية، علي سامي النشار، مرجع سابق، ص:137-139.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

حلقات المدينين، أصحاب مدين شعيب(594هـ/1197-1198م)، وتوَّج الششتري دراسته على يد ابن سبعين، ببجاية في(648هـ/1248م)، وتناقشا في أمور التصوف، وهم بالانصراف لتجديد الحلقات المدينية فصرخ فيه ابن سبعين: "إن كنت تريد الجنة فإذهب لأبي مدين وان كنت تريد رب الجنة فهم إلي"(1)، فارتبط بابن سبعين الذي يصغره سنا، وحتى في أشعار الحضرة الشاذلية، تختلط فيها مع مقطوعات من أشعار الشاذلية، وكان اعتكافه بجوار الأزهر، حين دخل مصر، بعد محنة أستاذه بن سبعين، المطرود لمكة، بتأثير من القطب القسطلاني(686هـ/1267م)، فرصة في تأثير أزاله في الحياة العامة المصرية، كما أتاحت له رحلة الحج فرصة ملاقة أستاذه ابن سبعين لمزيد التلقي والترقي، وظل مرتحلا بين مكة ومصر، حتى استقر بدمياط محاربا للصليبيين مع رجاله متخذا رباطا، صار لاحقا لأتباع الشاذلي(2).

إن صحبته للفقراء ومخالطته لأصحاب الأديرة والكنائس، جعلت منها طريقة صوفية ششترية مستقلة، المنشقة عن السبعينية، ليعود إلى دمياط، التي كانت به وفاته ومقام قبره(3).

أخيرا لا نغادر القاهرة ولا أصحاب الرقص والإنشاد دون التطرق إلى محمد بن تازمات المغربي، شمس الدين قدم القاهرة واستقر بها بعد الحج، وتكلم في الناس بالأزهر، وصار له أتباع ومحبين، ومع منع الناصر للمنشدين

¹ - الغبريني، مصدر سابق، ص:112، وأيضا، علي سامي النشار، مرجع سابق، ص:140.

² - نفسه، ص:129، 144، 135.

³ - توفى بقرية بساحل البحر الرومي، يقال لها الطينة، وحمله الفقراء على أعناقهم ليدفن بدمياط،

راجع الغبريني، مصدر سابق، ص:131.

والوعاظ والقصاص في الطرقات، إلا أنه منح الرخصة بالوعظ في سوق لوحده في (738هـ/1338م)، بعد اتصاله بالجاي الداوادر الكبير⁽¹⁾.

ت- قراءة في طرق المغاربة بالبلاد المصرية بين القبول والصدود:

لم يكن التصوف يشكل حياة الانعزال والتقشف، بقدر ما كان لهم من تأثير في الحياة العامة في المجتمع المصري، يتعدى تأثيرهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى التدخل في شؤون السياسة، بضغطهم على قضاة مصر وولاتها بضرورة الإصلاح، ويحملونهم على الإتيان بأعمال قد لا يرضاها الخليفة⁽²⁾، مما أكسبهم محبة الناس وتقديرهم لهم، في التقرب منهم والتماس البركات فيهم، وبلغ بحكام مصر من المتصوفة احتراماً كبيراً⁽³⁾، مع ما يسجل من خصومات بين والمتصوفة الفقهاء، فكتب الفقهاء في تبيان خطر ما يلحق بالدين من فرط هؤلاء، تزعم ذلك ابن حزم بالأندلس مغرباً، والقشيري مشرقاً، كتباً ترمي إلى الحد من الفساد الذي أظهره المتصوفة⁽⁴⁾، ومرد ذلك ما نتج عن المتصوفة من ابتداع طرق فهمهم للدين، فمنهم من لهث وراء التصوف دون تفكير في الدين كحالة، مستعملاً الكيمياء أو الدروشة كابن سبعين والششتري؛ ومنهم اهتم بالإشراق والفيوضات كابن عربي⁽⁵⁾، ومنهم من اهتم بالفقه وجمع بينه وبين التصوف المستمد من الكتاب والسنة؛ كحال

¹ - ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج3، ص:412،411.

² - عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص:96.

³ - أوصى الملك الأشرف موسى بن الكامل أن يدفن في ثوب أحد الفقهاء، كما كان الظاهر بيبرس يزور الشيخ البدوي، نفسه، ص:111، 163.

⁴ - الرسالة القشيرية، أبي القاسم القشيري، وهي مرجعا مهما للصوفية والمتصوفين، في ذكر أخلاقهم وأدابهم، كما يرد فيها على الحلوليين والاتحاديين، وايضا عبد اللطيف حمزة، مرجع سابق، ص:133.

⁵ - اختلفت مواقف العلماء نته بين المبالغة في الحط منه، والاعتدال، والثناء عليه، وتحليلته، يراجع، عبد الله أحمد الجباري، "ابن عربي الحاتمي مواقف وإضاءات"، مجلة قوت القلوب، مركز الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة، المغرب، 2013م، ص:164، وما بعدها.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

عبد الرحيم القنائي والشاذلي والمرسي وبدرجة أقل البدوي، ورغم ذلك فلم يسلم هذا الفريق من هجوم الفقهاء⁽¹⁾.

وقد تولى هؤلاء تنقية الممارسة الخلقية المصرية من أقوال الشطح وعبارات الرمز التي يأبأها ظاهر الكتاب والسنة وتخالف ما أثير عن جمهور السلف الصالح، وقد ساعد إنشاء المراكز لتجمع التلامذة من مدارس و"خوانق"، كما أنشأ صلاح الدين الأيوبي المدارس لغرض ازدهار التعليم المدرسي على مذاهب السنة وتوحيد كلمتهم⁽²⁾، فاجتمع بها أصناف الناس، صغيرا وكبيراً، غنيا وفقيراً، فامتثلوا المهمة للقيام بواجب البناء في ظل الوحدة والجماعة فكرا وممارسة، لتذوب الفردانية في الجماعة، ولا نستغرب إذ ذاك أن يجد بن عربي⁽³⁾ وابن سبعين (ت669هـ/1270م)⁽⁴⁾، بيئة السلوك التصوفي في مصر جماعية، وهي غير التي كانت في فكرهما، ونمط تصوفهما، فرميا بالتشيع

¹ - راجع لطفي بن ميلاد، مرجع سابق، ص:373، انتقاد ابن تيمية للشاذلي واتهامه الانسياق وراء ابن عربي
² - محمد اسكندراني، "المدرسة والدولة في العهدين الفاطمي والأيوبي بمصر، مجلة الاجتهاد، ع4، السنة1، دار الاجتهاد، بيروت، 1989م، ص:141، وما بعدها، ويراجع أيضا، سامية مصطفى مسعد، المغاربة ودورهم الثقافي في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2002م، ص:46.
³ - برند مانوئيل فايشمر مرجع سابق، ص:13، لكن اتهم بالزندقة فكانت محاولة اغتياله، دائرة المعارف، ج1، ص:248-258.

⁴ - ظهر ابن سبعين "أبي محمد عبد الحق بن سبعين"، في أواخر عهد الموحدين بالمغرب، وبالأندلس سرعة التوسع المسيحي، وهو معاصر لابن عربي، سعى منذ سن مبكرة الكتابة لتنظيم صوفي، فكان محل سخط من عامل مدينة سبتة، فانتقل إلى المشرق ليصل مصر في حدود(652هـ/1254م)، وكانت له خصومات متعددة مع الفقهاء، وأرباب التصوف، فانتقل إلى مكة وانتهت حياته بانتحار تقرباً لله كما يزعم، جورج كتورة، مرجع سابق، ص:207، 208، وله كتاب الإحاطة، نشره عبد الرحمن بدوي، وهو جمعٌ لمحصلة التعريف بالتصوف وأحوال رجاله، ومراتهم، والمنشور يحتاج لتحقيق لمزيد الفائدة، يراجع عبد الرحمن بدوي، "كتاب الإحاطة لأبي محمد عبد الحق بن سبعين"، مجلة صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد6، ع2-1، مدريد 1958م، ص:11-33.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

واعتناق آراء الباطنية، فضُيِّقَ عليهما حتى اضطررا إلى النزوح عن هذا البلد كما نزحا عن المغرب من قبل ليستقر الأول بالشام والثاني بالحجاز⁽¹⁾.

فاحتاج الحكام الجدد الأيوبيون إلى القضاء على التبشير والتشيع ولا شك أن مثال الإسكندرية كان نصب أعينهم، بناء على خبرة المغاربة في محاربة الإسماعيلية، أثناء تسلطهم على بلاد المغرب قبل أن يحوّل وجهه إلى مصر؛ كما واجهوا الدعوات المنحرفة والحمولات التنصيرية التي ظل يتعرض لها الغرب الإسلامي⁽²⁾.

وكانت قدرة هؤلاء المتصوفة المغربية قوية للتصدي للدعوات التبشيرية التي كان يقوم بها الدعاة المسيحيون بمناطق التماس مع الإمارات الصليبية⁽³⁾، أوفي الصعيد؛ فقد تولى الأستاذ أحمد بدوي في طنطا والأستاذ عبد الرحيم القنائي في منطقة قنا تجديد الإيمان في قلوب مَنْ أضلّتهم هذه الدعوات التنصيرية⁽⁴⁾، وأشرفوا على تكوين ثلّة من الرجال انتشروا في البلاد يردون الناس إلى أصول الدين الحنيف، فهذا أبو الحجاج الأقصري تلميذ عبد الرحيم القنائي يعيد أهل الأقصر إلى الإسلام بعد أن انسلخوا عنه لسنوات عدة⁽⁵⁾.

¹ - ضايق قطر الدين القسطلاني عبد الحق بن سبعين، كما تعرض ابن عربي للاغتيال، فغادر مصر، طه عبد الرحمن، مرجع سابق، ص34، وكذا جورج كتورة، مرجع سابق، ص:209.

² - حسين أبو لبابة، موقف متصوفة المغرب وزهادها من الاحتلال العبيدي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، 1779م، ص:35

³ - حدث تحالف بين الصوفية واصطحاب السيف عند ما اعدم صلاح الدين (أرناط)، أمر بإعدام بقية جنود الداوية والاستبترية الأسرى بعد رفضهم عرض دخول الإسلام، على يد المتصوفة، يراجع عبد الرحمن عزام، السيد عبد الرحيم القنائي مرجع سابق، ص:209-210.

⁴ - حسين أبو لبابة، مرجع سابق، ص:71

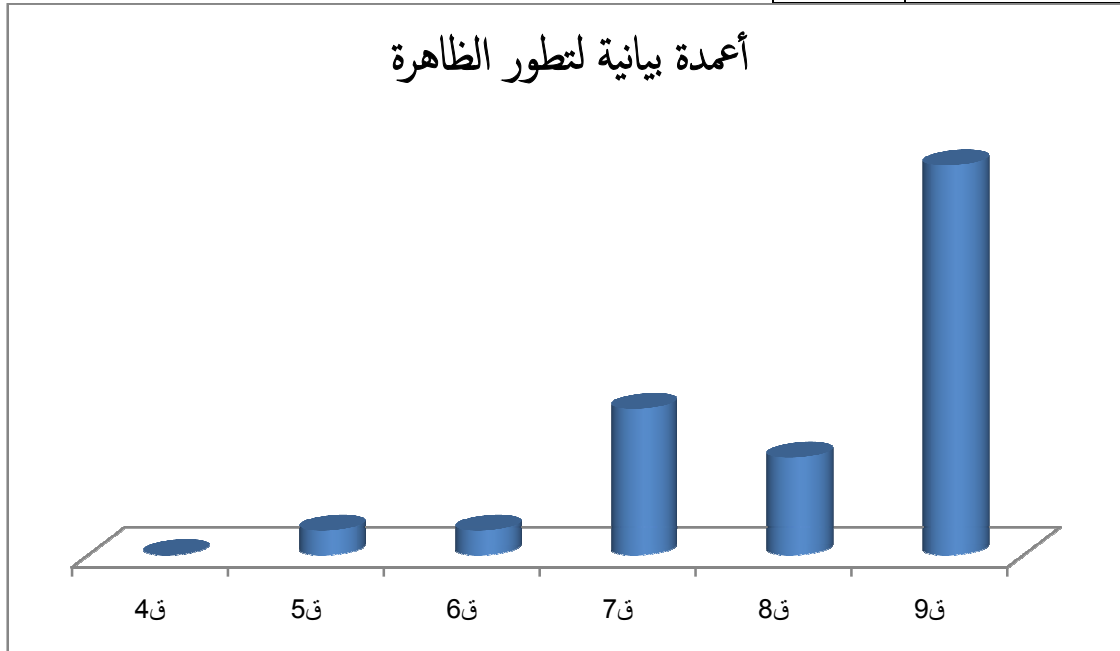
⁵ - نفسه ص 69،70.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر
(ق4-9هـ/10-15م)

كما اجتهد هؤلاء المجددون في أن ينزعوا من قلوب عامة المصريين الآثار العقديّة التي تركها في نفوسهم المذهب الشيعي ويزرعوا بدلها محبة المذهب السني ويرسخوا العمل بالفقه المالكي بين بعضهم، مزوجين بين أساليب التربية الروحية التي تركز على الأوراد والأذكار والأحزاب وبين أساليب الوعظ والتدريس التي تركز على الفهم والحفظ.

جدول يبين توزيع المتصوفة المغاربة بمصر حسب القرون

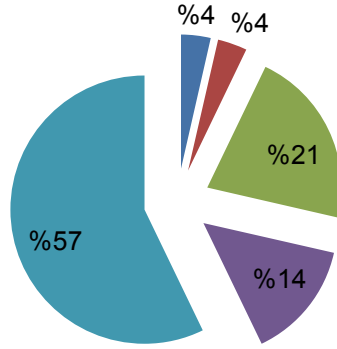
القررون	4	5	6	7	8	9
العدد	----	1	1	6	4	16
النسبة المئوية	0	4	4	21	14	57
المجموع العام	28					



الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر
ق(4-9هـ/10-15م)

الدائرة النسبية لتوزيع الظاهرة حسب القرون

ق4 ق5 ق6 ق7 ق8 ق9



الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

ثانيا: الدور الاقتصادي للمغاربة بمصر:

الإشارات التي أوردتها المصادر، تصور بوضوح المساهمة المغربية في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية، ويحتمل وجودهم بكثرة، رغم اقتصر ذكرها بالإفراد، وربطت ذلك عند الترجمة للنخبة العاملة، وقد توزع هؤلاء في أنشطة قطاعية مختلفة، فمنهم من عمل بالزراعة والبستنة، ومنهم من اهتم بالعمل في الصناعة، وآخرون في التجارة، والبقية في ميادين الخدمة المتنوعة.

1- في الزراعة والبستنة:

في ميدان الزراعة في مصر، فإن الأمر لا يسهل على الباحث توضيحه، بالقدر الذي يريد من خلال نقل صورة جلية، باستخدام الشواهد الشواهد التاريخية التي تكاد تنعدم في هذا الشأن، ومع ذلك فإن الإشارات القليلة، التي كان لها حضور في المصادر على اختلاف أنواعها؛ من تاريخية، ومنقبية وجغرافية، فإن ذلك كله تبقي لنا الوسيلة الوحيدة التي تجعلنا نميل إلى تعميم صحة الفرضية المزعومة في البحث، وهي تواجد المغاربة في كل مناحي الحياة المصرية، على اعتبارهم غرباء، كما أنهم يوصفون بالنشاط والحركة. فاشتغال المغاربة في الزراعة والبستنة، من بين الصور المشكلة في يوميات كبار العلماء المغاربة في مصر، وفي أريافها خاصة؛ إذ مارس عدد كبير منهم هذا النشاط، ولا سيما في الأيام العصيبة⁽¹⁾..

¹ - علي أحمد، "العاملون في ميدان الاقتصاد والخدمة في المشرق العربي من الأندلسيين والمغاربة"، منذ نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 41، 1990، ص:151.

فمصر وبحسب بيئتها التي تفرض الزراعة المرتكزة على الري أو اعتماد السقاية من ثلاثة أوجه، فمنها ما يرتبط على استغلال المياه في الآبار، خاصة مناطق الواحات، باعتبار خصوصية المنطقة الصحراوية وشبه الصحراوية، في حين يتجه الوجه الثاني من استغلال الأراضي على ما تجود به مياه الأمطار، في المناطق الداخلية، وحتى على شريط الساحل، فهذه المناطق يقيم بها تكتل القبائل البربرية، مع أخلاط من العرب يعمرن أرضها بسكنى الخيام، فكان الغالب على نشاطهم الرعي والترحال على عادة البدو الرحل، ينتشرون في النطاق الواسع فيما بين الإسكندرية ونواحي البحيرة⁽¹⁾.

كما اقتضت ظروف تواجد المغاربة بمصر، أن تولى قسم مهم منهم العمل في الشأن الفلاحي، من حيث العمل بالبستنة، إذ اعتبرت حراستها والعمل بها من أهم الحرف التي تضمن للغرباء المغاربة بعض ما يوفر لهم حاجتهم، خاصة إذا تعلق الأمر بالفئة، من غير النخبة العاملة أو الناشطة في التجارة، فالوافدون من المغاربة خاصة طلبوا العلم أو من لا يحسن حرفة أخرى، توفر لهم هذه الحرفة قوتهم أو تضمن لهم موردا زائدا يحقق لهم زيادة التحصيل العلمي⁽²⁾.

وتقتضي هذه الحرفة الأمانة والصبر والشجاعة، باعتبار تعرض هذه البساتين للسرقة أو التلف، كما أنها تساعد على الشأن العلمي بتوفير فائض الوقت للاشتغال بالحفظ والمراجعة، ولما اشتهروا بها في المشرق، فنوه بها ابن

¹ - ابن خلدون، العبر، مصدر سابق ج7، ص:609.

² - لما هممت بالرحيل من بلدي إلى المشرق في طلب العلم، كنت لا أعرف التجارة، ولا لي حرفة أرجع إليها، فجذعت من الخروج، وكنت أقول، إذا ذهبي نفقتي فماذا أفعل؟ وكانت أقوى الآمال في نفسي أن أحفظ البساتين بالأجر، أدرس العلم بالليل، ثم استخرت الله فرحلت، وهي إشارة لطيفة لأبي بكر الطرطوشي، في سراج الملوك، طبعة مصر، 1289هـ، ص:293

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

جبير، على أن الأندلسيين، عمل منهم في حراسة البساتين أو يعملوا بها⁽¹⁾؛ والعمل بها على التقدير حمايتها والقيام على تربيتها من حيث الرعاية والري ويتواصل عملهم حتى الجني وقطف الثمار، كما كانت من عمل المتصوفة المغربية حين ورودهم على مصر، وخير مثال على ذلك؛ المتصوف المغربي أبي موسى الدكالي (ت632هـ/1250م)، الذي عمل في حراسة الكروم وحفظها بمدينة الإسكندرية خلال ق6هـ/12م⁽²⁾، هذا ما تعلق بالفئة التي اشتغلت كأجراء في البستنة.

أما القسم الثاني، فهم الذين امتلكوا الأراضي واستزرعوها، أو الذين عملوا عند مالكين مصريين وغيرهم، فقد ذكر المقرئ في كتابه الخطط، طبيباً باسم (ابن المغربي) كان يمتلك بستاناً بمدينة القاهرة "اشتراه منه القاضي كريم الدين (ت733هـ/1333م)⁽³⁾، ناظر الخاص للأمير سيف الدين طشتمر الساقى (ت743هـ/1343م)⁽⁴⁾، بنحو مائة ألف درهم فضة، عنها زهاء خمسة آلاف مثقال ذهباً⁽⁵⁾، وقد سيقت الإشارة إلى ثراء هذا المغربي وقد

¹ ابن جبير، مصدر سابق، ص:44، وكذا عبد المجيد هيني، مرجع سابق، ص:24، وكذا علي أحمد، العاملون، مرجع سابق، ص:151، وما بعدها

² لما حضرته الوفاة قال صحبه، أن تحت فراشه سبعة دراهم ومصحف اشترته من أجرة حفظ الكروم بالإسكندرية، التادلي (يوسف) التشوف إلى رجال التصوف، اعتنى بنشره أدولف فور، الرباط 1958، ص 186-187.

³ كرم الصغير ناظر الدولة بالديار المصرية، ولي نظر الدولة لما قدم الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك؛ عندما ولى خاله كريم الدين الكبير ناظر الخاص، وكان كاتباً ضابطاً، ذا سطوة ومهابة على الكتاب، لا يحابي أحداً، ولا يدع أحداً يلتمس شيئاً، يهابه الناس ويعظموه، ابن ثعري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج3، ص، 33، ونفسه، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصدر سابق، ج14، ص، 325.

⁴ الصفدي، الوافي بالوفيات، مصدر سابق، ج 16، مصدر سابق، ص:254.

⁵ المقرئ، الخطط، مصدر سابق، مجلد 3، ص 97.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

وصفه بقارون، لما يحصل عليه من عائدات وظيفته وهدايا السلاطين و
وأصحاب الجاه⁽¹⁾.

وكانت الزراعة على ما يبدو الملجأ الأمين، أو بمعنى آخر الاحتياطي،
الذي يغني من يعمل به ويساعده على العيش محفوظ الكرامة إذا ما أحدقت
به الصعاب، فعلى الرغم من علم ابن خلدون (ت808هـ/1406م)، ومكانته
الرفيعة باعتبار منصبه؛ قاضياً للمالكية بالقاهرة، كان يلجأ إلى العمل
بالزراعة، عندما يصرف عن وظائفه العلمية والإدارية، يذكر عن نفسه أنه في
سنة (801هـ/1398م)، توفي القاضي المالكي أحمد بن محمد التنسي⁽²⁾، فبعث
إليه ليخلفه في القضاء يقول "وكنت مقيماً بالفيوم لضم زرعى هنالك"⁽³⁾.

ومثل ابن خلدون كممثل القاضي المالكي حسام الدين محمد المعروف
بابن حريز المغربي(ت873هـ/1469م)⁽⁴⁾، الذي توسع في أمور الزراعة والري
بمصر، فشملت نشاطاته عدة وجوه وكانت له اهتمامات مختلفة، وقد فتح
عينيه، باستغلال عامل الملاحظة، في الكتابة في شأن المنتجين الزراعيين
المرموقين في عصره؛ كانت له فائق العناية بالسقاية والري، الذي هو عمود
الزراعة، ونقل المياه إلى الأراضي التي أراد ربيها عبر مسافات كبيرة، كما أنه أولى

¹ - نفسه، مجلد3، ص: نفسها.

² - ناصر الدين التنسي، هو أحمد بن محمد بن عطا الله بن عوض الزبييري الاسكندري، قاضي القضاة
بمصر، اختلف في اسم شهرته، بالتنسي، والتونسي، والتنيسي، يراجع السخاوي، الضوء اللامع، مصدر
سابق، ج2، ص:192، وأيضا، وأيضا السيوطي، حسن المحاضرة، مصدر سابق، ج2، ص:147،189،
وأیضا، ابن عماد الحنبلي، مصدر سابق، ج7، ص:5، والتنبكتي، نيل الابتهاج مصدر سابق، ص:107-
110، ونفسه، كفاية المحتاج، مصدر سابق، ص:51-53.

³ - ابن خلدون، مصدر سابق، م7، ص:609، 610. وتبعد الفيوم عن القاهرة وفق دليل موقع جريدة
اليوم السابع، بنحو 103 كم.

⁴ - ولي قضاء المالكية بعد وفاة القاضي السنباطي في(861هـ/1457م)، وتدریس المالكية بالشيخونية، وكان
رئيسا شهما جواد جامعا للفضائل، السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، المكتبة العلمية، بيروت،
ص:142، رقم الترجمة، 139. كتب ابن حويز بدل حريز الأصح،

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

عناية كبرى بتربية النحل وإنتاج العسل، وصناعة السكر والقنود⁽¹⁾. إلى غير ذلك، يقول ابن تغري بردي: ".. وحبب إليه الزراعات ودولية السواقي وعمل القنود والسكر والأعسال، واتسع أمره في ذلك حتى صار في أمر كبير من المتحصل في السنة، يكون ذلك آفاقاً مؤلفة..."⁽²⁾.

وقد كان محمد بن محمد المالقي أبو عبيد الله المتوفى سنة (878هـ/1474م)، يمتلك في مدينة الإسكندرية غيطين من الأراضي، يشرف بنفسه على زراعتها، ويبدو أن إنتاجهما كان كبيراً، حيث أنه ترك ثروة هائلة، انتفع بها وارثوه⁽³⁾.

2- في الصناعة:

أما من حيث النشاط الحرفي الثاني، وما تعلق بالمنتج الصناعي في ذلك العصر ونشاط المغاربة فيها، فأكثر المصادر الأدبية تتحقق من ازدهار صناعة الأنسجة الحريرية المرتبطة بـ"دار الكسوة"⁽⁴⁾، وهي الدار التي أنشأها الخليفة فكان يتم فيها تصنيع أفخر الثياب والبرز، وغاية الفاطميين التقرب لأهل البلد، ممَّا خصصوا لعامة الناس كسوة لهم، مرة في الصيف وأخرى في الشتاء

¹ - يستخرج من قصب السكر، يعصر ثم يصنع منه القند، ومن القند السكر، ذكر القلقشندي، في معرض حديثه أن قصب السكر، يوجد منه بمصر بكثرة، كما أنه ينتج بجزائر بني مزغان وبسلا ومراكش، القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص:176.

² - ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج3، كاليفورنيا 1932، ص723، السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، مصدر سابق، ص143، و السخاوي، الذيل على رفع الإصر، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح، القاهرة 1966، ص258 وما بعدها، وابن مريم البستان في ذكر الأولياء، بتلمسان، تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص، 206.

³ - السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، مصدر سابق، ج9، ص199-200.

⁴ - نفسه، ص:200.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

أولاً⁽¹⁾، وعملاً بالتقليد الفاطمي في كسوة الكعبة مرتين في السنة أيضاً، حيث يعتمد في صناعتها التخيير المادة الأولية من الديداج الأبيض شعار الدولة الفاطمية، وكان أن تفنن فيها أمهر المغاربة⁽²⁾.

إن اهتمام المغاربة بتطوير هذا النوع من الصناعة، إذ أدخلوا القماش أيضاً في صناعة الفساطيط "الخيام"، ضمن نطاق المنسوجات، فضلاً عن المخاد والمراتب والستور التي يحلون بها في بعض الأحيان بالديداج، وجعلوها ثروة وكنزاً مدخراً لقيمتها⁽³⁾، بل كان الاهتمام أيضاً بصناعة الحرير من نوع السقلاطون، والذي لم يكن واسع المعرفة بمصر غير أن المغاربة طوروه بشكل لافت.

بعد الفترة الفاطمية اشتهر منهم حسب نصوص الجنييزة جعفر محمد الصباغ، وعروس بن يوسف من المهديّة، فقد اشتغل في صناعة الحرير من نوع السقلاطون لفترة طويلة بمدينة القاهرة، أبو العباس أحمد الحرار التجيبي من رجال القرن (7هـ/13م)، وكانت هذه الصناعة مصدر رزقه الرئيسي، ويبدو أن هذه الصناعة انتشرت بسرعة في مصر ولا سيما في مدينة القاهرة يظهر ذلك من خلال قول نقل عن هذا الأندلسي هو: "وكنت أكب زناً حريراً بدرهم وأجعله عند الزيات، فأخذ منه في عشيّة كل يوم رغيفاً أقتات به، فإذا فرغ الدرهم، أكب زناً غيره وهكذا.. فلم أزل على حالتي أكب الحرير حتى قيل لي إن لم تتركه أعميناك"⁽⁴⁾

¹ - فاتن البنداري الشيخ، مرجع سابق، ص: 58.

² - المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص: 151.

³ - فاتن البنداري، مرجع سابق، ص: 59.

⁴ - علي أحمد، "العاملون"، مرجع سابق، ص: 149.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

وفي صناعة النسيج العادية، اشتغلت إحدى المغربيات، التي لا يذكر اسمها ابن حجر العسقلاني، لأنه كان في صدد الحديث عن أخيها عبد الله المغربي المتوفى سنة (749هـ/1349م) اشتغلت بغزل الثياب، فكان أخوها المذكور لا يلبس إلا من إنتاجها⁽¹⁾ وتوصل بعض المغاربة بمدينة القاهرة إلى أن أنشأ معملاً، أو ما يشابه ذلك لصناعة الغزل والنسيج، فقد ذكر المقرئ في صدد حديثه عن منطقة الميدان الصالحي: "... أن الميدان الصالحي ظل باقياً إلى سنة (740هـ/1339م) فأدخله صلاح الدين المغربي في قيسارية الغزل التي أنشأها هناك" ومن هذا القول يستنتج أن هذه المنشأة كانت كبيرة وواسعة، ولا بد أنها كانت غزيرة الإنتاج⁽²⁾.

وتتمة لصناعة المنسوجات؛ فاقد تمكن أحد المغاربة من امتلاك مصبغة بالفسطاط، واتصل بفضلها خارج مصر حيث الهند، كما بينت وثائق الجنيزة "أن مغربياً من المهديّة بافريقية يعرف بإبراهيم بن بيجو، استقر بالهند خلال (1132-1149م)، يمتلك مصنعا للنحاس الأصفر"⁽³⁾، وتربطه علاقة وطيدة مع وكيل تجار الفسطاط، وموطنه من المغرب حسب جواتيابين أيضاً⁽⁴⁾.

كما كان اهتمام المغاربة أيضاً بصناعة السفن، وقد رأينا ذلك سابقاً في أن رئيس دار الصناعة بالإسكندرية هو "إبراهيم التازي المغربي"، وأنهم

¹ - ابن حجر، الدرر الكامنة، مصدر سابق، ج2، ص 419.

² - المقرئ، الخطط، مصدر سابق، مجلد 3، ص 117.

³ - S.D Goitein, A Mediterrann Society, vol,1 Ibib,p,202-289

⁴ - جواتيابين، مرجع سابق، ص:260-261.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

ابتدعوا لذلك أسلحة جديدة طورت لغرض الحرب، عرفت القدور أو الكيفات⁽¹⁾.

وظهرت براعة المغاربة في مجال آخر من مجالات الصناعة، التي اعتبرت جديدة في ذلك العصر على مجتمع القاهرة، فقد قام عبد الله بن محمد السوسي المتوفى سنة(803هـ/1401م)، بصناعة نوع من الورق، كان يستخدم لكتابة بعض الآيات القرآنية وما إلى ذلك، وكان فيما وُصف بأنه : "... كان أعجوبة الدهر في صناعة الأشياء الدقيقة، حتى كان يصنع بيده ورقاً يكتب فيه بخطه الدقيق سورة الإخلاص وآية الكرسي..."⁽²⁾.

¹ - النويري السكندري، مصدر سابق، ج4، ص:180 ، وكذا عبد المجيد بهيني، مرجع سابق، ص:28 وما بعدها.

² - علي أحمد، العاملون، مرجع سابق، ص:149، وما بعدها ، وللاستزادة يراجع السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج5، ص:57.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

3- دور المغاربة في التجارة:

أ- التجار المغاربة من اليهود وغيرهم:

تعتبر التجارة من أهم الأنشطة الاقتصادية، التي يمارسها الإنسان، غير أن هذه الفترة⁽¹⁾، تحديداً زادت أهميتها، لارتباطها بالعوامل المختلفة، كالزيادة السكانية، وتحرك القبائل البدوية من الشرق، التتار والأتراك والبدو نحو الشام والرافدين، فضلاً عن نمو المدن، ونشوء عواصم الدويلات المتباعدة، (شرقا وغرب)، فكان من الضروري حمل السلع والمنتجات نحو هذه التجمعات، التي ترتبط بشبكة الطرق، وما يحيط بها حماية وتوفير أمن، مزودة بقلاع وأبراج مشحونة بحاميات، كما كان للتجار المتنقلين خانات وفنادق، ينزلون بها .

كما ترتبط التجارة بالعامل الديني، باهتمام المسلمين بأداء فريضة الحج، التي كانت طرقه معلومة، من مواطنهم نحو مكة، يتلقون الحماية والحراسة، ولهم محطات معلومة تخصص لراحتهم، بما توفر لهم من سقاية ورفادة، والمهم أيضاً أن من بين الحجاج من كان يحمل سلعا، تفيده وتعينه في الطريق إلى الحج⁽²⁾،

وتوفر مصر على موانئ، هي مراكز للتبادل، كميناء دمياط والإسكندرية الواقعين على البحر المتوسط، بينما يقع ميناء عيذاب ورشيد على البحر الأحمر، مما جعل مصر بموانئها هذه، حلقة وصل بين تجارة الشرق والغرب⁽³⁾ وتأتي أهميتها لكونها مكاناً لتجمع السلع الهندية والصينية ومنها تنقل إلى أوروبا⁽⁴⁾، لذا كان من البديهي أن تظهر آثار الازدهار التجاري في الكثير من أسواق

¹- تحديداً من أواسط بداية القرن 4هـ/10م، حتى نهاية مرحلة الدراسة.

²- ايمن فؤاد سيد:، الدولة الفاطمية في مصر القاهرة، الدار المصرية اللبنانية ط2 1420، ص2000 483-500

⁽³⁾ ج.ج. شيشولم، الجغرافية التجارية، ترجمة، قلم الترجمة العلمية، مطبعة المعارف، مصر، 1912م،

ج1، ص:94-95، وأيضا، سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام، مرجع سابق، ص:268.

⁽⁴⁾ بنيامين التطيلي، مرجع سابق، ص:358.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر ق(4-9هـ/10-15م)

مصر، بحكم وجود المراكز التجارية وما فيها من كثرة للبضائع التي كانت تنقل من تلك المراكز التجارية فضلا عن مساهمات التجار اليهود المقيمين بمصر والذين نزحوا، وما زالوا في حل من روابط أوطانهم، وحري مراجعة وثائق الجنيزة⁽¹⁾ تسلط الضوء على النشاط التجاري لليهود، وخلال العصر الفاطمي وبعده، إذ تبين هذه الوثائق أصناف اليهود من حيث كونهم تجارا متجولون أو مستقرون، أو الوافدون من المغرب والأندلس⁽²⁾، هكذا تبدولنا شبكة النشاط التجاري ومساهمة المغاربة فيه.

فالتجار المستقرون كان تواجدهم بالأساس بمدينة القاهرة، عاصمة البلاد السياسية والاقتصادية ق5هـ/11م، وهي محور التجارة ومستقر التجار والأموال⁽³⁾، أما الإسكندرية؛ فهي كثيرة الحركة والصخب وجليبة التجار، وقد وصفها التطيلي أيضا، بأنها بلدة تجارية وملتقى تجار العالم، خاصة النصارى، الذين يقبلون على العطور والتوابل، كما أن للمدينة فنادق لكل طائفة⁽⁴⁾.

فطائفة اليهود⁽⁵⁾ المستقرين بالقاهرة مارسوا شكلين من التجارة، فالأولى تجارة التجزئة، والثانية تجارة الجملة، كما أن بعضهم تخصص في الاتجار في السلعة الواحدة، على أن نشاطهم هذا درّ أرباحا طائلة مكنتهم من أن يكونوا "تجارا وكلاء" أو وسطاء لتجار أجانب لبلدان أخرى، أما المتنقلون

¹ -Goitein: *The Cairo Geniza, as a source for the history of Muslim civilization*, vol 3, 1955 p.84.

² - أحمد السيد محمد زيادة، التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي، (358-567هـ/969-1171م) ماجستير غير منشورة جامعة الزقازيق مصر، 2007م، ص: 55 وما بعدها.

³ - بنيامين التطيلي، مرجع سابق، ص: 351.

⁴ - عدّد بنيامين، بنحو 36 مدينة أوروبية، ينتمي تجارها "المسيحيين" لها، فضلا عن العدو المغربية وشبه جزيرة العرب، يراجع بنيامين، نفسه، ص: 358.

⁵ - يرتبط تاريخ اليهود بمصر ارتباطا وثيقا، كان عددهم خلال الفتح العربي نحو 40 ألفا، وأزداد عددهم أيام الفاطميين، وبلغوا المراتب العليا في الوزارة والإدارة، كما مرّ معنا سابقا، يراجع، آدم ميتز، الحضارة في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبد الهادي أبوريدة، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ص: 95.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

فهم الذين يمارسون نشاطهم من مكان لآخر، لغرض عرض سلعهم وبيعها، وهم بذلك يتجولون في أنحاء البلد⁽¹⁾.

أما فيما يتعلق بالتجار كبار، الذين يمارسون التجارة الدولية خاصة تجارة "الكارم" أو الرذانية، فهم عصب الحياة الاقتصادية بمصر، نشطوا تجارتها بشكل مميز، فلقد مارسوها على نطاق واسع، اشتهروا عند المسلمين بتجار البحر⁽²⁾ كما أن الرحالة بنيامين التطيلي الذي اهتم بهم، ورصد أنشطتهم؛ بما توافر لديهم من إمكانات أنهم على غرار بقية التجار، كانوا يمتلكون سفنا خاصة بهم⁽³⁾.

أما التجار اليهود المقيمون بمصر فقد ساهموا بفعالية في تجارة مصر الخارجية⁽⁴⁾، في محيط البحر المتوسط، ووفروا لمصر ما تحتاجه من سلع المغرب وبضاعته من البخور والتوابل-الكارم- والأواني الفضية والنحاسية، والأدوية والعطور، ولعبوا دور الوسيط التجاري، في القاهرة والإسكندرية، وعيذاب، وقوص، وتونس والمهدية⁽⁵⁾، من بينهم عروس بن يوسف، وأبو ذكري كوهين، ومحروس بن يعقوب اللبدي، ويوسف اللبدي⁽⁶⁾.

¹-Mann, h. *The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid caliph.* Vol, 1. p,238 (New York, 1970)

² - ابن خردادبة، مصدر سابق، ص:153.

³ - بنيامين التطيلي، مصدر سابق، ص:346-359.

⁴-Hed, *Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age*, t1, Leprizig, 1923; P 105 .

⁵ -Goitein : *Ibid.*, p. 194

⁶ - زبيدة محمد عطا، اليهود وتجارهم في مصر الإسلامية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007م، ص:74-

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

ويتضح من وثائق الجنييزة أن التجار اليهود الرذانية هم وأبناء عمومهم في مصر قد ساهموا بدور كبير في تجارة الكارم طوال العصر الفاطمي وشاركوا التجار المسلمين الاشتغال بتجارة الشرق، إذا كانت روح التعاون سائدة بين كل من احترف هذه المهنة من كل الأديان⁽¹⁾.

ب- التجار المغاربة من غير اليهود:

كما ساهم المغاربة من غير اليهود في التجارة الكرامية في أواخر القرن 5هـ/11م في مصر⁽²⁾، كما كانت أكبر مراكزها عيذاب وقوص⁽³⁾، والفسطاط⁽⁴⁾، كان التاجر الأندلسي عبد الله بن عبد الجبار الشاطبي المتوفى (في 614هـ/1218م)، يتنقل بين الإسكندرية والصعيد واليمن، ينقل الكارم والنسيج وغير ذلك من البضائع، وكان أحد أهم تجار الإسكندرية من المغاربة والأندلسيين⁽⁵⁾، وهو الدور الذي قام به أيضا أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الغرناطي (ت 653هـ/1257م)، وعلى سعة علمه وبراعة خطه كان فاضلا، احترف التجارة بغرناطة ثم خرج منها في

¹ -Goitein: *From Mediterranean to India Document on the Trade to*, p.198 (S, vol, XXIX. 1954)

² - أول إشارة في المصادر المتداولة إلى طائفة التجار الكرامية تعود لسنة (456هـ/63-1064م)، يراجع حسن محمد ربيع "الجزيرة العربية دراسات تاريخ وثائق الجنييزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى"، مؤلف جماعي، الجزء الثاني، منشورات جامعة الرياض، 1977 ص:136.

³ - قوص مدينة مزدهرة، وحاضرة كبرى، فهي قصبه الصعيد وعاصمته تأتي في طريق الحج، كانت محل عناية من طرف صلاح الدين ومن بعده المماليك لمحاربة التشيع، لعبت دورا ثقافيا بمدارسها الستة عشر، وهي كثيرة الحركة لملتقى التجار والحرفيين، وكانت بها صخب، لم يلبث فيها المتصوف عبد الرحيم القناوي، إلا ثلاثا وغادرها لقنا لفرط نشاط سكانها، يراجع محمد عبده الحجاجي، قوص في التاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ص:109، وما بعدها.

⁴ - أيمن فؤاد السيد، مرجع سابق، ص:131.

⁵ - الفاسي (تقي الدين) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج5، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة 1966، ص 195-196.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

(600هـ/1205م)، وطاف مكة والشام ومصر والإسكندرية، وكانت وفاته بقوص، بعد حجه في (650هـ/1255م)⁽¹⁾.

في الأخير لا بد من الإشارة أن اهتمام حكام مصر بصناعة السفن وتشجيع القائمين عليه، من العوامل التي شكلت محور النشاط البحري في التجارة العالمية، تبعاً لما لمصر من موقع جغرافي بحري، فقد عملوا على بذل العناية لبناء الأسطول، بتنشيط دار الصناعة "المكس"، ومن قبيل الاستفادة من التجربة المغربية في ذلك فإن من يشرف عليها هو "المغربي" حسب المقرئزي⁽²⁾.

لكن الأهم منه على صعيد حجم الثروة والمال، كان شعيب بن يحيى القيرواني المتوفى سنة (645هـ/1248م) نزيل الإسكندرية، الذي تصدق بالكثير من ماله على الفقراء من خلال الأوقاف التي جعلها للصرف عليهم⁽³⁾. وفي القاهرة عمل إبراهيم بن عبد الملك المغربي المتوفى سنة (880هـ/1476م)، تاجراً عند السلطان فجمع مالاً كثيراً، حاول إرساله إلى المغرب، حتى لا تصادره الدولة، لكنه لم يفلح وصادرت أمواله⁽⁴⁾.

وبالقاهرة أيضاً اشتهر عمر بن غازي المغربي خلال القرن (9هـ/19م) على أنه أحد أبرز تجارها، وكثرت أمواله، وانتهى إلى المصير نفسه، الذي لاقاه سابقه،

¹- المقرئ، مصدر سابق، ج2، ص:224.

²- المقرئزي، الخطط، مصدر سابق، ج2، ص:195.

³- تقي الدين الفاسي، مصدر سابق، ج5، ص 12-13.

⁴- المقرئ، مصدر سابق، ج2، ص:58.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

حيث تمت مصادرة أمواله وإهانتته⁽¹⁾، وذكر السخاوي أن محمد بن عبد الرحمن التونسي، كان يتكسب بالتجارة بمدينة دمياط لكنه على ما يبدو لم يفلح في هذا الميدان، بدليل أنه تحول إلى عمل آخر كان أقل شأنًا، وظل هكذا حتى وفاته سنة(870هـ/1466م)⁽²⁾.

وعاصره التاجر المغربي مساعد بن حامد المصراتي، الذي أمضى الجزء الأكبر من حياته تاجرًا متجولاً بين الحجاز ومصر والهند، مع أن معظم إقامته كانت بمصر، حيث رآه السخاوي فيها، غير أنه مات بالهند بعد سنة(870هـ/1466م)⁽³⁾.

وتنقل محمد بن محمد المالقي المتوفى سنة(878هـ/1474م)، بين مدينة الإسكندرية واليمن فترة قصيرة، ينقل البضائع بينهما. ويبدو أنه جمع ثروة مكنته من شراء بعض الأراضي الزراعية، فترك التجارة وعمل فيها⁽⁴⁾.

وكان آخر التجار المغاربة، الذين ذكرتهم مصادر هذه الفترة سعيد بن إبراهيم الأندلسي، الذي قام بالتجارة بين الإسكندرية والقاهرة، وظل هكذا حتى وفاته سنة(893هـ/1488م) واستطاع أن يورث ابنه إبراهيم سعيد المغربي مالاً كثيراً⁽⁵⁾، وقد توفي بمكة ومثله التاجر يحيى بن علي المغربي، الذي انحصر نشاطه التجاري بين مكة والقاهرة ودمشق.

¹ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج6، ص 63، 64.

² - نفسه، ج8، ص: 44-45.

³ - نفسه، ج10، ص: 154-155.

⁴ - نفسه، ج9، ص: 199-200.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص 51.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

دور المغاربة في حرف أخرى:

وقد اشتغل الأندلسيون والمغاربة في أماكن حساسة وهامة من أماكن الخدمة العامة، مثل النقل البحري، الذي عمل فيه عبد الله التونسي، ويذكر ابن بطوطة أنه شاهده بمدينة جدة سنة 732هـ/1332م، وقال أنه كان يمتلك مركباً يعمل فيه لحسابه الخاص، وينقل الركاب والمسافرين من مدينة جدة إلى ناحية القصير التابعة لمدينة قوص المصرية وهكذا⁽¹⁾، وخدم بالأماكن المقدسة محمد بن محمد المغربي المتوفى سنة (868هـ/1464م) واستطاع أن يجمع من وراء عمله هذا بعض المال، على الرغم من أنه كان يتظاهر دائماً بالحاجة والفقير⁽²⁾ واشتغل بحرفة الدهان بالمدينة عبد الله بن إبراهيم المغربي المعروف بالزعبلي، وكانت هذه الحرفة مصدر عيشه، مع بعض الأعمال الأخرى، التي كان يقوم بها، وهي خدمة الحجاج في أيام موسم الحج. وظل هكذا حتى مات سنة (885هـ/1481م)⁽³⁾.

وفي مصر كثر هؤلاء ولاسيما في المدن الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية وبعض الحواضر، التي كانت محطة للمسافرين من مصر والقادمين إليها، مثل مدينة قوص، التي عرفت كثيراً من هؤلاء، مثل محمد بن أحمد الجزيري (ت 639هـ/1242م)، الذي سكن هذه الناحية، وعمل فيها بحرفة تجليد الكتب وترتيبها وتصنيفها، وهو من شخصيات مدينة بلنسية الأندلسية المعروفة⁽⁴⁾، واشتغل أحدهم بحرفة الخياطة بمدينة القاهرة، هو محمد بن يوسف الزواوي المتوفى سنة (807هـ/1405م)، الذي وصفه السخاوي، أنه كان خبيراً

¹ - ابن بطوطة، مصدر سابق، ج1، ص 281.

² - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج7، ص:203.

³ - نفسه، ج5، ص:2.

⁴ - المقرئ، مصدر سابق، ج4، ص 285، وأيضاً، علي أحمد، العاملون، مرجع سابق، ص:66.

ومتسامحاً⁽¹⁾ وبالحرفة نفسها اشتغل محمد بن عبد الله التونسي أبو عبد الله المتوفى سنة(888هـ/1483م) بمدينة الإسكندرية، على الرغم من تضلعه في العلوم الدينية واللغوية والحساب، وهذا يدل على أن هذه الحرفة كانت من الحرف، التي تدر على صاحبها المال والثروة وكان يمارسها في بيته الذي يسكنه⁽²⁾.

وقد اشتهرت عائلة الزواوي المغربية بمدينة القاهرة خلال القرن 9هـ/15م، بعمل جديد من أعمال الخدمة العامة، وهو العمل في مجال القبان⁽³⁾، الذي يستخدم عادة لمعرفة الأوزان المختلفة، ويرتبط عادة بوزن غلال الفلاحة ، وقد يوضع في السوق الكبرى لمعرفة وزن المحاصيل.

بحسب السخاوي ، فإن المشتغلين في هذا الميدان من قبيلة زواوة، توارث أفرادها هذه الحرفة ونبغوا فيها وطوروا منها، وأصبحوا ينتجون أعدادا كبرى منها، تصل إلى بضعة عشرة قبانا ألفيا، يرأسهم شعبان بن علي بن أحمد المغربي الزواوي القباني المتوفى سنة(895هـ/1490م)، ورث الحرفة عن أبيه وأخيه، غير أنه كان أحذقهما ، وأسرعهما من حيث المنتج⁽⁴⁾.

وتطورت به الأمور، حتى أصبح شيخ المشتغلين في هذه الحرفة، ورئيسها لمهارته وحذقه فيها، بل كان مرجعا لأهل الحرفة إذا حصل بينهم الخلاف، فلا مناص من الرجوع إليه .

¹ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج10، ص: 88.

² - نفسه، ج8، ص: 117.

³ - قبان، وهو ميزان ذو ذراع طويلة، يوزن عليه الأوزان الثقيلة، مقسمة أقساما ينقل عليها جسم ثقيل يسى الرمانة، لسان العرب، يراجع، مخطوط رسالة في صناعة القبان، ملحق رقم 4.

⁴ - السخاوي، الضوء ، مصدر سابق، ج 3، ص: 300، وأيضا علي أحمد، "العاملون في ميدان الاقتصاد..."، مرجع سابق، ص: 151.

الفصل الخامس.....الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر (ق4-9هـ/10-15م)

كما أن خبرته الواسعة جعلت منه يباشر إصلاح هذه القبابين، ويقطع لأصحابها الأميال لغرض تصليح ما تعطل منها، خارج نطاق القاهرة، مثل منطقة الوجه البحري وغيرها⁽¹⁾، ولم يمنعه هذا من السفر وأداء مناسك الحج.

وقد أثارت شهرته هذه حقد كثير من الناس عليه، كان منهم قسم من أقربائه المقربين، مثل أخيه محمد بن علي الزواوي الذي كان قبله معلماً كما مر آنفاً، فادعى عليه ببعض أشياء لم تكن فيه، فأوقف لفترة وجيزة وأطلق واستطاع صرف أخيه من زعامة المشتغلين بالقبابين، وأصبح هو زعيمهم من سنة (850هـ/1447م) حتى وفاته، أي قرابة خمسين عاماً، وهو يشبه ما يسمى في أيامنا هذه رئيس حرفة من الحرف المتنوعة⁽²⁾.

ويبدو أن حرفة التجليد توريق الكتب، كانت من الحرف المحببة للأندلسيين والمغاربة وأنهم كانوا لا يرون في ذلك أية إحراجا أو متاعب معنوية، وخاصة منهم الذين كانوا من عائلة علمية معروفة أو غنية إلى غير ذلك، مثل عبد العزيز بن علي بن محمد بن فرحون، الذي اشتهر عن أبيه، أنه كان علامة عصره، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان كابنه يمارس حرفة التجليد وبالأجرة⁽³⁾.

بقيت الإشارة في الأخير أن طائفة من المغاربة من النخبة العاملة، مارست فضلا عن تخصصها العلمي كفقهاء، بعض الحرف التي انتسبوا،

¹ - السخاوي، مصدر سابق، ج3، ص 300.

² - السخاوي، مصدر سابق، ج3، ص 300.

³ - السخاوي، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج3، القاهرة 1980، ص 33.

الفصل الخامس..... الدور الاجتماعي والاقتصادي للمغاربة بمصر

ق(4-9هـ/10-15م)

فمثلا الدقاق كأبي القاسم خلف بن مروان التميمي القرطبي، رفيق ابن
الفرضي في رحلته المشرقية⁽¹⁾، والطحان"محمد بن عبد الله بن أحمد الثقفي
الأندلسي إذ أقام بمصر محدثا وبها توفي⁽²⁾، والوراق كمروان القرطبي⁽³⁾،
والصواف، كالفقيه أبي عبد الله محمد بن نظيف الطليطلي، نزيل
الفسطاط⁽⁴⁾. والخذاء كأبي بكر القيرواني نزيل دمياط، والخرزاز كأبي القاسم
الوهراني ثم البجائي المقيم بالإسكندرية⁽⁵⁾، والسراج كأبي عبد الله محمد بن
رشيق القيرواني⁽⁶⁾، والحداد كمحمد بن عبد الملك بن ضيفون القرطبي⁽⁷⁾.

وعليه فإن أنشطة المغاربة تحسمها الجغرافيا المصرية من حيث

الحيوية، وتتحكم فيها العقلية المغربية المغامرة.

¹ - ابن بشكوال، مصدر سابق، ج 2، ص: 167.

² - نفسه، ص: 454.

³ - السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج 1، ص: 167.

⁴ - نفسه، ج 2، ص: 510.

⁵ - نفسه، ج 1، ص: 305.

⁶ - نفسه، ج 2، ص: 472.

⁷ - ابن الفرضي، مصدر سابق، ج 2، ص: 110-111.

خاتمة

تراوح التأريخ للوجود المغربي بمصر خلال العصر الإسلامي، بتحكم مجموعة من العوامل، ارتبطت خلال (ق4-9هـ/10-15م)، بعناصر تاريخية وجغرافية، أطرتها العوامل الثابتة التاريخية والثقافية؛ كارتباط المغرب بالمشرق ثقافيا، وانتظام الرحلة العلمية له و لمصر خصوصا، وكانت جموع المغاربة مستمرة الوفود على مصر، كما ارتبط التواجد أيضا بالعامل الديني " أداء منسك الحج،" اعتبارا من أن أرض مصر منطقة عبور جغرافي كبير من الإسكندرية، حتى عيذاب، ثم أراضي الحجاز.

كما تحكمت عناصر متحولة في تاريخ القطرين، السياسية منها كانتقال الخلافة الفاطمية لمصر، أواسط القرن(4هـ/10م)، وما صاحبها من مرافقة جموع الكتاميين، خدموا الخلافة حتى نهاية القرن(4هـ/10م)، عصر سيطرة نفوذ الوزراء في الخلافة الفاطمية، واستبعاد عناصر كتامة تدريجيا على الأقل لتجديد دم الخلافة وهو ما أثر سلبا على المغاربة سياسيا وإداريا.

وخلال القرن (5هـ/11م)، كان التحول السياسي الثاني، بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس، وظهور المرابطين، وهي غير ذات بال، إلا أنها حاولت الحد من الهجمات الإسبانية، التي تقدمت على حساب الطوائف، وتغير في إيديولوجية الدولة، يؤثر حتما على النخبة العاملة، كحال عائلة أبي بكر العربي ورحلة والده للحج .

هذا وإن المتغير الثاني خلال نفس القرن، لهي القطيعة المذهبية بين القاهرة، والمعزبن باديس في المغرب، وما نتج عنها من أزمة القرن (5هـ/11م)، من انتقال القبائل العربية، من خلال الهجرات الهلالية للمغرب في عمومها مع تراجع نفوذ الكيانات السياسية المحلية، كالزيرين،

وتحول عواصم بعضها من الداخل نحو الساحل كحال الحماديين، وتعطل طرق التجارة البرية، كان لها أثرها على الاقتصاد المغربي وتجارته.

المتغير السياسي الآخر خلال القرن (6هـ/12م)، وهو متغير يرتبط بالمغرب بظهور الموحدين، الذين تغيرت أيديولوجية حكمهم إزاء محاربة الفروع من المذهب المالكي نكاية بأسلافهم المرابطين، ومحاولة تبني مقاومة المد الإسباني، يقابلة متغير هام في مصر، وهو زوال الخلافة الفاطمية، أمام المد السني الذي تبناه صلاح الدين الأيوبي بتوحيد الجبهة الإسلامية داخليا لمواجهة الخطر الخارجي، الصليبي المتواجد سياسيا وجغرافيا ببعض مدن الشام، ككيانات صليبية تباشر ضغطها على حزام العالم الإسلامي، و هو ما أيقظ الشعور الديني بضرورة الجهاد، الذي دأب عليه المماليك من بعد صلاح الدين حتى نهاية الظاهرة التاريخية "الحروب الصليبية".

علما بأن ما تعلق بشطر المغرب وبالأندلس تحديدا فإن تتابع سقوط مدنه العامرة أمام المد الإسباني، أثر بشكل كبير على اللجوء الأندلسي المفضي للجلاء، فشكل بذلك ظاهرة "بيوتات علم" بالمغرب الأقصى، والأوسط، والأدنى، بينما كانت مصر المحطة ما قبل الأخيرة لجموع الجلاء.

و عليه فإن الجالية المغربية المهاجرة لمصر في هذه الظروف، وخلال فترة الدراسة تفاعلت مع الوسط المصري من حيث عناصر بشرية ثابتة وأخرى متحولة.

فالمتحولة هي تلك العناصر الطارئة على مصر، والتي كان لها إقامة مؤقتة واحدة أو متعددة، طويلة أو قصيرة، تحصلت فيها على المعارف

والعلوم وأشبع حاجتها وعادت لأوطانها، خاصة خلال القرنين الأولين من فترة الدراسة (4/5 و10 و11م)، وقد لاحظنا أن أكثريتها من النخب العلمية والفكرية، ثم خفت الإقامة المؤقتة لتحل محلها الدائمة التي كان مدار البحث، وهذه العناصر البشرية الدائمة التي تميزت بـ:

- أنها تواجدت بمصر منذ القرون الهجرية الأولى لارتباطها، بالعوامل "التاريخية السابقة" حج، رحلة علم، تجارة"، أي أنها لم ترتبط بتاريخ محدد، بل تكفلت بها عوامل مختلفة، أطرتها الفترات التاريخية اللاحقة بدءا بالرحلة العلمية، حتى القرن (4هـ/10م)، حيث برزت ملامح التواجد الفاطمي والخدمة الكتامية، التي عمّقت عقيدة الدولة عن طريق القاضي أبي حنيفة النعمان وما أنتجه من فكر ديني خدم فلسفة الدولة الفاطمية، ومن بعده بنوه الذين تقلدوا القضاء، فضلا عن النخب العسكرية والإدارية في دواليب الدولة، وكانوا محل تقدير وتبجيل من طرف الخلفاء الفاطميين على الأقل خلال العصر الفاطمي الأول، حتى نهاية القرن (5هـ/11م)، من طرف العناصر الكتامية، وإحلال محلها عناصر تركية وأرمينية.

- منذ نهاية ق (5هـ/11م)، وبداية القرن الموالي، ارتسمت ملامح نهاية عالم البحر المتوسط التقليدي، (سقوط أموي الأندلس، وسقوط بيزنطة، وزوال الخلافة الفاطمية)، فانتشر فكر مقاومة المد المسيحي مغربا ومشرقا، أمام أزمة عجز السلطة في مواجهة المد المسيحي، وكان الشام ومصر ميدانها بامتياز، فاتجهت النخب للمنطقة وانشغلوا بالجهاد وحث المغاربة في ضفة الأندلس؛ الباقين المقيمين تحت "حكم الأسبان" للهجرة بإصدار فتاوى، وانتظم المغاربة للجهاد، والمرابطة، فكانوا بأساطيلها قادة وجنودا، وتواجد المتصوفة منهم في الثغور للحث على الجهاد، مساهمين في حل هذه الأزمة،

فكان التصوف والمرابطة، شكلا من أشكال الحضور المغربي الكثيف، منذ عهد صلاح الدين، حتى أواخر المماليك.

- كما أن عمل المغاربة لم يقتصر على رصّ صفوف المجتمع المصري، ومحو آثاره التشيع فحسب، بل تعداه إلى تكوين مدارس صوفية تبناها المصريون وانشغلوا بها إلى يوم الناس هذا، لخصوصية العمل الخلقى المغربي.

- وهي نفس الفترة التي نشطت بها المدارس النظامية، لتغيير الفكر العقدي موازاة مع عمل الخلقين المغاربة، جعلت من المغاربة طارقي باب الإصلاح الاجتماعي منذ "الطرطوشي" بالإسكندرية حتى "ابن خلدون" بالقاهرة.

- وقد كان نشاط المغاربة كثيفا، ومهما في التجارة والحياة الاقتصادية كونهم استفادوا من خبرتهم السابقة ووظفوها بعد انقطاع الطرق البرية زمن الهجرة الهلالية وتصدر بعضهم للتجار في تجارة "الكارام" الدولية، خاصة الطائفة اليهودية وهو ما كشفت عنها وثائق الجنيزة، بخلق شبكة من العلاقات الدولية تتعدى المحال المتوسطي، حيث اليمن والصين.

- كما عكس التواجد المغربي بمصر والإقامة الدائمة تكون نخبة علمية كانت هي مدار الفتوى والإمامة والتدريس، خاصة على المذهب المالكي، بل أصلتها في الجيل الثاني المغربي الأصل، والمصري المولد، حالة البوصيري، الإداري والشاعر، مما خلق تمازجا وتوصلا، بل تأليفا ومساهمة في فلك الحضارة الإسلامية.

- لفئة تجعل من البحث مفتوحا لدراسات أخرى بما حمل من إشارات حاولت فهم ظاهرة الانتقال المذهبي، الذي عُددَ وجها من وجوه فهم الشريعة، وصاحبه المنتقل متروك لعوامل ذاتية، أو مزيد التفقه، أو لإصابة مصالِح دنيوية، نتیجتها أن الظاهرة، وجدت منذ تأسيس المذاهب الفقهية، ونتج عن ذلك تحول داخل دائرة مذاهب السنة، منها وإليها كان من نصيب البحث عناصر حاولنا فهم محيطهم وظروف هجرتهم وتكونهم، كان من نصيب المغرب الأوسط حفا كبيرا ومن زاوية حصة الأسد.

هكذا كان البحث سىلا من أسئلة الرحلة، ونصبا بعد الفراغ، فالنشاط المغربي بالمشرق وبمصر تحديدا يحتاج لمزيد البحوث المتعمقة، في المسار الواحد يبحث في النخبة العاملة، أو التاجرة، أو النخبة السياسية اللاجئة، أبو" يحيى زكريا الحفصي، من إفريقية، ومن المغرب الأوسط ناصر بن احمد بن مزني صاحب بسكرة بعد استيلاء أبو فارس عنان عليها.

كما أن المجال سىتسع أيضا بدراسة المؤلفات الفكرية والعلمية للنخب المغربية بمصر في شتى المجالات، دراسة إقليمية أو عامة، يتصدى لها أصحابها لغرض تحقيق التواصل والتميز، كحالة ابن خلدون ومقامه بمصر طيلة الثلاث والعشرين سنة، وما تقلد من مناصب؛ فضلا عن الجو العداي الذي عاش فيه وما قيل في سلوك المتراوح بين الإشادة والإنكار، ومصنفات ابن الحاج الفاسي الذي عُددَ من الفقهاء المصلحين المجددين، وغيرهما كثير.

نسأل الله التوفيق والعافية والستر

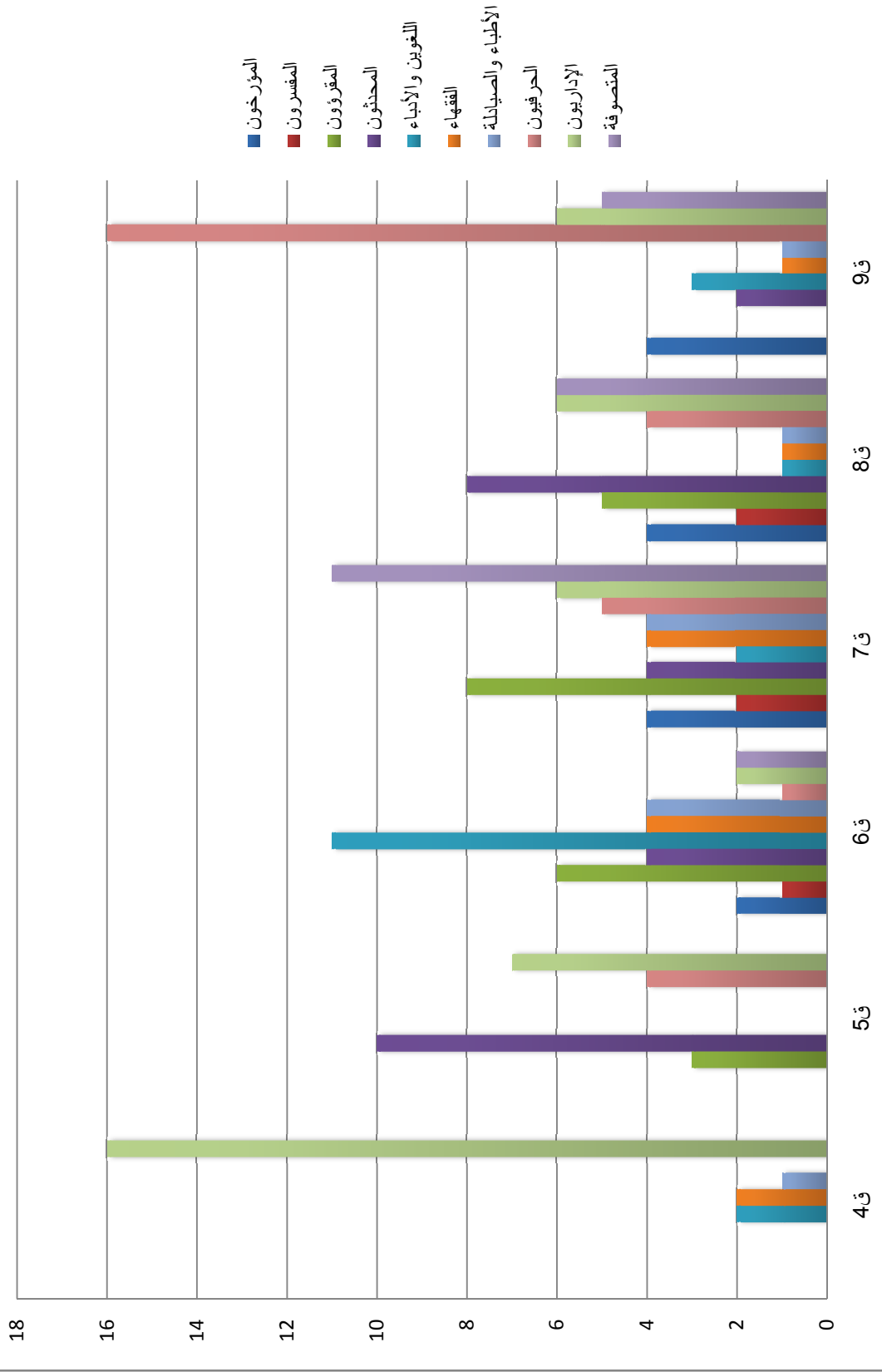
ملاحق الدراسة

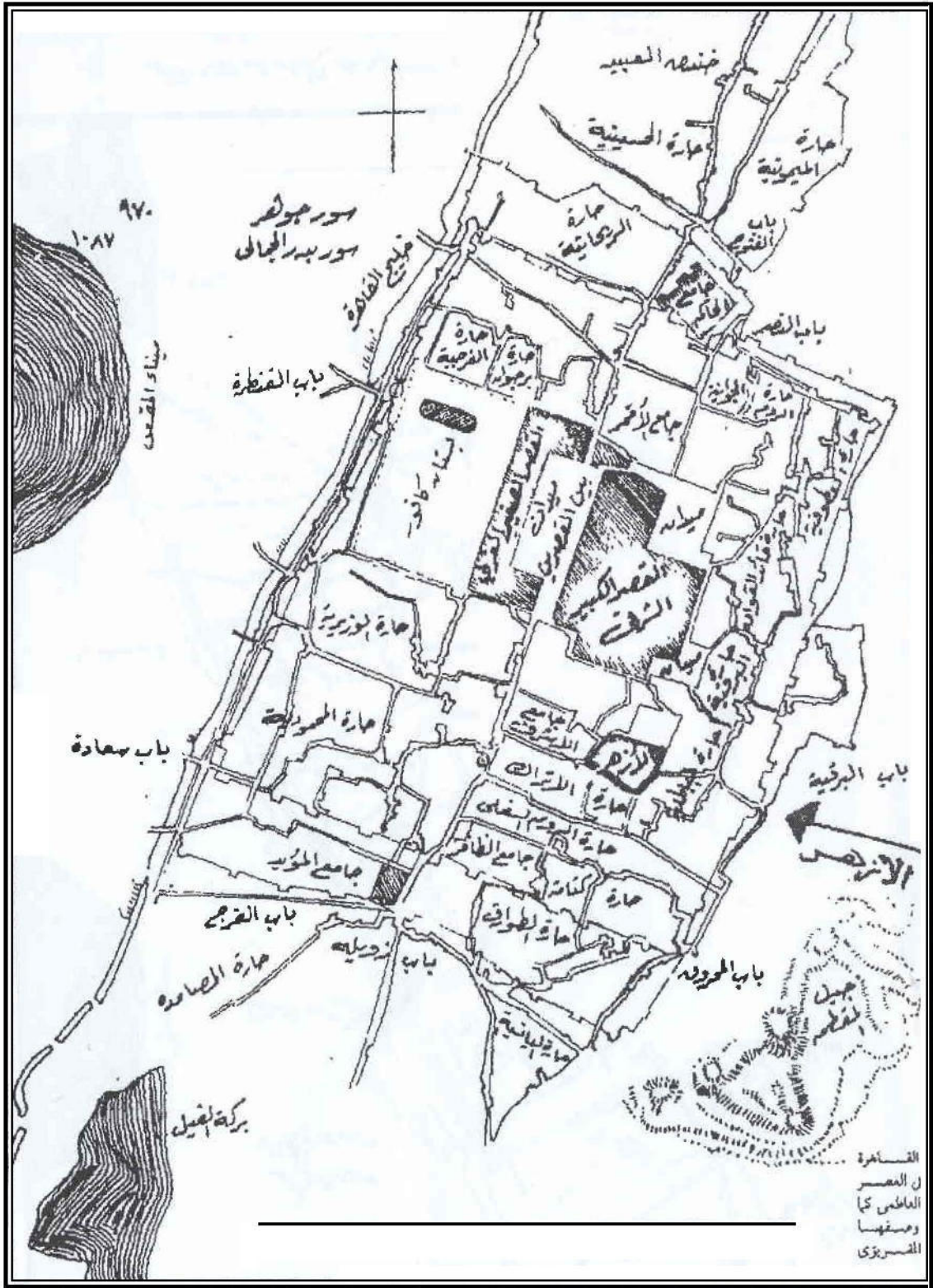
الجموع	الأسماء	متصوفة	أدباء	علماء	فقهاء	لغويين	محدثين	مفكرين	أدباء	علماء	مفكرين	مفسرون	مؤرخون	الفئة
21		--	1	2	2	2	---	---	1	2	---	---	--	القرون 4
24		---	--	--	--	--	10	4	--	--	3	--	--	5
33		2	4	2	2	11	4	1	4	6	6	1	2	6
47		11	4	1	1	2	4	5	4	8	8	2	4	7
37		6	1	--	--	1	8	4	1	8	5	2	4	8
39		5	1	2	2	3	2	16	1	2	--	--	4	9
203		24	11	7	19	28	22	5	14	14	5	14	14	المجموع الفنوي حسب القرون

ملحق رقم 1

جدول يوضح التعداد العام للمغاربة المذكورين في البحث حسب القرون

ملحق رقم 2 تمثيل بياني لأنشطة المغاربة عبر القرون





محلقة رقم: 3

خريطة القاهرة في العهد الفاطمي، عن أحمد عبد الرزاق أحمد، تاريخ مصر وآثارها، دار الفكر العربي، القاهرة، 9991 م، ص: 210.

ملحق رقم: 4

من كلام الشيخ الطرطوشي⁽¹⁾ في شأن أبي حامد الغزالي ما كتب به الأستاذ أبو عبد الله محمد بن الوليد الطرطوشي إلى عبد الله بن المظفر⁽²⁾

أما ما ذكرت من أمر الغزالي فرأيت الرجل وكلمته، فوجدته رجلاً جليلاً من أهل العلم، قد نهضت به فضائله، واجتمع فيه العقل والفهم وممارسة العلوم طول عمره. وكان على ذلك معظم زمانه. ثم بدال له عن طريق العلماء، ودخل في غمار العمال، ثم تصرف بمحيّر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر وأرباب القلوب ووسواس الشيطان، ما شابهها برأي الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل ينحو على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد أن ينسلخ من الدين. فلما عمل كتابه سماه: "إحياء علوم الدين" عمد يتكلم في علوم الأحوال ومراقى الصوفية، وكان غير دري بها ولا خبير بمعرفتها، فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قرّاً، ولا في أحوال الزاهدين استقر. شحن كتابه بالكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فلا أعلم كتاباً على بساط الأرض في مبلغ علمي أكثر كذباً على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه.

سبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوءة اكتساباً، وليس النبي في زعمهم أكثر من شخص فاضل

¹ - صدر: عبد الوهاب السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، مصدر سابق، ج6، ص:242، وما بعدها
² - يشير فيه الطرطوشي إلى تداخل مرجعيات الغزالي الفلسفية والفكرية والدينية، وأثر ذلك في مواقفه وأرائه

تخلق بمحاسن الأخلاق وجانب سفسافها، وساس نفسه حتى ملك قيادها، فلا تغلبه شهواته، ولا يقهره سوء أخلاقه. ثم ساس الخلق بتلك الأخلاق. وأنكروا أن يكون الله تعالى من أقر منهم بالصانع يبعث إلى الخلق رسولا ويؤيده بالمعجزات حيل ومخاريق.

ولقد شرف الله الإسلام وأوضح حجته، وأقام برهانه، وقطع عذر الخلائق بحججه الواضحة، وأدلته القاطعة الدامغة. وما من ينصر دين الإسلام بمذاهب الفلاسفة وآراء المنطقية إلا كمن يغسل الماء بالبول.

ثم يسوق الكلام سوقا يُرعد فيه ويُبرق، ويمني ويشوق، حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة، ولا يجوز طيره في الكتاب، أو يقول: وهذا من سر القدر الذي نهينا عن إفشائه. وهذا فعل الباطنية وأهل الدغل والدخل في دين الله يستغل الموجود، ويكلف النفوس بالمفقود، فهو تشويش لعقائد القلوب، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة.

فإن كان الرجل يعتقد ما سطره في كتابه لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقد ما أقرب تضليله!

وأما ما ذكرت من إحراق الكتاب بالنار، فإنه إن تُرك انتشربين ظهور الخلق ومن لا معرفة له بسمومه القاتلة، وخيف عليهم أن يعتقدوا صحة ما سطر فيه مما هو ضلال، فيُحرق قياسا على ما أحرقتة الصحابة رضي الله عنهم من صحائف المصحف التي كان فيها اختلاف ألفاظ ونقص أي.

ألا ترى أنهم لو لم يحرقوا تلك الصحف وانتشرت في الخلق
لَحَفِظَ كل إنسان ما وقع منها إليه؟، وأوشك أن يختلفوا فيتقاتلوا
ويتقاطعوا.

وإني لعلى عزم أن أنفرد له فأستخرج جميع هفواته، وأوضح سقطاته،
وأبينها حرفا حرفا⁽³⁾، وفي دونه من الكتب غنية وكفاية لإخواننا المسلمين
وطبقات الصالحين.

و معظم من وقع في عشق هذا الكتاب رجال صالحون لا معرفة
لهم بما يلزم العقل وأصول الديانات، ولا يفهمون الإلهيات، ولا يعلمون
حقائق الصفات، ولا يخبرون شياطين الإنس الذين انتدبوا للطعن في
الدين وتوهين⁽⁴⁾.

³ - صنف في ذلك كتاب الأسرار والعبر

⁴ - المعاصرة حجاب أن يتبادل الأنداد الاستفادة، وفكر الطرطوشي فكر محتسب يتابع العورات من خلال
السراج، ولعل السبب في رأي الضبي، انصراف الغزالي عن ملاقاته الطرطوشي بالقدس.

ابن خلدون في وصف حساده و المتعرضين له من المغاربة:

".....كان فيهم ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوزون بمفترق من اصطلاحات العلوم هنا وهناك، ولا ينتمون إلى شيخ معروف مشهود، ولا يعرف لهم كتاب في فنّ اتخذوا الناس هزوا وعقدوا المجالس مثلبة للأعراض ومثابة للحرم، فأرغمهم ذلك مني ومأهم حسدا، وحقّدوا عليّ، وخلوا إلى أهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين للعبادة، ليشترون بها الجاه، ويجترءوا به على الله، وربّما اضطرّ أهل الحقوق إلى تحكيمهم، فيحكمون بما يلقي الشيطان على ألسنتهم، يترخّصون به الإصلاح، لا يزعمهم الدين عن التعرّض لأحكام الله بالجهل، فقطعت الحبل في أيديهم، وأمضيت حكم الله فيمن أجازوه، فلم يغنوا عن الله شيئا وأصبحت زواياهم مهجورة، وبأثرهم التي يمتاحون منها معطلّة، وانطلقوا يواطئون السفهاء من النيل في عرضي، وسوء الأحداث عني بمختلف الافك وقول الزور، ويبثّونه في الناس ويدسّون إلى السلطان التظلم مني، فلا يصغي إليهم، وأنا في ذلك محتسب على الله، ما منيت به في هذا الأمر، ومعرض فيه عن الجاهلين، وماض على سبيل سويّ من الصرامة وقوّة الشكيمة، وتحريّ العدالة، وخلص الحقوق، والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت إليها، وصلابة العود عن الجاه والإعراض متى غمزني لاسمها ولم يكن ذلك شأن من رافقته من القضاة فنكروه مني ودعوني إلى متابعتهم فيما...".

ابن خلدون، العبر، ج1، مصدر سابق، ص:294

ملحق رقم 6:

صورة مخطوط رسالة في القبان⁽⁵⁾، التي اشتهر بها أفراد عائلة الزواوي بمصر القرن 9 الهجري 15 الميلادي



5- هذا العمل هو رسالة حول كيفية صناعة واستخدام القبان، وهو يجمع بين المعرفة الهندسية والميكانيكية والحسابية اللازمة لبناء واستخدام أجهزة قياس الأغراض ثقيلة الوزن وغير منتظمة الشكل. لا يُعرف اسم المؤلف، ولكن الرسالة تستشهد بمقتطفات من عمل آخر للشيخ عبد المجيد الشامولي المحلي، الذي كان متوفى وقتها. بالصفحة الأخيرة من المخطوطة أبيات تصف أساسيات استخدام القبان، وذلك في أرجوزة يسهل تذكرها. كان استخدام النظم لمساعدة الذاكرة أمراً شائعاً في تدريس الجرف المختلفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ هـ
 الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين
وبعد فهذه مقالة لطيفة مختصرة وجيزة قصدت بها صناعة عمل
 القبان وقسمة خطوطه وكيفية علامته وعمل لقمته وتسوية أعضائه المناسبة
 وقيام القسمة على الزوايا القائمة لمسطح حجرة ومعرفة أخراج الزاوية القائمة
 وتبعاً للقمه عن اللسان واستخراج ربح القبان وإماتته ومعرفة أخراج الزاوية
 القائمة بطريق الهندسة أما إقامة جسد القبان وهو العمود ويسمى بالنصبة
 فيكون من جسد صلب قوي على حمل الأثقال كالحديد والنحاس والخشب ثم يخدم
 على ما يريد صانعه مثل أن يكون مربعاً أو سداسياً أو ثمانياً ويخرج من عنقه
 لسانان أحدهما للصغير والآخر للكبير مقدار ما بين سمارهما قدر أربعة
 أصابع أو خمسة بحيث يكون يستحسن ذلك بالنظر ويكون اللسان قائماً على زوايا
 قائمة على سطح حجرة وصنفة أخراج الزاوية القائمة بطريق الهندسة أن يخط
 خطاً على سطح جسد صلب ثم يدير عليه نصف دائرة ثم يجعل رجل البركار في
 مقاطعة نصف الدائرة للخط من أحد الجانبين وتعلم برجله الأخرى على محيط
 نصف الدائرة علامة وهو باقى على فتحه وكذلك تفعل في التقاطع الآخر تجعل
 رجل البركار في إحدى العلامتين اللتين على نصف الدائرة وتعلم برجله الأخرى
 قطعة قوس من دائرة ثم تفعل بالعلامة الثانية كذلك بحيث يتقاطعان على نقطة
 فأخرج منها خطاً مستقيماً إلى مركز نصف الدائرة فهذا الخط قائماً على الخط الأول
 والمركز هو مسطح حجرة راس اللسان والخط القائم هو الخط الفاصل بين زاويتي
 قائمتين وإذا علم ذلك فيصالح لسان القبان ويهتدم ويحور على هذا اللسان
 المستخرج على الزوايا القائمة إذا أخرج من راس اللسان إلى بيت السمار خطاً كان

القسمة

لعمل
 قوس

زوج فلا تسقط وزن العمود والله اعلم **اضرب** الصيغة في بعدها
 واضرب المرتفع على بعد الموزون بحصل الموزون او على الموزون بحصل
 بعده او على الصيغة حصل بعدها والله اعلم بالصواب
 بسم الله الرحمن الرحيم **وما نقل من كتاب** سيدنا ومولانا المرخوم الى الله تعالى
 الشيخ عبد المجيد الناموني رضي الله تعالى عنه صوب الرحمة والرضوان
 من المقالة الثالثة التي ذكرتها من المقوانين التي يستخرج بها المجهول
 المطلوب من العلوم المفروض اذا كان بينهما **صلة** تؤدي الى ذلك وفيها باب
 الاول في العمل بالنسبة ويشتمل على فصلين الفصل الاول في الاعداد الاربعة
 والفصل الثاني في الكهات والباب الثاني في الجبر والمقابلة **الباب**
الاول في العمل بالنسبة ويشتمل على فصلين الفصل الاول في العمل بالاعداد
 المتناسية وهي اربعة اعداد نسبة الاول منها الى الثاني كنسبة الثالث الى
 الرابع وبالعكس وبالضرورة تكون نسبة الاول منها الى الثاني كنسبة الثالث
 الى الرابع وبالعكس وذلك كائنين وثلثه واربعة وستة تجوز فيها
 التبديل وهوان تنسب الاول للثالث والثاني للاربع والتحويل وهو
 ان تنسب الثاني للاول والرابع للثالث وتجوز فيها ايضا التركيب وهو
 ان تنسب ~~الثاني~~ مجموع الاول والثاني الى احدهما ومجموع الثالث والرابع
 الى نظيره **وهذا** وذلك تجوز فيها ايضا تحويل التبديل وتركيبه وتفضيله
 وتبديل التحويل وتركيبه وتفضيله وتبديل التركيب وتحويله وتبديله
 وتبديل التفضيل وتحويله وتركيبه **ولذلك** ايضا تبديل تحويله التبديل
 وتركيبه وتفضيله **وهكذا** الغير بخاصة مع بقا التناسب في ذلك كله وفي
 جميع التركيب الناشئة عن هذه الاربعة اعني التبديل والتحويل والتركيب

والتفضيل

والتبديل وهو ان تنسب الاول
 والثاني الى امر واحد فمثل ان تنسب الاول
 الى نظيره

بسم الله الرحمن الرحيم
بمات باسم الله ثم الحمد
جل عن التشبيه والصفات
ثم الصلاة دائما على النبي
صلى عليه ربنا وسلم
وبعد هذا يا اخي الغيبي
وشرت ان نسوا على الاقراي
اعد الي وزن العمود اولاه
وعند ضبط الوزن اخشى الجملة
ضع وسطها فوق حد بالتكئين
وبعد هذا علم التحديد
ثم اخرج للقطب في وسط اللسان
داخ من الجبل لعلاق الطبق
وقس من وسط محل القطب
فاشترى من عدة الفتحات
كما تقدم ذكره في الاولي
فهو يكون للقيان ربح
فاستطير من الترخ مقام العبد
فان تكن تقسم في الكبير
وان تكن وجه الصغير تقسما
وكل ربح من كلا احدهما
من مركز القطب لبين المعه
وقس من القطب سريعا اولاه

الله الرحمن الرحيم
رب تعالي في عبادك
فلا تشابه ذاتك بذات
خير الانام الهاشمي العربي
واله وصحبه وكرما
اذا اردت فتنمة القبان
بالوضع فاصفي وافهم المعاني
حزر ولا تكن لقولي مهملا
واقصد الي التحديد وسط القصبه
شي رقيق كان او سكرين
لاجل القياس والتكن صنديدا
فهو محل الجبل لا تخشى الهوات
تخته بركار عليها منقوش
لوضع التحديد لاحد الضرب
اضربه في وزن العمود الاخي
فما جمع منه لقولي الاولي
فافهم كلامي انه مستروح
وانظر الي الفاضل فهو العبد
نصف له فنطرح الصفر
اسقطها من ربحه لتقانا
يكون بالنسبة فافهم واعلمها
فافهم كلامي انه بالحكمة
لومه القبان تبليهم اسلا

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- القرآن الكريم

- كتب الصحاح

1. ابن الأبار، (ت658هـ/1260م)، الحلة السيرة، ج 1، حققه وعلق على حواشيه، حسين مؤنس، دارالمعارف، مصر، ط 1، 2، 1985-1963
2. ———، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م.
3. ———، كتاب التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر، لبنان، 1995م.
4. ابن الأثير "عز الدين بن الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني" (ت:630هـ/1233م) الكامل في التاريخ، حققه واعتنى به عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 2001م.
5. الإدريسي "الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني"، (ت:558هـ/1161م) كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، دار عالم الكتب بيروت، لبنان، ط 1، 1989م
6. ابن أبي أصيبعة "أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي" (ت:668هـ/1269م) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان .
7. ابن بشكوال، ابو القاسم بن خلف بن بشكوال (ت:578هـ/1182م): كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس اعتنى به ووضع فهرسه صلاح الدين الهواري المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003م..

قائمة المصادر والمراجع

8. ابن بطوطة، (ت779هـ/1377م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب عجائب الأسفار، نشر علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، ط4، ج1، 1985م.
9. البقاعي برهان الدين (ت885هـ/1480م) في كتابه "تنبيه الغبي في تكفير ابن عربي"، وتحذير العباد من هذا العناد"، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، 1980م.
10. البيدق، أبو بكر علي الصنهاجي، أخبار المهدي ابن تومرت وبداية دولة الموحدين، تقديم عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط 1971م.
11. التادلي (يوسف) (617هـ/1220م) التشوف إلى رجال التصوف، اعتنى بنشره أدولف فور، الرباط 1958م.
12. ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف، الأتابكي، (874هـ/1470م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج4، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر، 1970م.
13. ———، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج3، كاليفورنيا 1932م.
14. التنبكتي أحمد بابا، (1036÷/1627م) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.
15. ابن جبير (ت:614هـ/1217م) الرحلة، المعروفة تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، تقديم سليم بابا عمر، موفم للنشر-الرغاية- الجزائر 1988.
16. الجزري، أبو الخير محمد بن أحمد الدمشقي، (833هـ/1430م) النشر في القراءات العشر، راجعه محمد علي الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 2002م.
17. ———، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق، برجستراير، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م.
18. ابن الجوزي عبد الرحمن، (567هـ/1172م) فضائل القدس تحقيق جبرائيل جبور، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م.

قائمة المصادر والمراجع

19. ابن حجر العسقلاني (852هـ/1449م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
20. ———، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، 1969م.
21. ابن حزم، (456هـ/1064م) الفصل في الملل والأهواء والنحل تحقيق، أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
22. ———، جمهرة أنساب العرب، تحقيق جماعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص: 433.
23. ابن حماد الصنهاجي، (628هـ/1231م) أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق، أحمد جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م.
24. الحميدي "أبو عبد الله بن محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الأزدي" (ت: 488هـ/1095م) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ط 1، 2004م.
25. الحميري، عبد المنعم الروض (900هـ/1495م)، المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ط 2، مكتبة لبنان، 1984م.
26. ابن حيان أبي مروان حيان بن خلف بن حيان ت: (469هـ/1076م) بالمقتبس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006م.
27. ياقوت الحموي: "شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي" (ت: 626هـ/1228)، معجم البلدان، دار صادر بيروت، لبنان ط: 1 و 2، 1996، 1995م.
28. ابن خاقان الفتح، (528هـ/1134م) قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تحقيق حسن يوسف خرموش، مكتبة المنار، عمان، 1989م.
29. الخشني، (ت: 361هـ/971م) أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق، ماريان لويسا أبيلا، لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد 1992م
30. ———: قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966م.

قائمة المصادر والمراجع

31. ابن الخطيب، (776هـ/1374م)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت، 2003م.
32. —، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1973م، ص: 207-214.
33. ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ/1406م)، رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
34. —، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، 2003م.
35. — شفاء السائل في تهذيب المسائل، تحقيق ابو يعرب المرزوقي، الدار العربية للكتاب، لبنان، 1991م.
36. ابن خلكان، (681هـ/1282م) وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس طبعة بيروت. 1978م.
37. بن خياط، خليفة العصفري (854هـ/1450م)، تاريخ بن خياط رواية بقي بن مخلد تحقيق سهيل زكار، دار الفكر دمشق 1992م.
38. الدباغ أبوزيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري: (699هـ/1299م) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان الذي أكمله وعلق عليه أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (ت: 839/1436م) تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط1، 2005م.
39. الدواداري ابن أبيك، أبو بكر بن عبد الله (ت736هـ/1335م)، كنز الدرر وجامع الغرر، الدرّة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح المنجد، القاهرة، 1961م.
40. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (748هـ/1348م)، العبر في خبر من غبر، حققه، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني، وآخر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.
41. —، سير أعلام النبلاء، حققه وأحرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، و محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، 1985م.

قائمة المصادر والمراجع

42. ابن رشيد السبتي، (721هـ/1321م)، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهة إلى الحرمين ومكة وطيبة، ج2، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، 1982م
43. ابن زولاق، (337هـ/997م)، فضائل مصر وأخبارها وخواصها، تحقيق علي محمد عمر مطبعة الخانجي بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب الإسكندرية، 1999 م.
44. السبكي، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، (771هـ/1370م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمد محمد الطناحي، ج7، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
45. السخاوي، (902هـ/1497م)، الذيل على رفع الإصر، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبح، القاهرة 1966م.
46. _____، تحفة الأحاب وبغية الطلاب، في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1986م.
47. السيوطي: (911هـ-1505م)، بغية الوعاة في طبقة اللغويين والنحاة، ج1، تحقيق أو الفضل محمد ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1998م.
48. _____، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
49. _____، نظم العقيان في أعيان الأعيان، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق فيليب حتي، المكتبة العلمية بيروت، 1929م.
50. أبو شامة شهاب الدين بن عبد الرحمن المقدسي، (665هـ/1267م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، حققه، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
51. _____، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق أحمد البيسومي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1991م.

قائمة المصادر والمراجع

52. ابن شباط، تاريخ ابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، (674هـ/1275م) تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد 1971م.
53. ابن شداد يوسف بن رافع (632هـ/1234و) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " سيرة صلاح الدين " تحقيق، جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة 1964م.
54. الشهرستاني، (510هـ/1158م) الممل والنحل، دار الكتب العلمية، لبنان، 2004م
55. الصدي ابن يونس (399هـ/1009م)، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد الصدي، تاريخ ابن يونس، تحقيق، عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، دار الكتب العلمية، بيروت.
56. ابن سعد ابن محمد بن أحمد بن أبي الفضل، (ت901هـ/1496م)، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، محمد أحمد الديباجي، دار صادر بيروت، 2011م،
57. الصفي، (745هـ/1363م)، صلاح الدين خليل بن أيبك كتاب الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
58. الصيرفي (424هـ/1228م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق، عبد الله مخلص، القاهرة، 1924م.
59. الضبي، أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت:599هـ/1202م) بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - ط 1 ، 1997م.
60. الطرطوشي، أبو بكر، (520هـ/1127م)، في سراج الملوك، طبعة مصر، 1289هـ.
61. ابن عباد إسماعيل، المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب بيروت، ج3، 1994م.

قائمة المصادر والمراجع

62. ابن عبد الحكم ، (257هـ/871م) فتوح مصر وأخبارها، تحقيق وتقديم : محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، 1996م.
63. ابن عذاري، المراكشي "أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي" (كان حيا سنة 712هـ/1312م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط3، 1983م.
64. ابن عطية، (541هـ/1146م) فهرس ابن عطية، تحقيق محمد ابوالاجفان، ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1983م.
65. عماد الدين القرشي إدريس، الداعي، (597هـ/1201م)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب- القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م
66. العمري، ابن فضل الله: شهاب الدين أبو العباس احمد بن يحيى (ت: 749هـ/1349م) مسالك الإبصار في ممالك الأمصار ج4، تح محمد عبد القادر خريسان وآخرون مركز زايد للتراث .
67. عياض القاضي (ت544هـ/1150م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب الإمام مالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب.
68. الفاسي (تقي الدين) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج5، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة 1966م .
69. ابن فرحون ، القاضي (ت 799هـ/1397م)، المالكي " (ت: 799هـ/1396م) ، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، خرج أحاديثه وعلق عليه وكتب حواشيه الشيخ جمال مرعشلي، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
70. ———، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت؛ 1996م.

قائمة المصادر والمراجع

71. ابن الفرضي (ت: 403هـ/1093م) ابن الفرضي: (ت403هـ/1093م) ، تاريخ علماء الأندلس تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق روحية بن عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
72. الفيروزآبادي، (817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تحقيق، محمد نعيم العرقسوسي، وآخرون، ط8، مؤسسة الرسالة، 2005م.
73. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م
74. ابن كثير "أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي" (ت774هـ/1372م) البداية والنهاية، خرج أحاديثه، أحمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عبادي بن عبد الحلیم، ج 1، مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة، القاهرة، ط 1، 2003 م.
75. المراكشي عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك، الذيل والتكملة، لكتابي الصلة والموصول، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس 2012م،
76. ابن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، دراسة وتحقيق، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2008م
77. _____، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الإمام أبي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، دار الأمان، الرباط، 2012م.
78. ابن مريم البستان في ذكر الأولياء، بتلمسان، تح عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت،
79. المغربي، ابن سعيد "أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الغرناطي" (ت: 685هـ/1286م) المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط2، 1964م.
80. المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، (1041هـ/1631م) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تح يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، 1998م، ج1

قائمة المصادر والمراجع

81. المقرئزي، (845هـ/1442م)، تقي الدين أحمد بن علي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ج1، ط2، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1996م.
82. —، إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر محمد مصطفى زيادة ، وجمال الدين الشيال القاهرة 1957.
83. —، السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا ج1، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1997م.
84. —، المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي ، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م.
85. ناصر خصرو(ت:471هـ/1008م): سفرنامه، نقله على العربية يحي الخشاب- دار الكتاب الجديد بيروت لبنان ط3، ، 1983 .
86. النعمان القاضي، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد حيون التميمي، (ت363هـ/974م) افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، نشر الشركة التونسية للتوزيع تونس ، وديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط2، 1986م.
87. —، المجالس والمسائرات، تحقيق الحبيب الفقي، وآخرون، دار المنتظر، بيروت، 1996م.
88. النويري، شهاب الدين، (733هـ/1333م)نهاية الأدب في فنون الأدب ، طبعة الهيئة العامة للكتاب، تحقيق عبد المجيد ترحيني دار الكتب العلمية بيروت لبنان 2004م .
89. النويري الإسكندراني، محمد بن القاسم بن محمد ، كتاب الإمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية، ج4، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن حيدر آباد الهند، 1970م،
90. الهواري ،هود بن محكم ، تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق الحاج بن سعيد شريفي، ج1، دار الغرب الإسلامي، 1990م.
91. الواقدي محمد، فتوح إفريقية، مطبعة المنار، تونس، 1966.

قائمة المصادر والمراجع

92. الوهراني، أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد ، ركن الدين الوهراني: منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان دار الكاتب العربي، مصر 1968م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

1. ابتسام مرعي العلاقات بين الموحي والمشرق الإسلامي، دار المعارف، 1985.
2. أحمد أمين، فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 1975م.
3. أحمد عزاوي، مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي، ج1، ط3، ربا نيت، ديور الجامع، الرباط 2008م.
4. أحمد مختار العبادي، التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت.
5. أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار الأمل، 1972م.
6. أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد عيسى، القاهرة، 1960م.
7. اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، راجعه ايغور يليا لف ج3، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية 1957م.
8. انخل جنثال بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تعريب حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة
9. أنور محمود زناتي، معجم مصطلحات التاريخ والحضارة الإسلامية، دار زهران للتوزيع والنشر عمان، 2010م.

قائمة المصادر والمراجع

10. بالأعرج عبد الرحمن ؛ العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين دول المغرب والمشرق الإسلامية (ق7-9هـ/13-15م).م.
11. مسعود بريكة النخبة والسلطة في بجاية الخفصية (7-9هـ/13-15م)، دار ميم للنشر ، الجزائر، 2014م.
12. بوتشيش، ابراهيم القادري ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خل عصر المرابطين، دار الطليعة بيروت، 1998م.
13. لخضر، بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الاسلامي دار الصديق الجزائر، 2015م.
14. التليدي عبد الله بن عبد القادر، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، دار الأمان للنشر والتوزيع، ودار البشائر الإسلامية، الرباط، ط 2003/4م.
15. جمال الدين الشيال: أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، 2001م.
16. الجنحاني حبيب المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 2005م.
17. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1941م.
18. حامد غانم زياد ، صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك (الخليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1978م.
19. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، ط5، القاهرة، 1993م
20. حسن محمد ربيع " الجزيرة العربية دراسات تاريخ وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ الحجاز واليمن في العصور الوسطى"، مؤلف جماعي، الجزء الثاني، منشورات جامعة الرياض، 1977م.
21. حسن شاهدي، أدب الرحلة في العصر المريني، الظروف، البواعث،

قائمة المصادر والمراجع

22. حسين محمد ربيع، وثائق الجنيزا وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ اليمن والحجاز في العصور الوسطى، دراسات تاريخية ج2، الرياض 1979م.
23. حمزة عبد اللطيف، الحياة الفكرية في مصر في العهدين الأيوبي والمملوكي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016م.
24. حميد الحداد، النفي والعنف في الغرب الإسلامي، 2013، دار إفريقيا الشرق المغرب.
25. حنفي أحمد عبد اللطيف ، الأندلسيون والمغاربة في مصر من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي 21- 567هـ / 642-1171م، الدراسة السياسية، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة، تاريخ المصريين، 2006م.
26. خلفات مفتاح، قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ، ما بين القرنين 6-9هـ/12-15م)، دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2011م.
27. دائرة المعارف الإسلامية، ط2، باللغة الإنجليزية، لندن 1965م
28. دشرابي فرحات، الخلافة الفاطمية بالمغرب -296-365هـ-909م-975م ، التاريخ السياسي والمؤسسات، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.
29. رجب محمد عبد الحلیم، العلاقات الإسلامية واسبانيا النصرانية، في عصري بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، بيروت.
30. سحر عبد العزيز سالم، العراقيون في مصر القرن 7 هـ /13م الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، 199.
31. سحر عبد العزيز سالم، الهجرات الأندلسية المورسكية الكبرى إلى جنوب البحر المتوسط(النتائج الديمغرافية والسوسولوجية والحضارية) أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، كتاب تكريمي في ذكرى رحيل المؤرخ عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 2006م.

قائمة المصادر والمراجع

32. عاشور سعيد عبد الفتاح ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية.
33. _____، الحركة الصليبية، ج 2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، 1963م.
34. _____، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1996م.
35. سيد عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1992م.
36. شوقي عبد القوي عثمان حبيب، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك 1250-1517 م / 648 هـ -922 هـ، المجلس العلى للثقافة، القاهرة ، 2000م.
37. المنجد صلاح ، المشرق في نظر المغاربة والأندلسيين في القرون الوسطى، دار الكتاب الجديد، بيروت.
38. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، 1995م.
39. عبد المجيد بهيني، "أثر مهاجري المغرب الإسلامي في الحياة العامة بالمشرق خلال القرنين 6 و7 الهجريين ، 12 و13 الميلاديين، المغرب والشرق العلاقات والصورة" أعمال ندوتي مارس 1994 ونوفمبر 1997 جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، المغرب، 1999م.
40. عطية القوصي، تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية، القاهرة 1976.
41. علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، 2008م.
42. على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، الجزء التاسع
43. علي ابراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي مكتبة النهضة المصرية، ط 1، 1963 ، القاهرة

قائمة المصادر والمراجع

44. عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، الرياض 1996م.
45. عزوز، محمد، علماء المغرب والأندلس في مجالس الحافظ أبي طاهر السلفي بالإسكندرية، دار ابن حزم، بيروت، 2011م.
46. فاتن محمد البنداري الشيخ: الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية للمغاربة في القاهرة قي العصر الفاطمي، 357-567هـ / 969-1171م، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2008م.
47. فيشل ولترج، جهود في الحياة الاقتصادية والسياسية الإسلامية في العصور الوسطى، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار الفكر، دمشق 1988م.
48. قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1990م.
49. ذ كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية الرومانية، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1983م.
50. _____، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، مصر، 1995م.
51. كمال السيد أبو ضيف، تاريخ الأندلس في عصري المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية.
52. بن ميلاد، لطفي، افريقية والمشرق المتوسطي من أوائل القرن 5هـ، 11م إلى مطلع ق 10هـ / 16م وقائع الانفصال وتحديات الاتصال المغربية لطباعة وإشهار الكتب تونس 2011م.
53. - لقبال موسى، دور كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية منذ تأسيسها إلى غاية منتصف القرن 5 الهجري 11م_ الشركة الوطنية للنسر والتوزيع الجزائر 1979.
54. ماكامان، محمد، الرحلات المغربية ق: 11_12هـ / 17_18م منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة الأمنية الرباط، 2014م.

قائمة المصادر والمراجع

55. محمد المنوني، من حديث الركب الحج المغربي، مطبعة المخزن، تيطوان، المغرب 1953،
56. محمد جابر الأنصاري، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1992م.
57. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، 1998م.
58. محمد سالم، الرحلة إلى مكة دراسة في فكر الجغرافيين العرب، منتدى الفكر الجغرافي المعاصر.
59. محمد علم الدين الشقيري، صورة مصر عند رحالة المغرب والأندلس من خلال رحلتي ابن جبيرة وابن بطوطة، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، مصر 2005م.
60. ابن مخلوف (محمد) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
61. مارسية جورج، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مطبعة الإسكندرية، 1991م.
62. إسماعيل محمود، مغربيات، دراسة جديدة، فأس 1977.
63. ناتاليا يفيمير وفا وتوفيق سلوم: معجم العلوم الاجتماعية مصطلحات وأعلام روسي انجليزي عربي، الناشر دار التقدم موسكو، بيروت 1992م
64. نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي ببلاد المغرب إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، دار تبر الزمان تونس 2004م.
65. عبد الله المرابط الترغي، فهارس علماء المغرب، منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منهجيتها تطورها قيمتها العلمية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، المغرب، 1999م.
66. التليسي، بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2003م

قائمة المصادر والمراجع

67. الشيال، جمال الدين ، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، 2001م.
68. جواتيائين ، س.د. ، التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية ، تعريب وتحقيق عطية القوصي، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط1، 1980م.
69. لجيوسي، سلمى | الحضارة العربية في الأندلس ، ج 2، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان ، ط1، 1998، 1999م.
70. حامد غانم زياد صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك (الخليفة المستعين بالله العباسي سلطان الديار المصرية)، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1978م.
71. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية، ط5، القاهرة، 1993م.
72. حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957م.
73. حسن حلاق، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الأندلس صقلية الشام، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، ص: 42.
74. حسن خضيري أحمد، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب (527.362هـ/973-1181م)، مكتبة مدبولي، القاهرة.
75. حسن، محمد، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن الأول إلى التاسع الهجري، 7-14م، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي ليبيا، 2004م.
76. حسين محمد ربيع، وثائق الجنيزا وأهميتها في دراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ اليمن والحجاز في العصور الوسطى، دراسات تاريخية ج2، الرياض، 1979م.
77. حميد الحداد، النفي والعنف في الغرب الإسلامي، دار إفريقيا الشرق، المغرب، 2013م.
78. دائرة المعارف الإسلامية، ط2، باللغة الإنجليزية، لندن 1965م.

قائمة المصادر والمراجع

79. الدشراوي فرحات ، الخلافة الفاطمية بالمغرب (206-365هـ/909-975م)، التاريخ السياسي والمؤسسات نقله إلى العربية حمادي الساحلي ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1994م.
80. الطالبي ، محمد ، الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي(184-296هـ/800-909م) تعريب المنجي الصيادي، ومراجعة، حمادة الساحلي، ط1 و2، دار الغرب الإسلامي، 1985-1995م .
81. زبيدة محمد عطا، اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2007م
82. سعد زغلول عبد الحميد، عن الأثر المغربي والأندلسي في المجتمع الإسكندري، مقال في كتاب مجتمع الإسكندرية عبر العصور، مطبوعات جامعة الإسكندرية 1975م.
83. سعدون عباس نصرالله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م،
84. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م،
85. _____، دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1992م.
86. الشاهدي حسن، أدب الرحلة في العصر المريني، الظروف البواعث الأنواع، ط2، مطبعة دار القلم الرباط ، المغرب، 1990م.
87. شوقي عبد القوي عثمان حبيب، التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك 1250-1517 م / 648هـ -922هـ، المجلس العلى للثقافة، القاهرة، 2000م.
88. العامري، نيلي، سلامة ، الولاية والمجتمع في العهد الحفصي، مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية في العهد الحفصي، دار الفرابي، بيروت، 2006م.

قائمة المصادر والمراجع

89. العبادي أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت.
90. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، ج4، القاهرة، 1997م.
91. _____، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج، 1 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر.
- 92.
93. _____، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط3، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1966م.
94. عبد الرحمن حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر دمشق، 1995م.
95. عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الإسكندرية مصر، 1982م.
96. عبد المجيد بهنيي، "أثر مهاجري المغرب الإسلامي في الحياة العامة بالمشرق خلال القرنين 6 و7 الهجريين، 12 و13 الميلاديين، المغرب والمشرق العلاقات والصورة" أعمال ندوتي مارس 1994 ونوفمبر 1997 جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، المغرب، 1999م.
97. عصمت عبد اللطيف دندش، دراسات أندلسية في السياسة والاجتماع، دار الإسلامي، تونس، ط1، 2009م.
98. علي ابراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1963، القاهرة.
99. علي إبراهيم كردي، أدب الرحلة في المغرب والأندلس، وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة دمشق 2013م.
100. عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، الرياض، 1996م.

قائمة المصادر والمراجع

101. كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج5، ترجمة عبد الحلیم النجار، ط5، دارالمعارف، القاهرة.
102. كمال السيد أبو ضيف، تاريخ الأندلس في عصري المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية.
103. لومبارد، مورييس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي، ترجمة، إسماعيل العربي، الجزائر
104. ليفي بروفنسال، الشرق الإسلامي والحضارة الأندلسية، دار الطباعة المغربية، تطوان المغرب 1951م
105. محمد المنوني، من حديث الركب الحج المغربي، مطبعة المخزن، تيطوان، المغرب 1953،
106. محمد جابر الأنصاري، التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان 1992م.
107. محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، 1995 م.
108. محمد سالم، الرحلة إلى مكة دراسة في فكر الجغرافيين العرب، منتدى الفكر الجغرافي المعاصر.
109. محمد علي حجي، التشيع في الأندلس، منذ بداية الفتح حتى نهاية الدولة الأموية مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م.
110. مختصر دائرة المعارف الإسلامية - مادة رباط- ج 15، مركز الشارقة للإبداع الفكري 1989م..
111. وجاج، أنس، أبو الخطاب ابن دحية الكلبي الحافظ الرحال، الرابطة المحمدية، المغرب، دار ابن حزم، بيروت، 2010م

ثالثا: المراجع باللغة الأجنبية:

1. Claud Cahen ; MukhzoumiaT, Etude Sur l'Histoire De l'Egypte Médiévale , Lyden,1977
2. -Eric Geoffroy "La shadiliyyia" in les voies d'Allah. Les ordres mystique dans le monde musulman des origines à aujourd'hui; éd Alexandre .Paris 1996.
3. -Géorge Marçais- La Berberie musulmane et L'Orient au moyen âge; Paris 1946
4. Goitein: From Mediterranean to India Document on the Trade to ,p.198 (S, vol, XXIX. 1954)
5. ----- The Cairo Geniza, as a source for the history of Muslim civilization , vol 3, 1955.
6. Hady Roger Idris La Berbérie orientale sous les Zirides Xe-XII siècles /vo.01,p:166. Paris 1962.
7. HEYED(W), histoire du commerce Du levant au moyen âge Paris 1885
8. -Hed, Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, t1,Leprizig,1923
9. -Houari Touati, Islam et voyage au Moyen Âge.
10. Idris ;H.R Berbérie Orientale sous Les Zirides 4-9 Siècles ; Paris ; 1962 TOM 1
11. Lévi Provençal; histoire de l'Espagne musulmane; tome 1 Paris;1944
12. Mahfoudh, Faouzi Qasr al-Mâ', al-Abbâsiya et al-Qasr al-Qadîm : à propos de quelques agglomérations près de Kairouan des Séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres Volume 147
13. -Mann, h. The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimad caliph. Vol, 1. p,238 (New York, 1970)
14. -Mikel de Esplza de al Andalu sreflejo de esplendr Fatimien actas del Coloquio Hispano Tunicino Madrid 1983
15. A. piloti(E) L'Egypte au commencement15e siècle ; cairo univ fiud1950
16. - Yann DEJUGNATA L'ombre de la fitna; L'émergence d'une discoure du voyage à propos du Tartîb al-rihla d'Abû Bakr ibn al- 'Arabî (m. 1148).Médiévales Langues, Textes, Histoire60 \ 2011La fitna, Médiévales 60, p. 85-102.

رسائل جامعية:

1. أولاد ضياف رابع، الجراية في الدولة الإسلامية، من صدر الإسلام حتى سقوط بغداد (1هـ-656هـ/622-1258م)، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2014م،
2. أحمد السيد محمد زيادة، التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي، (358-567هـ/969-1171م) ماجستير غير منشورة جامعة الزقازيق مصر، 2007م
3. رياض حميد الجواري، السياسة الخارجية للدولة الفاطمية (358-427هـ/968-1035م)، ماجستير غير منشورة، جامعة الكوفة العراق، 2007م
4. الحاج عيفة، إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري 12-15م أطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر 2009-2010م.
5. قيتشاح هشام، جزيرة كريت خلال العصر الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة قسنطينة 2، 2011-2012م.
6. علي عشي، التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات (2-10هـ/8-16م)، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة باتنة، 2016م،
7. كمال بن مارس، الظهير الشامي في عصر الحروب الصليبية، من الحملة الصليبية الأولى إلى الحملة الصليبية الثالثة (491-588هـ/1096-1198م)،

قائمة المصادر والمراجع

أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، جامعة الأمير عبد القادر،
قسنطينة، 2004م.

الدوريات:

1. إحسان عباس، "الجانب السياسي في رحلة اب العربي إلى المشرق"، مجلة الأبحاث ج2، بيروت، 1963م.
2. أحمد السعيد، "من التراث الصوفي المخطوط بالمغرب مناقب ابن مشيش"، مجاة دعوة الحق، 2010/395م، المغرب، 2010م.
3. اسكندراني، محمد، "المدرسة والدولة في العهدين الفاطمي والأيوبي بمصر، مجلة الاجتهاد، ع4، السنة1، دارالاجتهاد، بيروت، 1989م.
4. عبد الرحمن بدوي، "كتاب الإحاطة لأبي محمد عبد الحق بن سبعين"، مجلة صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد6، ع1-2، مدريد 1958م
5. بونابي الطاهر، "نشأة وتطور الأدب الصوفي في المغرب الأوسط"، مجلة حوليات التراث، ع2/2004م، جامعة مستغانم، الجزائر، 2004م.
6. الجباري، عبد الله أحمد، "ابن عربي الحاتمي مواقف وإضاءات"، مجلة قوت القلوب، مركز الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة، المغرب، 2013م.
7. حسن الصادقي، "الوجود المغربي في المشرق من خلال كتب التراجم المشرقية"، مجلة المناهل، 38(1989م)
8. طه عبد الرحمن، "الإسهام المغربي في مصر إسهام أخلاقي"، مجلة التاريخ العربي، السنة14.
9. علاوة عمارة: الغرب من منظور ابن خلدون، مجلة رؤى، 18-19، (2003م)

قائمة المصادر والمراجع

10. علي أحمد ، دور الأندلسيين والمغاربة في الحروب الصليبية على مسرح الشام ومصر" ، الإطار التاريخي للحركة الصليبية، منشورات إتحاد المؤرخين العرب، 1996م "
11. _____ . " ظهور حركة الاسترداد بالأندلس وتطورها حتى نهاية القرن التاسع الهجري ودور المغاربة في كبح جماحها" مجلة دراسات تاريخية ، 97-98، جوان -جويلية 2007م.
12. _____ ،"العاملون في ميدان الاقتصاد والخدمة في المشرق العربي من الأندلسيين والمغاربة"، منذ نهاية القرن الخامس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع 41، 1990م.
13. _____ ، الأندلسيون والمغاربة في طرابلس الشام، مجلة التاريخ العربي ، العدد 39.المغرب 2001 م .
14. غازي، عبد الصمد، "من معالم التقويم المغربي لأبي حامد الغزالي"، مجلة قوت القلوب، ع1/2012م، المغرب 2012م.
15. محمد المغراوي، "التواصل الصوفي بين المغرب والمشرق إلى حدود القرن 7هـ/13م"، مجلة دعوة الحق، ع395/2010م، المغرب، 2010م.
16. محمد الغضبان، "رحلات التجار بين افريقية إلى صقلية والمشرق في القرنين 4-5هـ/ 10-11م من خلال بعض النوازل والفتاوى"، المجلة التونسية للدراسات الاقتصادية والاجتماعية، 47، 139- (2010م).
17. منصورية، عاشور ورحماني موسى، "ابن حماد الصنهاجي ومنهجه في التأريخ لثورة صاحب الحمار، من خلال كتابه، أخبار بني عبيد ...مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، عدد12، 2015م، جامعة الوادي، 2015م
18. مسعد، سامية مصطفى، المغاربة ودورهم الثقافي في مصر عصر سلاطين المماليك، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2002م، ص:46.

قائمة المصادر والمراجع

19. رشيد عبد الله الجميلي العلاقات السياسية بين الأيوبيين والموحدين في المغرب الأقصى، مجلة المؤرخ العربي، ع35، السنة1988م.
20. سعد زغلول عبد الحميد، محمد بن تومرت ورحلته العلمية في المغرب والأندلس والمشرق 400-514هـ/1106/1120م، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب القاهرة 1997م.
21. سعد زغلول عبد الحميد، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجريين- الثاني والثالث عشر الميلاديين، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، م 8، مصر(1954م).
22. أحمد السعيد، "من التراث الصوفي المخطوط بالمغرب مناقب ابن مشيش"، مجاة دعوة الحق، 2010/395م، المغرب، 2010م،
23. سماح السلاوي، "المغاربة في العصور الإسلامية"، مجلة المقتطف المصري التاريخية، ع5، السنة2، جوان 2010م.
24. عبد الله أحمد الجباري، "ابن عربي الحاتمي مواقف وإضاءات"، مجلة قوت القلوب، مركز الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة، ع 2، و3، / 2013م المغرب، 2013م.
25. عبد الصمد غازي، "من معالم التقويم المغربي لأبي حامد الغزالي"، مجلة قوت القلوب، ع1/2012م، المغرب، 2012م.
26. محمود علي مكي، " طرق الحج: جسور للتواصل الحضاري بين الشعوب أبي مروان الباجي نموذجا"، أعمال ندوة طرق الحج ، القاهرة، 2002، منشورات المنظمة الإسلامية للعلوم والتربية والثقافة، إيسيسكو، المملكة المغربية، 2007م.
27. حسين أبو لبابة، موقف متصوفة المغرب وزهادها من الاحتلال العبيدي، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، 1779م.

قائمة المصادر والمراجع

28. عمر عبد السلام تدمري، المغاربة في الشام تاريخهم السياسي والحضاري (في العصر الفاطمي)، مجلة التاريخ العربي ، العدد 38، المغرب 2001م.
29. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، "الوثائق المتعلقة بالمغاربة في محكمة الإسكندرية الشرعية"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، السنة 11، ع35-36/1984م.
30. محمد الغضبان، "رحلات التجار بين افريقية إلى صقلية والمشرق في القرنين 4-5هـ/ 10-11م من خلال بعض النوازل والفتاوى"، المجلة التونسية للدراسات الاقتصادية والاجتماعية، 47، 139- (2010م).
31. محمد علم الدين الشقيري، صورة مصر عند رحالة المغرب والأندلس من خلال رحلتي ابن جبير وابن بطوطة، دار فرحة للنشر والتوزيع ، المنيا، مصر 2005م.
32. النشار، علي سامي، أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال، وأثره في العالم الإسلامي ، مجلة المعهد المصري للدراسات الأندلسية، ع1، عدد خاص، السنة، 1953م.
33. نواف عبدا لعزيز الجحمة: "صورة الغرباء المغاربة في مصر والشام خلال عصر الحروب الصليبية"، مجلة دعوة الحق العدد 40 السنة 2011م ، ومنشور بمجلة دراسات تاريخية ع 101-102 ماي جوان 2008م جامعة دمشق.
34. يسري احمد عبدالله زيدان، "القراء المغاربة وعلاقتهم بمصر حتى نهاية عصر الموحدين سنة 668هـ/1268م"، بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري، ندوة اتحاد المؤرخين، العرب بالقاهرة، 1998م.

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

أسماء الأعلام

-أ-

- إبراهيم الأندلسي:298- إبراهيم بن احمد" جمال الدين" ابن المغربي:123-243
إبراهيم بن بيجو:291- إبراهيم بن موسى بن جميل:211- إبراهيم التازي:193.291
إبراهيم بن عبد الملك المغربي:297- إبراهيم بن عبد الله المصري:105
إبراهيم بن عيسى بن يوحنا بن ماسويه:236- إبراهيم بن هارون المصمودي:
أثير الدين ابن حيان الغرناطي:207-208-215-219-229-241-252.
إسماعيل بن خلف بن سعيد الأنصاري الأندلسي:200، إسماعيل بن القاسم:244-
أشهب:67-

-ب-

- ابن بشكوال:61-
ابن بطوطة:54-129-163-288.

-ت-

- التاهرتي:55-100-
التلمساني:123 ابن أبي حجلة:194-127-233--126-127-167-194-265-233.
التطلي، بنيامين:81-194-295.
تيمورلنك:166-169-171-172-174.
التونسي:90-92-120-125-

-ج-

- ابن جبير:51-67-72-81-145-183-186-187-
جوهري الصقلي:48-101-102-103-131-132-143-144-151-156-

-ح-

- الحاكم بأمر الله:107-143-148-149-154--156-158.

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

ابن حجر العسقلاني: 175-177-178-180-192-244

أبو حنيفة، الإمام-71-

الحسن البصري، 260.

-خ-

ابن خلدون: 69-74-76-79-128-163-165-166-167-168-169-172-173-174-

175-176-177-178-228-288-261-180-

ابن خياط، خليفة: 47

ابن خيرون، 194،

-د-

الداني، أبي عمر: 132.

ابن دقيق العيد: 65-136-250-273.

-ر-

الرسول "ص": 68-71-72-197-209.

-ز-

زنكي، نورالدين: 82-82-

زواوي، شعبان بن علي: 132-300، عيسى بن مسعود: 131-163-164، جمال

الدين: 164، يحيى بن معطي-130-226، 250.

-س-

سفيان الثوري: 71-

ابن سبعين، 269-271-273.

-ش-

الشاطبي: 73-194-206-210-197-209-213-259-266-267.

الشاذلي، أبو الحسن: 113-271-269-272-273-277-279-281.

الشافعي 68-73-208-211-217-240-

ابن شداد بن تميم: 52.

شعيب أبو مدين الغوث التلمساني، 179-265-297

الششتري، أبو الحسن، 270-271-272.

الصقلي: 53-131-132-

-ص-

صلاح الدين: 63-93-109-113-114-135-144-153-158-183-185-186-187-

الصنهاجي، -120-132-133-134-153-161.

-ع-

ابن عباد: 57-

ابن عبد الحكم: 45-98-

عبد الرحمن، بن عتيق: 200-

عبد المؤمن، بن علي: 53-59-

العبدري: 82-214.

بن عربي، محي الدين، 269-270-273،

عسلوج: 144-152-156

ابن العربي، أبوبكر 57-91-120

-ف-

الفاسي: 53-75-136-137-

الفتح بن خاقان: 56-

الفرج بن برقوق: 83-

ابن الفرضي: 63-

بن فلاح جعفر، 143-145-152-

-ق-

ابن القاسم:63-

القرطبي 58-91-98-137-138-141-

القناوي، عبد الرحيم، 258-268-273-274-275.

-ك-

الكامل بن العادل (الملك):74-

-م-

مالك (الإمام):54-64-161-

المرسي، أبو العباس، 262-264-266-273.

المعز لدين الله: 49-101-103-104-105-106-107-

المقري (أبو عبد الله):75-

المقري: 57-76-

-ن-

ناصر بن علناس: 50-

نافع: 54-194-

النعمان: 139-144-152-154-155-

-و-

الواقدي: 45-

ورش: 190-191-192.

أبي يعزي، 252-255-256-258.

اليسع بن عيسى بن حزم: 55-157-

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

يوسف صلاح الدين ابن المغربي:234-

فهرس أسماء الأماكن

-أ-

الأزهر: 69-122-131-163-165-137-203-21622-234-244-246-280.

الإسكندرية:77-81-82-83-84-127-128-132-134-136-138-181-182-185-187-

189-190-196-198-239-243-279-283-284-285-286-

إشبيلية:66-67-

إفريقية:55-65-89-90-131-153-184-234-239.

الأندلس:49-53-5758-60-61-64-70-75-76-78-110-112-113-114-118-127-

129-135-137-163-169-179-181-191-231-232-234-238-241-259-264-

267-269-272-284.

-ب-

بجاية، 53-67-116-130-131-241-250-265-279.

برقة:83-84-89-106-118-146-

بغداد:50-75-77-97-110-114-117-125-169-219-226-229-231-241.

البصرة:77-99-

بيت المقدس:44-63-71-72-73-180-251.

-ج-

جامع عمرو بن العاص:67-127-155-196-197-218-219-220-238.

جامع أحمد بن طولون:119-120-148-186-200-

جدة:66-126-

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

-ح-

الحجاز: 59-109-117-

-د-

دمشق: 53-71-124-127-128-160-161-167-203-220-234-236-240-242.

-ر-

رشيد: 66-114-

-س-

الشام: 51-53-61-63-75-89-94-96-109-114-127-143-160-118-225-240-241.
242-

-ص-

صقلية: 52-89-131-180-181-

-ط-

طرابلس: 65-89-99-

-ع-

العراق: 63-64-94-96-97-99-100-109-114-155-

-ف-

فاس: 63-136-

الفيسطاط: 67-102-103-107-116-131-141-200-206-212-213-218-219-222-229-232-233.

-ق-

القاهرة: 52-53-66-71-75-77-84-95-96-101-102-103-104-105-106-107-109-115-116-120-122-124-125-126-127-129-130-133-136-137-141-148-149-152-157-178-196-232-234-235-238-239-241-260-261-266-272-278-281-282-283-285-286-287-288-289-290.

قرطبة: 58-77-99-137-229-229.

القلزم (البحر الحمر): 66-

القيروان : 45-71-77-83-97-99-110-195-

-ك-

الكوفة: 77-97-99-

-م-

مالقة: 41-42-49-51-55-61-63-67-69-74-91-

مراكش: 65-

المرية: 78-

المشرق (الإسلامي): 42-44-51-57-58-63-67-70-79-81-93-94-95-96-98-100-

112-117-124-167-168-173-179-180-195-202-204-205-211-212-217-

224-225-229-261-267-270-291.

مصر: 42-43-44-45-47-48-49-51-52-53-58-61-63-66-67-71-72-73-74-76-

78-81-82-83-86-89-90-92-93-94-95-96-97-98-99-100-101-102-103-104-

106-107-109-110-111-112-113-117-118-119-121-122-124-125-126-

128-129-130-131-133-135-136-137-138-140-141-141-181-182-183-189-

195-196-198-

المغرب: 41-42-49-51-55-63-67-69-74-75-163-166-167-168-169-171-175-

179-180-184-

المغرب الأقصى: 43-65-

المغرب الأوسط: 65-240.

مكة: 59-63-75-86-219-256-271-287.

ملاذكورد: 51.

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

المهدية: 285-282-281-65-50.

-ه-

الهند: 81-

-ي-

اليمن: 287-286-151-59.

القبائل والجماعات

-أ-

الإسبان: 183-171-122-60-59.

الأموية، دولة: 237-77-76-75-56-55.

الأيوبية: 287-189-185-182-153-61.

-ب-

البيزنطيين: 108-51-

-س-

السلجقة: 50-

-ش-

الشيعة: 143-55-

-ص-

الصلبيون، الصليبية، 190-188-183-83-62-61-

-ط-

الطوائف ملوك: 112-71-58-55-52-

-ع-

العباسيون، العباسية، 123-81-75-55-

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

-ف-

الفاطميين: 109-81-70-55-52-49-

-ق-

قبرص: 191-189-

-ك-

كتامة: 157-152-146-145-140-139-71-49-

-م-

المالكية: 215-214-202-166-161-160-159-158-137-128-125-114-94-66-

.241-240

المرابطون: 76-58-57-56-52-50-.

المماليك: 218-212-191-181-167-166-132-118-112-83-74-61-

الموحدين: 58-55-52-

-ي-

اليهود: 285-284-141-104-93-79-78-52-

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ - زز	مقدمة
89-41 64-47 71-65 79-71 89-80	<p>- الفصل الأول: عوامل التواجد المغربي بمصر (ق4-9هـ/10-15م)</p> <p>- أولا: العوامل الطاردة: السياسية</p> <p>- ثانيا: العوامل الجاذبة:</p> <p>أ- العامل الديني</p> <p>ب- العامل الثقافي</p> <p>- ثالثا: العوامل الاقتصادية</p>
144-90 97-91 102-98 102-99 120-103 125-121 144-126	<p>- الفصل الثاني: المغاربة بمصر أصولهم ومناطق استقرارهم (ق4-9هـ/10-15م)</p> <p>- أولا: المغرب والمغاربة الجغرافيا والاثنيات</p> <p>- ثانيا: أنواع الإقامة المغربية بمصر</p> <p>أ- المؤقتة</p> <p>ب- الدائمة</p> <p>ت- في بنوية الجالية المغربية بمصر</p> <p>- ثالثا: ألقاب المغاربة وأسمائهم الجغرافية والقبلية</p>
192-145 167-146 180-168 192-182	<p>- الفصل الثالث: دور المغاربة السياسي والإداري والعسكري بمصر (ق4-9هـ/10-15م)</p> <p>- أولا: الدور السياسي والإداري</p> <p>- ثانيا: ابن خلدون بمصر بين الكدّ والمكائد</p> <p>- ثالثا: دور المغاربة العسكري، الجهاد والمرابطة</p>
251-193 232-194 245-233 251-246	<p>- الفصل الرابع: دور المغاربة في الحياة الفكرية والعلمية بمصر (ق4-9هـ/10-15م)</p> <p>- أولا: دورهم في العلوم النقلية</p> <p>- ثانيا: دورهم في العلوم العقلية</p> <p>- ثالثا: ظاهرة الانتقال المذهبي لبعض النخب العاملة المغربية</p>
300-252 256-253	<p>- الفصل الخامس: دور المغاربة الاجتماعي والاقتصادي بمصر (ق4-9هـ/10-15م)</p> <p>- أولا: أوضاعهم الاجتماعية: العلاقات</p>

282-257	- ثانيا: دور المغاربة في التصوف
300-283	- ثانيا: الأنشطة الاقتصادية:
287-286	أ- الزراعة والبستنة
290-287	ب- الصناعة
300-291	ت- التجارة
306-301	- خاتمة
318-307	- ملاحق
344-319	- قائمة المصادر والمراجع
350-346	- فهرس الاعلام
353-350	- فهرس الأماكن
354-353	- فهرس القبائل
357-355	- فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة بالعربية:

شكل التواجد المغربي بمصر في العهود الإسلامية أحد أهم العناصر الرافدة للحضارة الإسلامية بمساهماتهم في شتى مجالات الحياة، ويعد استقرارهم بها منذ الفترات التاريخية الأولى، بتحكم مجموعة من العوامل.

كانت الدراسة محاولة للتعريف بهم وتقفي آثارهم ومعرفة مشاركتهم في الحياة المصرية العامة خلال (القرن 4هـ-9هـ/15-1م)، بما تيسر من المصادر والمراجع والدراسات.

بالفرنسية

La présence maghrébin en Égypte dans les pactes islamiques est l'un des éléments les plus importants de la civilisation islamique, avec ses contributions dans divers domaines de la vie. Elle est stable depuis les premières périodes de l'histoire, en contrôlant un certain nombre de facteurs. L'étude visait à les introduire et à retracer leurs effets et leur connaissance de leur participation à la vie égyptienne générale (IVe siècle - 9/1 / 15-15), à travers les sources, références et études disponibles.

بالانجليزية

The maghrébin presence in Egypt in the Islamic pacts is one of the most important elements of Islamic civilization, with its contributions in various areas of life. It has been stable since the earliest periods of history, controlling a number of factors. The study aimed to introduce them and to trace their effects and their knowledge of their participation in the general Egyptian life (IVth century - 9/1 / 15-15), through the sources, references and available studies.